الشيخ إبراهيم إنياس الداعية العالمي

بقلم:

الإمام الشيخ محمد الناصر آدم

الطبعة الرابعة

بتاريخ ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠٢٣ ميلادية

التقريظ

الإمام الشيخ التجاني علي سيس
إمام المسجد الجامع بمدينة كولخ سنغال

Imam Cheikh Tidiane Ali Cisse
Imam de la Grande Mosquée
de Médina Baye Kaolack Sénégal

الحمد لله المنعم المتفضل بالإيجاد والصلاة والتسليم على
على روح الإمداد ومحمد الأرواح والأجساد سيدنا محمد
أفضل كل حاضر وباد وعلى آله وصحابته نجوم
الهدى والرشاد وعلى التابعين والتابعيهم بإحسان
إلى يوم التناد

حضرة الإمام الفاضل العلامة العاصل
الأستاذ محمد ناصر إداع أداع الله عنه
ونصره آمين

لقد غمرني الفرح والسرور والمرح والحبور
لما وقعت على كتاب كريم القيم تحت عنوان الشيخ
إبراهيم إنياس الداعية العالمية لقد أعجبني
كثيرا وفرحت به فرحا لا يعادلها والأرض
بما رحبت لما تضمنت من تاريخ الشيخ صاحب
الفيضة التجانية الكبرى فقد أفدتم ونفعتم
وذكرتم بل وعلمتم فهل من مذكر ولكم
من حضرة الشيخ الشكر الجزيل على هذا العمل
الجليل واصل قدما إلى الأمام في نبراس العلم
وخصوصا هذا الفن الذي يجهله كثير
من شبابنا النشء فالله يجازيكم خيرا
وواصل أمداد الشيخ سرا وجهرا

موبايل: ٢٢١٧٧٦٣٨٢٦٤٤
فاكس: ٢٢١٣٣٩٤١٤٤٦١
صندوق بريد ٤٠٨ كولخ سنغال
الإيميل:

Tél : +221 77 638 26 44
Fax : +221 33 941 44 61
B.P. : 408 KAOLACK SENEGAL
Email : ctc55@msn.com
imam. cheikh@yahoo.fr

Imam Cheikh Tidiane Ali Cisse
Imam de la Grande Mosquée
de Médina Baye Kaolack Sénégal

الإمام الشيخ التجاني علي سيس
إمام المسجد الجامع بمدينة كولخ سنغال

لأن ما كتبتم عنه رضي الله عنه يستحق أن يسجل
بذوب الذهب وعليكم بطبعه ونشره كي يستفيد
منه الجميع والله يتقبل منكم ويقبل عليكم
بمحض فضله وكرمه ورضاه آمين

والسلام
وكتب أخوكم في الله وحب الشيخ
الشيخ التجاني سيس
نزيل مدينة كولخ
٢٢ من ربيع الثاني
عام ١٤٣٦هـ

Tél : +221 77 638 26 44
Fax : +221 33 941 44 61
B.P. : 408 KAOLACK SENEGAL
Email : ctc55@msn.com
imam. cheikh@yahoo.fr

موبايل: ٢٢١٧٧٦٣٨٢٦٤٤
فاكس: ٢٢١٣٣٩٤١٤٤٦١
صندوق بريد ٤٠٨ كولخ سنغال
الإيميل:

فهرست الموضوع

التقريظ..... ٢
فهرست الموضوع..... ٤
مقدمة الطبعة الرابعة..... ٧
مقدمة الطبعة الثالثة..... ٢٣
علة بعث الرسل إلى الناس..... ٢٩
لَمحَةٌ سريعة عن تاريخ حياة الشيخ رضي الله عنه..... ٣٤
ولادة الشيخ ونشأته:..... ٣٦
قرائته للكتب ونظره في العلم..... ٤٠
عالمية الدعوة في الإسلام للشيخ إبراهيم إنياس:..... ٤٨
أشهر ديار العلم والمشيخة في السنغال:..... ٤٩
زوجات الشيخ الحاج عبد الله إنياس وأماته..... ٥٠
أسماء وعدد أبناء الشيخ الحاج عبد الله إنياس:..... ٥١
أسماء وعدد بنات الشيخ الحاج عبد الله إنياس..... ٥٢
بصمات الشيخ في عالمية الدعوة إلى الله..... ٥٦
رحلاته الدعوية..... ٦٣
كرامات الشيخ رضي الله عنه..... ٧٠
حبُّه لتلاوة القرآن الكريم..... ٧٣
مؤلفاته في شتى المجلات والفنون..... ٧٧
موقف الشيخ إبراهيم إنياس من تعليم اللغات..... ٨٢
من غرائب الشيخ إبراهيم إنياس..... ٨٧
حبُّهُ للرسول عليه الصلاة والسلام..... ٩٥
المحبة في منظور الإسلام..... ٩٧

موقف الإسلام من محبة النبي صلى الله عليه وسلم..... ١٠٥
محبة الشيخ إبراهيم إنياس للنبي صلى الله عليه وسلم..... ١١٤
مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم..... ١٢٠
شغله رضي الله عنه بحب ومدح النبي صلى الله عليه وسلم..... ١٢٣
سبقه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم..... ١٢٥
تشجيعه لآخرين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وحبه ١٢٩
توسلاته بالمصطفى عليه الصلاة والسلام..... ١٣١
الصلاة على الرسول عبر مدحه له رضي الله عنه ١٣٣
زيارته للرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة..... ١٣٥
إستمرارية محبة الشيخ إبراهيم إنياس للرسول عليه الصلاة والسلام..... ١٣٧
خطر الغلول والتنطع في منظور الإسلام ١٤٢
عن الشيخ إبراهيم إنياس..... ١٥١
موقف الشيخ إبراهيم إنياس في الإختلاط بين الرجال والنساء..... ١٦٠
الشيخ إبراهيم إنياس رجل السلام ١٦٥
نص الخطبة التي كان الإمام الشيخ محمد الناصر آدم يقرئها..... ١٧٢
على المنبر في شهر رجب..... ١٧٢
الخطبة الأولى..... ١٧٢
الكلمة التي أرسل بها مولانا الشيخ الحاج إبراهيم إنياس..... ١٨٣
إلى الدجاجلة ونصها ١٨٣
الرسالة الأولى:..... ١٨٣
الرسالة الثانية: ١٨٦
الرسالة الثالثة: ١٨٩
الرسالة الرابعة:..... ١٩١

الرسالة الخامسة: ١٩٣
الرسالة السادسة: ١٩٤
وفاتـــه رضي الله عنه ١٩٩
الخـــــــاتمة ٢٠٣
الإقتراحـــــات ٢٠٥
أهـــم الـــمراجـــع ٢١٠

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله القائل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

والصلاة والسلام على القدوة المثلى سيدنا محمد النبي المصطفى، القائل: **[إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل فقال له: إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، وينادى جبريل في السماء السابعة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء السابعة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الخامسة أن الله يحب فلانًا فيحبونه، وينادي في السماء الرابعة أن الله فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الثالثة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الثانية أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الأولى أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، ثم يوضع له القبول في الأرض]**[1]. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل:١٢١-١٢٢]. وعلى آله الطيبين وأصحابه العاملين الواقعيين، ومن سلك نهجهم وعمل عملهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

[1] متفق عليه، ورقمه في البخاري (٦٠٤٠) ورواه الترمذي برقم (٣١٦١) صفحة (٧٨-٧٩) وقال حديث حسن صحيح.

وبعد: فإنه ليشرفني أن أقدم بين يدي القراء الكرام هذه الطبعة الثانية لكتاب [**الشيخ إبراهيم إنياس الداعية العالـــمي**] توخيت من خلال سطور هذا الكتاب مع صغر حجمه أن أقدم بعض الإنجازات التي حققها الشيخ إبراهيم إنياس كداعية عالمي. وسأحاول بإذن الله أن أقدم تاريخ حياة الشيخ رضي الله عنه للقراء المنصفين الذين وثقوا وتحققوا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، تمشيًا مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤]، الذين لم تتأثر فيهم طائفية ولا قبلية ولا عنصرية ولا جهوية، أولئك الذين جاهدوا نفوسهم وغلبوا على شيطانهم، وكانوا جادين في طلب الحق والصواب، الذين هيمنوا على التقاليد المنحرفة والبدع الضالة والخرافات المبيدة والشعوذة المضلة الذين تعلموا وعلموا ما علموا وعلموا ما جهلوا. ولا يعد من ادعى إستيعاب العلوم كلها عالما بل الواقع.

وقــل للــذي يــدعى في العلــم معرفــة علمت شــيئا وغابــت عنــك أشــياء

الذين يستقون دوما من معين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣]. الذين يعنيهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣]. أولئك الذين أدركوا إتماما أن عدوهم اللدود الجاد الخفى والمانع القريب...هي النفس الأمارة بالسوء.

وأما شياطين الجن والإنس فكلهم تبع لهوى النفس، وهم بمثابة مضاف ومضاف إليه، هم – أي شياطين الجن والإنس – ومن لف لفهم من الأعداء. وكما ورد في الحديث: [**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**

وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب][1]. قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١-٢٢].

ومن ظن أن البناء يمكن أن يقوم على غير أساس فظنه كذب ووهمه باطل. فالطرق الصوفية منبية على فن التصوف، والتصوف الإسلامي مبني على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**][2]. وهيهات أن يكون الإحسان إساءة. وهيهات أن يكون ثقف بدون جدار. كيف يكون إيمان بلا إسلام؟ وكيف تكون محسنا ولم تكن مؤمنًا.

أما الإحسان فقال من داره ... أن تعبد الله كأنك تراه
إن لم تكن تراه فإنه يراك ... والدّين ذي الثلاث خذ أقوى عراك

وإيضاحًا على هذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي: [**ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل الخير حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني**

---

[1] رواه البخاري برقم (٤٥٠) ورواه مسلم برقم (٥٣٣) ورواه الترمذي برقم (٣١٨) ورواه ابن ماجه ورقمه (٧٣٨).

[2] متفق عليه من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه][1]. فالنوافل لا تجدي إلا إذا تسلمت بمدرج الفرائض، ومن لم يؤد الفرض فكيف يتعرض للنفل. ولم نجد أحدًا من المتصوفين. قال إن طريقه الصوفي الإسلامي يغني عن الإيمان أو الإسلام لمن تمسك به. سئل الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه عن التصوف فقال: "التصوف معرفة وعبادة وزهادة، ومن خلا من هذه فهو مدع وهالك لا نجاة له"[2]. ويقول أيضًا: "ولا أتذكر أنني تجاني إلا إذا أخذت السبحة لأداء ورد الصباح أو المساء، أو أقرأ الوظيفة".

قال الشيخ التجاني رضي الله عنه في جواهر المعاني: "لنا قاعدة واحدة عليها تنبني جميع الأصول أنه لا حكم إلا بالله ورسوله ولا عبرة في الحكم إلا بقول الله وقول رسوله وكل قول العالم لا مسند له من القرآن ولا من قول رسول الله فهو باطل وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرام الفتوى بها"[3].

وقال الشيخ الأكبر كما في جواهر المعاني: "إن الحكم المقرر في الشرائع من الرسل عليهم الصلاة والسلام لا ينحل عقده إلا بنبوة، وأما الولاية فليس في وسعها هذا وهو كأن يحدث الله بها حكمًا قرره في الشرائع بالنبوة ويبطله بدون نبوة فلا يتأتى هذا"[4].

ويقول الشيخ التجاني رضي الله عنه عن التصوف: "إتباع الأوامر واجتناب النواهي من حيث يرضى لا من حيث ترضى"[5]. سئل الشيخ أحمد

---

[1] متفق عليه من حديث أبي هريرة، راجع دليل الفالحين، ج٢، ص:٢٦٩.

[2] رسالة مفتوحة إلى كل منصف، للشيخ محمد الأمين إنياس، ص:٢.

[3] جواهر المعاني، ج٢، ص:١٨٩.

[4] راجع الطريقة التجانية والمستقبل رؤية استطلاعية للشيه عمر مسعود، ص:١٢٧.

[5] جواهر المعاني، ج٢، ص:٧٥.

التجاني رضي الله عنه قيل له أيكذب عليك؟ فقال: "نعم، إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه"[1].

يسرني هنا أن ألفت أنظار السادة القراء إلى معنى قول الشيخ التجاني رضي الله عنه "فزنوه بميزان الشرع" الميزان هنا يعود إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس. هذا هو ما عليه علماء المسلمين، على أن العمل بما فيه واجب وضروري ومن ضمن ما تعود إليه كلمة (**الميزان**) أيضًا ما اختلفوا في أن العمل بما فيه ليس بواجب وهو: عمل أهل المدينة – وسد الذريعة – وقول الصحابي والمصالح المرسلة، وغير ذلك مما دوَّنه العلماء الأصوليون في كتبهم.

علاوة على ذلك، فلينتبه كل منا على أن كل فن من الفنون له لغته الخاصة، وكل فرقة أو طائفة أو دائرة من الدوائر لها نظامها الخاص والذي يميزها عن غيرها، ومن المعلوم...علم لا يكتفي بالبيان عنه فحسب، بل هناك حاجة إلى التذوق منه ليدرك الفهمُ حقيقته، هب أن رجلا يدرس غيره كلمة الملح أو السكر...هل يمكن أن يفهم معنى الملح بدون التذوق، وكذلك من يدرس الأعمى لون الأرزق أو البني. ثم إن الطبيب الذي يتخرج في كلية الطب وعين طبيبًا في مستشفى ما، إذا نزع زيه الصحي وهندامه الطبي فإن ذلك لا يمنعه من علاج المريض أو أن يصف له دواءاً.[2] لأن لبس البدلة البيضاء عبارة عن نظام فن الصحة. ولا أظن أيضًا أن السكين التي يعمل بها الطبيب في العملية الجراحية هي السكين عند الحلاق أو الجزار أو الطباخ أو الصياد، وكذلك الخيط والإبرة. وهكذا دواليك.

رويـــدكم لا تنكـــروا عـــن جهالـــة لبغـــي وعـــدوان وعـــين جفـــاء

---

[1] الإفادة الأحمدية، ص:١٣.

[2] راجع كتاب البيان القويم للشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، ص:١٢٧.

وكل حبيب له سبب جعله يحب محبوبه أيا كان تمشيا مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. أي إتبعوني بفعل ما أفعله وابتعاد ما ابتعد عنه وإلا فدعوى محبتكم لله باطلة. ولله در القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لأمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

إذاً، ومن أحب الشيخ إبراهيم إنياس فليصدق نفسه بفعل ما يفعله الشيخ ويأمر به، من اتباع الأوامر واجتناب النواهي، وليس كل من قال أنا أحب الشيخ أو أنا مريده يصدق أنه هو. بل لابد من القرينة التي تدل على أنه هو، لقول الشيخ رضي الله عنه: "مريدي أعوز من الكبريت الأحمر"[1]. الشيخ إبراهيم إنياس صالح وليس بطالح الشيخ طاهر وليس بقذر، والشيخ إبراهيم عابد وليس كسولاً، الشيخ إبراهيم منضبط وليس مقتحمًا في المحرمات هو ومن أحبه حقيقة كما يقول رضي الله عنه:

وصان إلهي نفسي الدهر لا أرى ... أميل إلى ما ليس في الشرع جائزًا
أيا الناس خلوا الهزل واقفوا محمدًا ... وإلا تروني الدهر جد براء
ولا يبتلينا الله بالزيغ والهوى ... نعيش على البيضا ليوم لقاء

ويقول أيضا:

فإن حاد عن نهج الرسول فإنني ... على نهجه ما عشت فهو حميد
أسير غرام لا أزال متيما ... وعن نهج خير الخلق لست أحيد
إذا سار خير الناس سرت وراءه ... وإن حل يوما فالمسير بعيد

ويقول أيضا:

نصلي كما كان النبي مصليا ... نصوم كذا نفقوا سبيل سميدع

---

[1] جواهر الرسائل.

ونفقـــو لا نبقـــى نريـــد صـــراطه نحـــج كحـــج الهـــاشمي المتبـــع
نكـــرر حقـــا لا إلـــه ســـوى الـــذي لـــه الخلـــق والأمـــر العظـــيم التتبـــع

ويقول أيضا:

ولقـــد درى الـــثقلان طـــرا أننـــا متمســـكون بســـنة العـــدنان
نحـــن الأولى درســـوا الكتـــاب وســـل كتاب ونحـــن أهـــل الحـــج والأركـــان
ألا فاشـــدهوا أني أحـــب محمـــدًا وأبغـــض كفرانًـــا كنـــار تلهـــب

ويقول أيضا:

ولا ضـــرني غـــدر الغـــدور وقدحـــه بطه اعتلائـــي دون ضـــرب ولا وكـــز
نفـــى عـــني الأشـــرار طـــه وســـاق لي رجال التقى والرشـــد والعلـــم والفـــوز
صـــلاح أحبـــائي بلـــوح لمبصـــر بطـــاه حبيـــب الله فـــوزًا علـــى فـــوز

هذا هو الشيخ إبراهيم إنياس إمام الذاكرين، وإمام المصلين بل هو مسجد متنقل[1] أثبت الباحثون عن حياته أنه حج سبع عشرة حجة مع بُعد دولته جمهورية السنغال عن المملكة العربية السعودية حج حجته الأولى في عام ١٩٣٧م، والأخيرة في عام ١٩٧١م-١٣٩١هـ.

وأدى العمرة أكثر من ذلك، هو إمام الصائمين. كان يقول رضي الله عنه تحدثًا بنعمة الله:

قـــــواني المنـــــان في الأســـــفار فلســـــت محتاجًـــــا إلى الإفطـــــار
في رمضـــــان غائبًـــــا أو حاضـــــرًا وإن مرضـــــت أو أجـــــد ســـــافراً

[1] عبارة عن أدائه الصلوات في أوقاتها في السفر والحضر. أخبرني الشيخ إبراهيم محمود جوب أن الشيخ يوم أن زار دولة الصين كان في متحف هو وبقية الزوار فرأى الشيخ أن وقت الصلاة قد حان ففرش عباءته على الأرض وأقام الصلاة وصلى، فجعل الناس الزوار ينظرون إليه ولكنه لا يبالي بهم حتى سلم.

هو عابد بكل ما تستوعبها الكلمة من المعاني، وإمام العابدين. كان رضي الله عنه يقول:

أرجـــوا وآمـــل تحقيـــق العبـــودة لي بالمصطفى المنتقـــى يـــا زيـــن أمـــداحي

ولم نسمع أنه رضي الله عنه هتك الشرع ولو يوما، بل كان أحد كبار أصحابه يقول: "نحن نتبع الشيخ إبراهيم إنياس لأننا وجدناه يسير على الصراط المستقيم ولو رأيناه يومًا مثلاً قدم رجله اليسرى عند الدخول في المسجد أو البيت لقلنا له لماذا قدمت رجلك اليسرى عند الدخول في المسجد والرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك[1]. هؤلاء هم الذين عرفوا الشيخ وصحبوه وأحبوه حبًا صادقًا. وهناك من حج من كبار أصحاب الشيخ قبل أن يحج الشيخ إبراهيم رضي الله عنه فرآى الناس في الحرمين الشريفين يقبضون أيديهم في الصلاة وبحث عن ذلك فوجد حجة ذلك – أي قبض اليد في الصلاة – فقال: كيف لم يقدنا الشيخ إبراهيم إلى أن نقبض أيدينا في صلاتنا؟ فإن عدت إلى السنغال لأطلبن منه ذلك. وبعد عودته إلى السنغال زار الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه وبعد أن رحب به الشيخ قدم إليه الشيخ كتابه (**رفع الملام فيمن رفع وقبض إقتداء بسيد الأنام**) وقال له: بعد ذهابك إلى الحرمين الشريفين كتبت هذا الكتاب. فحمد الله وأخبر الشيخ بما كمن في وطاب نفسه يوم أن كان في الحرمين الشريفين.[2]

خـــر لي صـــحبا فضـــلا وخـــر لي مـــن كـــل شـــيء خـــيره وكـــن لي

[1] هو الشيخ عثمان إنجأي أحد كبار أصحاب الشيخ في السنغال كان من الأول.

[2] هو الشيخ عمر توري هو أيضا واحد من كبار أصحاب الشيخ في السنغال.

فالدين – كما في رسالة بعث الشيخ رضي الله عنه بها إلى بعض أحبابه في عام (١٣٨٠هـ): "فالدين لله لا يتخذ لهوا ولا تجارة ولا شهوة بل الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر، وما سوى ذلك فطريق الشيطان. والشيخ إبراهيم رضي الله عنه ليس بدعا من القادة والعلماء والأنبياء والرسل الذين ينسب إليهم ما هم براء منه. فالرسول عليه الصلاة والسلام هو أول من برأ من قوم فعلوا ما تهوى نفوسهم الأمارة بالسوء. كما ورد في الحديث: **[يأتي قوم إلى الكوثر يوم القيامة ليشربوا منه، فيذاد عنه من بدل وغير[1]، فيقول الرسول للملائكة: أليسوا من أمتي؟ فتقول الملائكة: يا رسول الله لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم غيروا وبدلوا! فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: فسحقًا فسحقًا**". أو كما قال[2].

فالإنتساب إلى رسول أو ولي أو عالم بدون القيام بما قام به هو من اتباع الأوامر واجتناب النواهي فقد لا يجدي، كما كان السيد علي سيس يقول لنا: (Bayi bayi rek du doy) بمعنى: الشيخ الشيخ فقط لا يكفي، لا بد لنا أن نعمل مثل ما يعمل الشيخ. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

---

[1] بمعنى فتصدهم الملائكة وتمنعهم.

[2] متفق عليه، وراجع مسلم ١/٣٠٠ – ٤/٧٩٣

كان الشيخ إبراهيم إنياس يحكى لنا قصة الشريف الخراساني[1] هي قصة طويلة يحكيها لنا الشيخ باللغة "الوَلْفِيَّة" مرارًا وتكراراً – سمعت أن بعض الشرفاء في بلاد خراسان كان في النسب أقرب الناس إلى علي رضي الله عنه، غير أنه كان فاسقًا، وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل، ومال الناس إلى التبرك به، فالتفق أنه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فتبعه خلق كثير من الناس فلقيه الشريف – سكران – وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم، فتعلق بأطراف الشيخ وقال له: أسود الحوافر والشوافر، يا كافر ابن كافر! ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أذل وتجل وأذم وتكرم وأهان وتعان؟ فهم الناس بضربه، فقال الشيخ: لا! هذا محتمل منه لجدة، وضربه معدود لجده، ولكن يا أيها الشريف! بيضت باطني وسودت باطنك، فيرى الناس بياض قلبي فوق سواد وجهي، فحسنت وأخذت سيرة أبيك فرآني الناس في سيرة أبيك، ورأوك في سيرة أبي، فظنوني ابن أبيك وظنوك ابن أبي، فعملوا معك ما يعمل مع أبي وعملوا معي ما يعمل مع أبيك.

وفي (أساس الاقتباس) ما نصه إن الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب، وفي ذلك ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون:١٠١]. قال تعالى في حق نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ

[1] تبصرة الأنام في أن العلم....ومفادها أن الفخر بمجرد النسب فقط لا يكفي ولو كان ذلك يكفي لاستفاد أبو جهل وغيره ممن ينتسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرًا ويخالفونه إيمانًا وطاعة الله. الشريف الخراساني عاص وفاسق بمعنى الكلمة. وهناك عالم عابد وداعية له اتباع كثير يحترم ويكرم ويتبرك به فجعل الشريف يحسده ويدعو الناس إلى احترامه هو ويتركون العالم، ولا أحد يستمع إليه، أو يصغي له.

كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥]. وكل من يحتاج إلى الطعام وغيره من الحوائج لا يستحق أن يكون إلها يعبد، فالذي يستحق العبادة هو الله؛ لأنه هو الغني عن كل شيء وعن كل أحد، وكل شيء وكل أحد إليه يحتاج. قال تعالى: ﴿﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر:١٥-١٧].

أما غير الله فإنه لا يجوز أن يعبد بل الجائز في حقه الاحترام. العبادة هي ما رسمها المعبود ووعد بفعلها الثواب وأوعد العقاب بتركها أو بفعلها بوصف غير الذي وصفه المعبود حدًا ووصفًا كما ووقتا.

وأما الاحترام فتبادل بين المُمحترِم والمُتحرَم، ويكون بما يراه المُحترِم أحترامًا لمُحترَمه، وليس المُحترَم هو الذي يصف كيف يحترمه المحترم. فتبادل الاحترام جائز ما لم يكن ثم مانع شرعي بنص صريح، وإلا [**إنما الأعمال بالنيات**][1].

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: "لا ترجون إلا ربك ولا تخافن إلا ذنبك. قال تعالى: ﴿﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر:١٨].

سينجو نبي الله عيسى عليه السلام ممن يدعى محبته من قومه أن اتخذوه إلها من دون الله وقد حذرهم نبي الله عيسى عليه السلام عن ذلك حسب طاقته.

---

[1] متفق عليه.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٤].

وقال أيضا: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة:٧٧].

كم من رسائل بعث بها الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه في قيد حياته إلى الدجاجلة ممن يدعون الانتساب إليه؟ أبدي الشيخ في تلكم الرسائل براءته من أولئك الإباحيين ومما يصنع. هؤلاء المارقون عن الإسلام فكيف يصح انتسابهم إلى شيخ الإسلام؟ وسوف يوقف الله نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة ليظهر الله برائته أمام الملإ عما فعله قومه باسم المحبة العمياء والإكرام الغالي، وحاول نبي الله عيسى عليه السلام أن يمنعهم فأبوا. وسوف يوجه الله إلى نبيه عليه السلام السؤال عن تلكم القضية والتي هو بريئ منها ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢]. فيقول له: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ

أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة:١١٦-١١٩].

وهكذا نجد أن قوم عزير غرهم الإعجاب بما جاء به عزيز من حفظ التوراة وتلاوتها إرتجالاً إندهش بذلك عقولهم وقالوا: عزير ابن الله. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١].

هكذا نجد الأمم الماضية تتلخبط وتتقهقر في سيرها و لم يوفقوا في معرفة الفرق بين الألوهية والنبوة، ولا بين الأبوة والبنوة، ولا بين الأخوة في الدين والرحمية، أولئك لا يعرفون الفرق بين المجاز والحقيقي، ولا بين الصورة الأصيلة وغيرها. فكل فن يطلب إلى مراجعة المتخصصين فيه عند إرادة البيان الشافي فيه وإلا فسنظل متخبطين بين الخطإ والصواب. قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل:٤٣]. قال الإمام البوصيري في حق هذه الأمة الإسلامية.

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

أما ما يقوم به الشناظير مِنْ مَنْ يدعي اتباع الطرق الصوفية من هتك الشريعة الإسلامية وإساءة الأدب بألفاظهم ومعتقداتهم الضالة، فلا يصح أن ينسب ذلك إلى القادة أو إلى شيوخ الطرق الصوفية. لأننا إذا انصفنا لا نسند ما يقوم به بعض المسلمين في خانات الخمور وبيوت الدعارة واللهو والمجون والأنواع المختلفة من أعمال الفسوق إلى التعاليم الإسلامية، ولا نقدم هؤلاء الفسقة كمثال أو نموذج للمسلم الأصيل. قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤].

فالشيخ إبراهيم إنياس مثلا له أتباع في نيجيريا لا يقل تعدادهم عن ستين مليون مريدًا، ما بين الرجال والنساء ناهيك عن غيرها من الدول في العالم، ولا شك أن هذا الكم الهائل منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات.

وسأحاول بإذن الله أن أرفق للقراء الكرام صوراً لبعض الرسائل التي بعث بها الشيخ إبراهيم إنياس إلى أحبابه في جميع أنحاء العالم لتظهر برائته من كل من لا يتمسك بالشريعة الإسلامية وبراءته من كل من يهتك الشريعة ويقتحم المحرمات باسم الطريقة أو الانتساب إليه. فقد حذر شيوخ التصوف الإسلامي قديمًا أن ينتسب الإنسان إلى التصوف الإسلامي بدون معلم، وقالوا من لا شيخ

له فالشيطان شيخه، ليبدو جليا بين عشاق الطريقة وعشاق الرغيفة وليميز الفطن بين الدعاة إلى الفيضة والدعاة إلى الفضة. قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

ولأن تربية النفس أو القلب عند علماء تزكية النفس تتطلب مهارة وخبرة كي لا يقع السالك في فخ الشيطان أو هوة هوى النفس الأمارة بالسوء إذ كيفما يكون المربي يكون المربي عليه. يقول الشيخ عبد الواحد ابن عاشر في متنه:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه
يحاسب النفس على الأنفاس ويزن الخاطر بالقسطاس
يحافظ المفروض رأس المال والنفل ربحه به يوالي

ماذا نقول في مريض لا يعرف أنه مريض؟ أو مريض علم أنه مريض ولكنه لم يطلب الدواء من الأطباء، أو مريض قام المتخصصون من الأطباء بفحصه ووصفوا له دواء ووقاية ليبرأ من مرضه فأبى أن يستعمل الأدوية أو أن يتوقى بتلكم الوقاية، فأني له البراء والشفاء. وعمومًا يقول الشاعر الكبير والمفلق الفصيح:

لا تعجبن من هالك كيف هوى بل فأعجبن من سالم كيف نجى

ولا تفوتني الفرصة هنا أن أقدم أسمى آيات الشكر والتقدير للذين مدوا إلي يد العون في القيامة بهذه الخدمة المتواضعة تجاه شيخنا الموقر...الشيخ الحاج إبراهيم إنياس رضوان الله تعالى عنه. وأخص بالذكر هنا الشيخ أحمد التجاني

سيس الإمام الأكبر لجامع الشيخ إبراهيم في مدينة كولخ لتوجيهاته الرشيدة، وتشجيعاته النبيلة لنشر هذه السطور بين الإخوة والأحباب.

ولا أنسى مجهود الدكتور أحمد العبدلاوي ابن الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ مدينة كانو لما قام به من مراجعة هذا الكتاب. ولقد قام الدكتور محمد الحافظ ثاني إمام وخطيب جامع الشيخ إبراهيم إنياس في مدينة كانو بمجهودات جبارة في مراجعة هذا الكتاب والتشجيع في طبعه ونشره، هو ومن لف لفه من الإخوة والأحباب. جزى الله الجميع بالخير الكثير وتقبل الله منا ومن الجميع صالح الأعمال.

المؤلف:

الإمام/الشيخ محمد الناصر آدم

رئيس هيئة الشرعية الإسلامية في كانو

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله القائل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، من قال في حقه أصدق القائلين: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات]. سيدنا محمد صادق الوعد الأمين. القائل: في حديث رواه أحمد في مسنده باسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ووجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد. فاستزدت فزادني كل واحد ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي". وعلى آله مجاهير التقى وأصحابه صهاريج ونباريس الهدى، الذين اتبعوه في ساعة العسرة من المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدا. يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. رزقنا الله قلبا سليما من الشوائب والذوائب.

أما بعد: فإنه ليشرفني أن أقدم بين يدي السادة القراء الطبعة الثالثة لكتاب **[الشيخ إبراهيم إنياس الداعية العالمي]** تمتاز هذه الطبعة عن غيرها بزيادة موضوعات. ونقاحة في الكتابة نوعا ما. توخيت في خلال تقديم هذا الجهد المتواضع أن ألقى الضوء على منهج مدرسة الشيخ إبراهيم إنياس في الدعوة والإرشاد. وذلك لأن بعض الناس يستاؤن الفهم بكلمة التصوف. علما بأن تجدُّد الإسم لايَضَرُّو المضرُ حسب التعاليم الإسلامية هو تجدد الفعل، تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". حديث صحيح. إخترما شئت من الأسامى إما الزهد وإما الإحسان أو علم تزكية النفس أو التصوف، إختلفت الأسامى والمعنى واحد. وكثرة الأسامى تدل على شرف المسمى.

يقول الدكتور/محمد محمد أبو موسى: (التصوف ليس مخيفا بالألغاز والطلاسم والأشياء العجيبة والأمور المريبة. لكنه عالم مفعم بالروحانية، وإتصال القلب بالله تعالى، وكل ما فيه من أسرار إنما هي أسرار القلوب مع علام الغيوب. وأسرار التصوف كلها أنوار. لذلك تتذوقها قلوب أهل الحب. وتتعرف عليها بلا تعريف ولا معروف. التصوف ليس هو عالم الجذب والشطح والخمول والكسل والبدعة ... بل التصوف عالم العلم والعمل، والجهاد ومجاهدة الجسم والقلب مع الخلق. التصوف ليس بطالة أو تعطيل الشريعة، بل هو حقيقة الكتاب والسنة. فلا حقيقة دون شريعة، ولا شريعة دون حقيقة. التصوف باحة واسعة وفسيحة من الحب الذي يبنى عليه كل شيء في هذه الحيوة. وساحة الحب تتسع بقدر إتساع قلوب المحبين، واكتمال أرواحهم.) يقول إمام المذهب

إمامنا مالك رحمه الله: من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف و لم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

فإذا وجدنا أدعياء التصوف (وهم لايزنون شيئا بميزن الشريعة والحقيقة) فما شأن الصوفية بذلك؟ فالأدعياء يوجدون في كل مجالــ زمانا ومكانا. أيها الأخ كن منصفا، لاتحكم على الصوفية من خلال أدعيا التصوف. التصوف هو مرعاة درجة الإحسان الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه إن لم تكن تراه فإنه يراك". (والشريعة واضحة، وطريقنــا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة وما خالف الكتاب والسنة، فاضرب به عرض الحائط).

يقول الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه: إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميــزان الشرع وما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه. ويقول المرحوم الإمــام الشــهيد محمد سعيد رمضان البوطي ١٩٢٩-٢٠١٣م (نحن نؤمن بالتصوف ولكننا ننكر التصوف عندما يكون وعاءًا لبدع كاذبة أو سلما لشهرة. ما كفرنا بالتصوف الذي هو لب الإسلام). لا شك أن أدعياء التصوف شَوَّهُوا سمعــة التصــوف حيث ألحقوا به ما ليس منه، وأدخلوا فيه ما ليس منه. جهلا بمبادئه الواضــحة الشفافة التي لا غموض فيها. وتجاهلا بالدرب الذي سار عليه الأولُ من السلف الصالح.

والولي لا يأتي بشيء جديد إنما يأتي بفهم جديد. قال تعــالى﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وإذا أتاح الله فرصة إبراز الفهم في أمر من أمور الدين، ليس لأحد إمكانية منع ذلك. يقول على كرم الله وجهه عند ما وُجِّهَ إليه بسؤال، هــل خصــكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس في القرآن؟ وفي رواية ما لــيس عنــد

الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعْطَى رجل في كتاب الله. رواه البخاري في كتاب الديات. ألعيب كله في الجهل بالدين. يقول الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه: تعلموا لتجعلوا الناس ناسا. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**]. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلال كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا**].

تجددت أسامى الأشياء الكثيرة والتي لم يعرفها الصحابة بهذه الأسماء، والفعل لم يتغير أو يتجدد منه شيئا، أضرب المثال – بالمذاهب الفقهية والطوائف العقدية، والمناهج العلمية. الإسلام دائما ينكر على البدعة ولا ينكر على الأبداع. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**].

هناك عدة أشياء تَجَدَّدَ لها الإسم في زماننا بما لم يعرفه المتقدمون كحفل تدريس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره المعروف اليوم بالمولد النبوي. قال تعالى﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [إبراهيم].

يقول شاعر:

وكـــل بدعـــة ضـــلالة نعـــم شـــرعا لمـــا إســـناده قـــد إنعـــدم
ومـــا إســـناد فرضـــة أو ندبـــه بـــاد فلـــيس بدعـــة فانتبـــه

أدخل الله في القرآن الكريم كلما يمت بالدين الإسلامي بصلة سواء ما ظهر في عصر الصحابة أو ما لم يظهر إلا بعد عدة قرون، تمشيا مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء]. وقال أيضا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة].

يقول العلامة السيد عبد الله الغماري في رسالة سماهـا (حسـن الـتفهم والدرك لمسألة الترك):

الترك لـيس بحجـة في شـرعنا لا يقتضـي منعـا ولا إيجابـا
فمـن ابتغـى حظـرا بتـرك نبينـا ورآه حكمـا صـادقا وصـوابا
قـد ضـل عـن نهـج الدلالـة كلهـا بـل أخطـا الحكـم الصـحيح وخابـا
لا حظـر يمكـن إلا أن نهـي أتـى متوعـدا لمخالفيـه عـذابا
أو ذم فعـل مـؤذن بعقوبـة أو لفـظ تحـريم يـواكب عـابا

قـال تعـالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]. وقال أيضا ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام-٣٨].

ومن العدل والإنصاف أن يتوقف كل عالم عن الفتوى بما لم يتخصص فيه، وهناك عدة من تخصص فيه من العلماء.

كتب الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه رسالة إلى بعض أتباعه في عام ١٤٣٦هـ يقول فيها (وإني شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والأفعال بإمتثال الأوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن، والتعطش والتشوق إلى مرضاة الله ورسوله. وأما من ينتسب إلينا ويترك شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة بإقتحام المحرمات وترك المأمورات، فاشهد الله وأشهدكم أني بريئ منه. أللهم إني بريئ مما صنع هؤلاء.[1] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور-٦٣]. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]. قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

[1] راجع البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم للكدمتور علي، جمعة مفتي الديار المصرية.

علة بعث الرسل إلى الناس

كرم الله بني آدم بما لايحيط به البشر عدا ولا حصرا، ومن كرم الله عليه أن بعث إليه الرسل كي لا ينطلق سراحه للرحلة التي لايعرف الإنسان منتهاها لولا بعث الرسل إليه. قال تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات]. وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف].

ثم إن هناك عدة أشياء تؤكد حاجة الإنسان إلى بعث الرسل إليه ليبعدوه عن الشر ويقربوه إلى الخير والسعادة في الدنيا والآخرة:-

عجز الإنسان عن معرفة ما له علاقة صحيحة أو تأثير أكيد بسعادته أو شقائه، لا من بعيد أو قريب. قال تعالى ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]. وقال تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**][1] قال تعالى ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

---

[1] رواه الترمذي، وقال حديث حسن ورقمه (٢٤٥٩) والإمام أحمد في مسنده برقم (١٧١٢٣) ورواه ابن ماجه برقم (٤٢٦٠)

والذين يرون أن العقل وحده يكفي لهداية البشر لا أساس لما قالوه من الصحة. وذلك لأن العقول تتفاوت حِدَّةً وتوقدا ذكاء وتفطنا وتتناقض في تقييمها للحقائق والأشياء، وفي إستحسانها وتقبيحها. ففي مجال السياسة مثلا هناك من يستحسن الديمقراطية ويستقبح الدكتاتورية، وكذلك إذا مر بنا التتبع في علم الإقتصاد. فالبعض يفضلُ الرأسمالية على الشيوعية أو الماركسية أو العكس. إذًا فلا يمكن أن تهتدى العقول إلى الصواب بدون قائد أوهاد إلى ذلك.[1]

الناس محتاجون إلى الرسل، لأنهم- عاجزون كل العجز عن معرفة ما وراء الطبيعة، فمثلاً البصر لايدرك إلا المرئيات المحدودة على بعد معين، ويعجز عن

---

[1] **الديمقراطية**: المباشرة هي أن يتخذ فيها الشعب قرارات بشأن المبادرات السياسية غبر التصويت مباشر من أفراد الشعب ويعتقد أن تقديم الديمقراطية مباشرة وهي ديمقراطية الأثنية في القرن الخامس قبل الميلاد، غير أنها لم تكن ديمقراطية شاملة إذ أستبعدت النساء والأجانب والعبيد. **٢. الديكتاتورية**: هي نوع أنظمة الحكم يستأثر فيه الحزب أو الفرد أو الحاكم بالسلطة المطلقة، أي أن الحاكم يهيمن ويسيطر على جميع مفاصل الدولة بينما تصنع حريات الشعب غالبا ما يأتي الدكتاتورية إلى السلطة جراء ظروف غير طبيعية يواجه شعبه ودولته فيشق طريه ويتمسك بالكرسي، وحتى يظل قائما على رأس السلطة. لايجب عليه الإكتفاء بدعم الحلفاء الأقوياء محليا أو دُولَيا بل عليه التخلص من معارضيه بأي سبل متاحة. يعتبر المؤرحون أن الفرنسي (نابليون بوتابرت) أول ديكتاتوري، حدث في فترة تميزت بإضطرابات إجتماعية وسياسية كبرى بدءا من عام ١٧٨٩م تحولت فرنسا من ملكية إلى جمهورية ثم مجددًا إلى إمبراطورية. **٣. الرأسمالية**: هي نظام إقتصادي يقوم على الملكية للخاصة لوسائل الإنتاج وخلق السلع والخدمات من أجل الرأي. ويعود تاريخه إلى أواسط القرن السابع عشر. وبعبارة أخرى الرأسمالية هي نظام إقتصادي ذو فلسفة إجتماعية وسياسية تقوم على أساس زيادة الملكية الفردية والمحافظة عليها. وبما أن الرأسمالية تشجع الملكية الفردية فإنها تقلل من الملكية العامة، ويكون دور الحكومة فيها دور رقابي فقط. ٤. **الشيوعية والإشتراكية والماركسية إقتصادي وفلسفي وسياسي**: يدعو إلى المساواة وإزالة الطبقات الإجتماعية، يعود تاريخ الشيوعية إلى عام ١٩١٧م منذ إنطلقت ثورة لنين في الأراضي الروسية. نشأت الشيوعية كنظرة سياسية في نهاية القرن التاسع عشر ضمن الفكر الإشتراكية. ويُعَدُّ الفيلسوف الماني "كارل ماركس" ١٨١٨-١٨٨٣م برر مؤسسها. وفي النظرية الماركسية تعد الشيوعية مرحلة معينة من مراحل التطور التاريخي الذي يخرج حتما من تطور القوات المنتجة التي تعود إلى غزارة في الثروة المادية التي تسمح للتوزيع المبني على الإحتياجات الإجتماعية التي تعتمد على حرية الأفراد.

رؤية ما وراء حد البصر، وأني للبشر أن يدرك حقائق الآخرة بدون الرسل أو ورثتهم. قال تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم].

مثل الإنسان في الدنيا كمثل مكفوف البصر ولا بدله من قائد أو ما يقوم مقامه ليقوده إلى الطريق، وإلا فوقوعه في المتاهات والمهالك أسرع من سيره على الصراط السوي. قال تعالى﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء]. فدور الرسل هو تبيان الطريق الصحيح إلى معرفة الله، فمعرفة الله بدون الرسل أو ورثتهم مستحيل. قال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان]. وقال أيضا ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان].

الناس في حاجة إلى معرفة كيف يعبدون الله، ومن يكون لهم قائدًا ودليلاً إلى ذلك، فوجود الرسل هو الزعيم والكفيل بذلك؟ قال تعالى ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف]. وقال أيضا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام]. وقال في حق موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف].

من دور الأنبياء هداية الناس إلى معرفة الحلال والحرام، وترسيخ قوانين المعاملات بحيث يعيش الناس على كفة لاضرر ولاضرار.[1] متحابين متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ومن الرسل ينبع معين مبادئ الأخلاق والآداب والسلوك. قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]. وقال أيضا

[1] رواه ابن ماجه ورقمه (٢٣٤٠) ورواه الدار قطني والإمام مالك في الموطأ.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

لم يخلق الإنسان سدى، إنما خلق لمهمة وهي أن يعرف الله ويعبده تمشيا مع قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]. فبدون الرسل لايمكن للإنسان أن ينجو من التلوث بجراثيم الشرك والضلال أو التخبط في ويلات إتباع الهوى والإنزلاق في محن الإنقياد لأوامر العدو الخفي. قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر]، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [يوسف].

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فالتهم
ولاتطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

ومما يشير إلى إحتياج الناس للهادي إلى الصراط المستقيم أنه سبحانه وتعالى لايخاطب عباده مباشرة، وذلك تنزيها لذاته المقدس ومن جهة أخرى إشفاقا منه على عباده لأنهم لايستطعون معرفته خياليا بدون واسطة، تمشيا مع قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾. وقال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى]. وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك. إذًا فلابد من جعل السفراء بينه وبين خلقه، وهم الرسل أو الذين ورثو الرسل في مهمة الدعوة والإرشاد. قال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى].

ومن الحكمة في إرسال الرسل إلى الناس، أن الله سبحانه وتعالى أعد لعباده الرضوان وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. وإذا لم يرسل الله الرسل فكيف يصل الناس إلى هذا الخير الموعود به. بالله عليك قل لي: رجل وجهت إليه الدعوة إلى ضيافة و لم ترسل إليه من يرشده إلى الطريق وهو لايعرف عنوان محل الضيافة. فهل أنصفت له؟ وهل أحكمت نظام إستقبال الضيوف. قال تعالى ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء].

لَمحَةٌ سريعـــة عن تاريخ حـــياة الشيخ رضي الله عنه

نســـبه رضي الله عنـــه:

هو الشيخ إبراهيم إنياس، ويكنى بأبي إسحاق. ومن حسن الحظ أنه رضي الله عنه ذكر نسبه بنفسه في مقابلة صحفية أجرته معه إذاعة (**غَمْبِيَا**) باللغة الولوفية.[1] ولا شك أن الشيخ رضي الله عنه ذكر تاريخ أجداده هنا، وليس ذلك فخرًا بالأجداد. وكيف ذلك وهو كان يقول: إن مجرد الإنتساب من الماضي لايفيد في الحاضر ولا في المستقبل. إنما ذكر الشيخ نسبه تمشيًا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: فاعلموا أنسابكم لكي تصلوا به أرحامكم. وفي رواية "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم".[2] وكان الإمام الغزالي يقول في حق السلف الصالح: إذا تعذرت رؤيتهم لاشيء أنفع للنفس من سمع أخبارهم. ولأن كل واحد من أجداده رضي الله عنه قام بما لايسع للتاريخ أن ينسى به في شتى مجالات الدعوة الإسلامية. ناهيك عن توسيع رقعة الإسلام في السنغال ونشر التعاليم الإسلامية وبث أخلاقه الفاضلة، وقد ترك كل منهم بصمات واضحات في مجالات الدعوة.

وينتهي نسبه الشريف إلى عقبة بن نافع، ومن ناحية ينتسب الشيخ إلى أسرة رفيعة المستوى وراقية في السنغال، وهي أسرة إنيسين. والتي يمتد جذورها إلى الأمير العربي محمد الرضى الذي قدم من المغرب العربي إلى السنعال وثوى به المقام فيها، حيث تزوج من ملكة البلد المعروفة بالملكة جَيْلَ إنياس، ولقب الأمير العربي بهذا اللقب لما تزوج منها. واللقب عند السنغاليين "شيء لايستهان به،

---

[1] الصحفى الذي أجرى المقابلة مع الشيخ هو منصور جَايْ.

[2] رواه الترمذي- رقمه (١٩٧٩) وأخرجه أحمد في مسنده.

وفي بعض الحالات والظروف يكتفى الناس باللقب عن الإسم مثل ثام جُوبْ، سيسى غى غوم. ومحمد الرضى إنياس ليس أميرًا فحسب إنما هو مجاهد كبير، وبعد أن تزوج بالملكة لم يمكث معها إلا شهران، فتاقت نفسه إلى الرحيل قدمًا للجهاد، فأسر زوجته أنه يغادر البلد فأوصاها بإبنه. قال لتخبره أن دين أبيه هو الإسلام، فليتمسك به دينا، ولم يكن الأمير الرضى يعرف أن إبنه هذا سيخرج من ضئضئه من يرفعون ألوية الجهاد ويحملون شعلة الدعوة والإرشاد[1] وولد للرضى صَنْبُ الرضى، وولد لصَنْبَ الأمير صنب جُرُوفَالْ، ثم ولد لصنب جروفال محمد الأمين، وهو أول من تصدر لتعليم الطلاب العلوم، ومن كان قبله من الأجداد كانوا أمراء. ثم ولد لمحمد الأمين بَكَر وكان حافظا لكتاب الله عن ظهر القلب، وعالمًا كبيرًا، وولد لبكر محمد مَدَنْبَ[2] وهو ليس حافظا للقرآن فقط، بل هو ماهر بالقرآن وعالِمًا. يقوم بتفسير القرآن الكريم، وكان مفتيا وملجأ لأهل زمانه، وولد له المتوكل وولد للمتوكل برم، وولد لبرم برك، وولد لبرك سالم، وهو أول من قطن قطر سين سالم، وولد له محمد الذي حفَّظ ابنه القرآن. يكتب له الدرس في اللوح عن ظهر قلبه. ولما وصل درسه سورة الكهف صادف ذلك وصول نسخة القرآن الطبعة الأولى إلى السنغال، فواصل الحاج عبد الله إنياس الكتابة بها فحفَّظ الشيخ محمد إنياس إبنه الحاج عبد الله إنياس القرآن الكريم.

---

[1] السيد إبراهيم ابن الشيخ بشير سيس في كتابه إنسانيات داعية.

[2] كان السيد محمد قادريا وهو أول من وفد من فوتا إلى قطر سين سالم إلا أن همته العالية شغلته بكثرة تلاوة القرآن ليلا ونهارا- قال لإبنه الحاج عبد الله إنياس عند ما استأذنه في التمسك بالطريقة التجانية من خاله إبراهيم تيام كلل، قال له السيد محمد لابأس إلا أنني لم تترك لي تلاوة القرآن فراغا أفعل شيئا سواها إلا الفرائض- ولعل من أجل هذا كان الشيخ رضي الله عنه يقول: كان ورد السيد محمد تلاوة القرآن. حدثني بهذا كل من الشيخ محمد النذير إنياس، والشيخ قريش إنياس، والشبخ مصطفى ابن الشيخ عمر غي. وسرد الأجداد كما هو هنا سمعته من محاضرة للشيخ حسن سيس والتي ألقاها في طيب إنيسين ونشرتها إذاعة الفيضة في مدينة كولخ. إذًا الشيخ محمد والد الحاج عبد الله ليس قادريا، إنما طريقته كثرة تلاوة القرآن الكريم.

ولد الحاج عبد الله إنياس في سنة ١٨٤٨م. الموافق ١٢٦٠هـ. وتوفي في سنة١٩٢٢م، الموافق ١٣٤٠هـ. وكل واحد من هذه البهاليل الكرام، فحياته حافلة بما لايتسع الوقت بذكره من الإنجازات الهائلة والآثار الناجزة والمواقف المرموقة والتي لايحظى بها إلا الموفقون في الحياة. جزاهم الله عن الأمة الإسلامية خيراً.

إنا بنو الاقيال والأمراء والـ ـعلماء والصلحاء في السودان
إنا لعمرك معدن الأسرار والـ ـعرفان رغم الأنف من هيان

ولادة الشيخ ونشأته:

ولد فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه يوم الخميس بعد صلاة العصر، بتاريخ ١٥ رجب ١٣٢٠ هجرية. الموافق ١٩٠٠/١٠/١٧ ميلادية، في قرية طيب انيسين، قرية أسسها والده، وتقع في مقاطعة نُيورُو بإقليم كوخ سنغال، والتي يشير إليها شيخان أحد كبار أحباب الشيخ في مورتانيا.

به طيب انيسين تحوز فخراً لساكن سالم وبلاد سين

وهناك رواية أخرى تثبت أن الشيخ رضي الله عنه كتب رسالة بخط يمينه المباركة إلى خازن سره السيد علي إبن الحسن سيس ونصها:-

الحمدلله وحده، والسلامان على من لا نبي بعده، أما بعد: فإني أظن والله أعلم أن تاريخ الولادة عام ١٣١٨ ه. وإن كنت تلقيت هذا من الثقاة فلا تمحه. وإن أردت التاريخ بعد فاعمل بما أَثْبَتُّ. والخلاف في ذلك لايضر شيئا، فهو دأب المؤرخين. والسلام وكتب إبراهيم ابن الحاج عبد الله التجاني بكوس ١٣٥٣هـ.

ولعل الحكمة بين الرواية الأولى والثانية تظهر جليا إذا علمنا أن الشيخ رضي الله عنه لما بلغ السنة الواحدة والثلاثين بالميلاد وظهرت على يديه الفيضة التجانية سرعان ما ظهرت العداوة والبغضاء له من قبل مناوئيه الذين لم يسرهم ظهورها على يديه، لقد بالغ هؤلاء في المكر والضغينة، وما تخفي صدورهم أكبر. لذا جاء إليه بعض كبار المريدين والأحباب ليخبروه بما إطلعوا عليه من إئتمار المناوئيه عليه رضي الله عنه، فطمئنهم بأنه سمع من لسان من لاينطق عن الهوى أنه لايضره مخلوق كائنا من كان. وأنه أعطى من العمر فوق ما أعطى والده. وأن هذا لولا أنه مراد الحق ما أحبه لعدم حاجة في الدنيا لما فيها من المنواشات.

فإذا عادت بنا الجولة إلى ملف التاريخ نجد أن الشيخ الحاج عبد الله إنياس الوالد، من مواليد ١٨٤٨م وتوفى في عام ١٩٢٢م وله من العمر أربعة وسبعون عاما. فمن هنا يظهر كلام الشيخ أنه أعطى من العمر أطول من والده. ويشير الشيخ الحاج مشري إلى هذا التاريخ[1] بقوله:-

مجدد القرن استراح منه (٩٥) وعمره كنز (٧٧) وفيه كنه (٧٥)
زاد على الأب العظيم القدر بسنة ما الشمس مثل القمر

عند ما نتكلم عن ما يتعلق بالتاريخ فلا يصح أن ننسى بالفوارق التي كانت بين التقويم الشمسي والقمري. ومهما يكن من أمر لاضير. وبما أن الاختلاف ديدن التاريخ وشنشنة رجاله. والله ولي التوفيق.

---

[1] من أخبار الشيخ إبراهيم صفحة -٤٢.

نشأ رضي الله عنه في رعاية الله وعناية والديه الحاج عبد الله إنياس، والسيدة عائشة المعروفة بـ(جَنْقَ). بدأ يتعلم القرآن عند السنة الخامسة من عمره على يد والده ومربيه، ومعلمه وشيخه الحاج عبد الله إنياس.

رضى الله عن شيخي وأصلي ومرشدي وقد عاش يهدينا إلى الدين ناصرا
لدى حوالي طيبة فلتطردا كل شرور أبدا وسرمدا

لقد منَّ الله على الشيخ بحفظ القرآن عن ظهر القلب بعد زهاء سبع سنوات بالإلتحاق بالكتاتيب، برواية ورش عن نافع. وواصلت مسيرته التعليمية بعد حفظ القرآن، و لم تكمل له عشرون سنة من عمره حتى إستوعب كل ما في المنهج الذي يطبقه العلماء في مدارسهم آن ذاك. وهو- أي- المنهج عبارة عن المواد الدينية والعربية بكل ما يشير إلى الشمول والإستيعاب ومصداقًا. لهذا نجد أن الشيخ قد بدأ تأليف الكتب ونشر العلوم وهو في السنة الحادية والعشرين من عمره، ويبدو أن إطلاع الشيخ لم يقف على كتب المنهج فحسب بل جاوزت همته ذلك بكثير، وكان يطلع على الكتب التي كتبها معاصروه من العلماء في السنغال وغيرها. يتضح هذا جليا حيث يقول:-

قد قال في هذا المجال الأمجد خادم طه المالكي أحمد[1]

يشير الشيخ هنا إلى الشيخ أحمد بَكّى مؤسس الطريقة المريدية. والكتاب الذي ألفهُ الشيخ في هذه السنين المبكرة هو كتاب روح الأدب، وكتاب نور البصر في سيرة سيد البشر، هو أيضا كتبه الشيخ في عنفوان شبابه كما أقر بذلك حيث يقول:-

---

[1] إشارة إلى ما قاله الشيخ أحمد بمب راجع كتاب مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني- صفحة (٤٠) ويلقب بخادم رسول الله.

رب هبلـــي ازديارهـــا دون عجـــب في شـــــبابي فـــــإن ذاك المنـــــالي
ولبـــــى إحـــــدى وعشـــــرين ســـــنة معـــــذرة مقبولـــــة مستحسنـــــــــة

ففي سنة١٣٤٠هجرية، الموافق١٩٢٢ميلادية، توفي والده الشيخ الحاج عبد الله إنياس بعد أن إرتوى الشيخ من معين العلم وتضلع من صفاء الأخلاق وتسربل بالصبر والأناة، ونال ما تمنى وأعطي الحظ الأوفى، وتربع على عرش الخلافة العظمى، وجلس على كرسي القيادة والزعامة العليا، وأكرم بأصناف التوفيق والقبول، وسخر له البلاد والعباد، ونال مالم ينله غيره من الدعاة من ناحية الإذن في الإرشاد، فواجهه مالم يواجه غيره من الدعاة أصنافًا من الإنكار حسدًا.

وقد لبى دعوة الشيخ في البداية الفائزون، وأحبه السعداء المفلحون، وخدمه الجهابذة من العلماء العاملين والأمراء والتجار والموظفين الرابحين، فنالوا بركة لاتنقطع وأنوارا لاتنطفئ وعزا لاينخفض. هم الشعلة في الهداية والمراكز العامة في الدعوة. قال الشيخ رضي الله عنه:-

قـــاد الإلـــــه الإنـــس ثم الجـــــن لطـــــاعتي وقـــــد أدام المـــــــنا
عســـى أرى مـــن كثـــرة الأتبـــاع مـــالم ينلـــه النـــوح خـــير داع

قرائته للكتب ونظره في العلم

لا يولد الإنسان بالعلم إنما يكتسبه بعد ميلاده تمشيا مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه**].

ويقول الإمام الشافعي:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه الجافل
وإن صغير القوم إن كان عالما ... كبير إذا ردت إليه المحافل

كان الشيخ إبراهيم إنياس قليل النسيان لما تعلم أو قرأ أو سمع وكان رضي الله عنه يقول: لا أري أن من قال إنه تعلم كذا أو سمع كذا أو قرأ كذا ونسيه، لا أراه جادا في ذلك، لولا أن القرآن الكريم تطرق للبيان عن النسيان مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ﴾ [الكهف:٦٣]، وقوله أيضا ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى]. يقال إن الإمام الشافعي شكى إلى شيخه وكيع سوء حفظه للعلوم. وقد قيل: عافة العلم النسيان. قال الإمام في شعره:-

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لايهدي لعاصي

وقال آخر:

لقد نسيتك والنسيان مغتفر ... لأن أول الناسى أول الناس

وكانت السيدة بَاجَنْ أست (عائشة إنياس) هي أم يَافَاةِ إنيـــاس (فاطمـــة) زوجة السيد علي سيس، وجدة الإمام حسن سيس، وهي زوجة الشيخ الأولى. كانت تقول لحفيدها الإمام حسن: الليلة شمعتان ونصف، قال لها: ماذا تقصدين بأن الليلة شمعتان ونصف يا جدتي؟ قالت: جدك الشيخ إبراهيم إنياس إذا صلى العشاء وتناول العشاء، يقول لي إشعلي شمعة فأشعلها له فيفتح الكتاب وينهمك في القراءة، حتى تكاد الشمعة أن تذيب وتنطفأ. يوقظني لأشعل له الشمعة الثانية فيواصل في المطالعة حتى تذيب الشمعة الثانية وتكاد أن تنطفأ، يوقظني لأشعل له الشمعة الثالثة، فإذا انتصفت الشمعة الثالثة يضم الكتاب ويتجـــه إلى المســـجد لأداء صلاة الصبح. وقد أحيا الليل كله في قراءة الكتب. لتكرار ذلك مع جدك علمت أن الليلة شمعتان ونصف. حدث شيء تجمّعَ من أجله طلاب جامعـــات الدول العربية من السنغاليين، وخاصة المملكة المغربية في مدينة كـــولخ. فـــألقى الشيخ لهم خطابا. وقال لهم بعض الناس يقولون إنني لم أتعب في الحصول على العلم أقول لكم أنني قرأت وقرأت حتى كدت أن أموت، بمعنى أنـــني صـــرفت أوقاتي كلها للعلم، وقال: من أعطى للعلم وقته كله يعطيه العلم شيئا منه، ومن أعطى للعلم شيئا من وقته لاينال منه شيئا. ما يشير إلى أن العلم لايُنَالُ منه شيء إلا بالمواظبة والملازمة والإلحاح.

يقول شاعر:-

ولـــيس اكتســـاب المـــال دون مشـــقة تحملهـــا فـــالعلم كيـــف يكـــون
ومـــن رام العـــلا مـــن غـــير كـــد أضـــاع العمـــر في طلـــب المحـــال
تـــروم العـــز ثم تنـــام لـــيلا يغـــوص البحـــر مـــن طلـــب اللئـــالي

قال تعالى لنبي الله موسى ورفيقه يوشع في رحلتهما لطلب العلم ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف]، قال الإمام حسن سيس رحمه الله: كنا مجموعة من الأبناء والأحفاد والمريدين في بيت الشيخ رضي الله عنه ذات يوم، فجائته رسالة من أحد الأئمة في مدينة بَنْجُلْ دولة غَمْبِيَا ومفادها أنه يسأل الشيخ فيها عن مسائل تمت بالدين الإسلامي بصلة. قال لي الشيخ يا الحسن أنظر أمامك كُتُبٌ إبحث عن مجلد كذا من كتاب "ونشريسي"[1] صفحة كذا تجد الإجابة عن مسألته. طالت المدة ما طالعت هذا الكتاب منذ أربعين سنة. فبحثت، يقول الإمام حسن سيس فوجدت المسألة كما قال رضي الله عنه. هذا مما يؤكد أن الشيخ إبراهيم إنياس قليل النسيان. وكثير البحث في الكتب والمجلدات.

يقول الفروفيسور إبراهيم جوب، رافعت الشيخ رضي الله عنه أكثر من مرة إلى المكتبات لإشتراء الكتب، فإذا وصلنا إلى دكان بيع الكتب، يقول لصاحب المكتبة إنزل لي كل ما عندك من مؤلفات فلان وفلان وفلان. والشيخ على حد قول برهام جوب، لايساوم في سعر الكتب بل يسدد كلما طلبه بائع الكتب إحتراما للعلم. قال الشيخ إبراهيم جوب: قال لي الشيخ رضي الله عنه: قرأت كل الكتب التي ورثتها من والدي والتي إشتريتها، ما يشير إلى أن الشيخ لايرتب المجلدات والكتب في المكتبة للتزين بها كما يفعل كثير من الناس اليوم.

---

[1] هو كتاب المعيار المغربي والجامع على فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفي بفاس سنة ٩١٤ه. يحتوي الكتاب على ثلاثة عشر مجلدا. قام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بطبعه بمناسبة طلوع القرن الخامس عشر الهجري. ونشرته وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية للمملكة الكغربية ١٩٨١م. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي.

ولولا أن الشيخ إبراهيم إنياس قارئ بكل ما تعنيها الكلمة من المعاني وباحث في العلم بل له اليد الطولي في تحقيق العلوم وتدقيقها. ولولا ذلك لما تحدى أي باحث في العلم أن يأتي له ولو بحديث واحد صحيح أو ضعيف يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى سادلا يديه. قال رضي الله عنه من أتاني بهذ الحديث أعطيه كتبي وكتب الحاج عُبَا رِنْغِمْ[٢]

أعلن الشيخ بهذا التحدى بمحضر جمع غفير من العلماء في مدينة كانو جمهورية نيجيريا. وحتى اليوم لم نجد من أتى بالحديث. والذين حضروا مجلس تفسير الشيخ للقرآن الكريم إما باللغة العربية أو الولفية كثر ما سمعوا الشيخ يقول في تفسيره لبعض الأماكن في القرآن. يقول زلت قدم فلان هنا لأنه قال كذا والصواب هو كذا لحجة كذا وكذا. وهذا رسوخ في العلم وسعة الباع في البحث والإطلاع للكتب.

أتذكر يوم أن كنت في مدينة كولخ في الستينات وأدرس مع مجموعة من الطلاب كتاب الرسالة لأبي محمد عبد الله إبن أبي زيد القيرواني، إذا وصلنا إلى قول المؤلف: "وإنه فوق عرشه المجيد بذاته" سمعت من غير واحد من العلماء أنهم سمعوا الشيخ رضي الله عنه يقول أن هذه الجملة لم يقلها أحد من العلماء إلا أبو محمد عبد الله في رسالته. ومما يؤكد ذلك أن الشيخ رضي الله عنه في حجته الأولى سنة ١٩٣٧م لما دخل ساحة الكعبة يريد الطواف بالبيت إذ سمع مفسرًا على الكرسي يفسر قوله تعالى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فقال المفسر إستوى الله على العرش كإستوائي على هذا الكرسي، فقاطعه الشيخ

---

[٢] أحد أتباعه وواحد من كبار رجال الأعمال الناجحين في مدينة كانو نيجيريا له مكتبة كبيرة مليأة بالكتب والجلدات من شتى الفنون.

رضي الله عنه كما أورده الشيخ إبراهيم ابن الشيخ بشير سيس في كتابه إنسانيات داعية صفحة(١٥) نقلا عن الشيخ إبراهيم محمود جوب قال له الشيخ هذا لا يمكن نَظَرَ الْعَالِمُ الْمَكِّيُّ فإذا المتكلم رجل شاب أسود. فقال له وما يدريك أنت. قال له الشيخ أن يجلس الرحمن على العرش كما تجلس على الكرسي، مستحيل لسببين:-

أحدهما: أن هذ الكرسي أوسع منك فاستطعت أن تجلس فيه.

والثاني: أنه أقوى منك، فإذا جلست عليه لاينكسر. وكلاهما مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، ولاتخد عنك إضافة العرش إليه سبحانه وتعالى فهي إضافة تشريف وتكريم. فهذا بيت الله أمامنا هلم بنا إليه إن وجدنا الله جالسا يستقبل الضيوف والزوار. وفي القرآن ذكر لنا ناقة الله فلنسأل التاريخ والمؤرخين هل رئى الله في يوم من الأيام راكبا هذه الناقة، فإذا ثبت لنا عدم ركوبه الناقة مع إضافتها إليه علمنا أن إضافتها إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتكريم لاغير.

قال تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم].

وطرق تحصيل العلم، تتمركز في النقاط التالية وتِعْدَادُها يَتَبَلْوَر في البنود الآتية:-

١) **الجد والمواظبة** والحرص عليه. تمشيا مع قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ الكهف.

ويقول شاعر:

بِجِد لا بجَد كل مُجْدٍ فهل جد بلا جد بمجد

ويقول فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس منوها إلى ذلك المقام:

العلم والغنى وخصب قد أتت وحركات الخفض فيهن رست
لجهل والفقر وجدب قد أتت وحركات النصب فيهن رست

ويقول شاعر مؤيدا هذ الفكر حيث ترنم مستدلا:-

وليس اكستاب المال دون مشقة تحملها فالعلم كيف يكون

وقال آخر:-

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

٢) **تقوى الله:** كما أثبت الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ويقول أيضا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ [الأنفال].

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن التقوى تتطلب إلى الوسيلة. والوسائل عديدة. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره. الفرقان:- وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال والحق والباطل. والحلال والحرام. وأهل السعادة والشقاوة.

٣) **العلم اللدني:**

أ- **محدثون:** روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُونَ من غير أن يكون أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**]. رواه البخاري. ولا يبعد أن تكون موافقات عمر من ذلك. والله أعلم.

ب- **ملهمون:** قال تعالى ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس]، يقول البغوي رواية عن ابن عباس وعلي ابن أبي طلحة، بين لها الخير والشر. وفي رواية عطية. علمها الطاعة والمعصية، وروى الكلبي عرَّفها ما

تأتي من الخير وما تتقى من الشـــر. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

ج- **الكشف:** مثل ما حدث لسيدنا عمر رضي الله عنه، كما رواه أســـلم، ويعقـــوب ونافع مولى ابن عمر. أخرج أبي شيبة في مصنفه وأبو نعيم في الحلية. أن النبي صلى الله عليه قال: " من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علـــى لسانه. وأن سارية ابن زنيم الدؤلي الكناني كان يقاتل المشركين على أبواب نها وند في بلاد الفرس، في سنة ٢٣هـــ، الموافق ٦٤٥ ميلادية، وقد كثر عليه الأعداء، وفي نفس اليوم كان عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة فإذا عمر ينادي بأعلى صوته في أثناء خطبته، يا سارية الجبل يا سارية الجبل. ثم ما لبث أن تبين الحال فيما بعد حيث قدم سارية على عمر رضـــي الله عنه في المدينة فقال يا أمير المؤمنين كنا محاصري العدو، وكنا نقيم الأيام لايخرج علينا فسمعت صائحا ينادي يا سارية ابن زنيم الجبل الجبل فعلوت بأصحابي الجبل فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا.

ذكر المؤرخون المسلمون أيضا أن عليًّا كرم الله وجهه قتل عشرة من الكفـــار في إحدى الغزوات وقال العباس وأنا أيضا قتلت عشرة. فقال على الفرق بيني وبينك هـــو أنني لا أقتل إلا من كشف الله لي عن ما في ضئضئه أنه لايوجد من يسلم. أمـــا مـــن كشف الله عني ورأيت أن في ذريته مسلما أو مسلمة فلا أقتله. قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنـــور الله**].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعا].

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر من نور الله**].

د. قد يتلقى العبد الصالح من الله العلم اللدني كما وفق العبد الصالح السيد خضر صاحب موسى عليه السلام. قال تعالى ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف]، فكان ما كان لمن تابع القصة إلى نهايتها.

٤. وحي غير وحي النبوة أو الرسالة، كوحي أم موسى، قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص]، وكوحي الله إلى النحل، قال تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل]، وشرط العمل بما صدر من العلوم من هذه الطرق أن لايخالف الكتاب والسنة. وكلما خالف ميزان الشرع منه يضرب به عرض الحائط.

٥) النبوة والرسالة كلتاهما ليستا بمكتسبتين. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج]، قال الإمام البوصيري:

تبارك الله ما أوحى بمكتسب ولا نبي على غيب بمتهم

وقال صاحب البرهاني محمد ابن أحمد في كتابه "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية".

ولا تنال رتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة

لكنهـــا فضـــل مـــن المـــولى الأجـــل لمـــن يشـــا مـــن خلقـــه إلى الأجـــل

عالمية الدعـــوة في الإسلام للشيخ إبراهيـــم إنـــياس:

الدعوة هي توجيه النداء إلى المدعوين للإيمان بالله ومعرفته وعبادته، ومن ضمن أعمال الداعية أن يبعد الناس عن أسباب غضب الله، كما يدلهم على طلب مرضات الله. ويجب أن يكون الداعية على قمة من الأخلاق لِيُتَأَسى به، وليس من شروطه أن يتحلى بالعصمة.

الدعوة مهمة الرسل ومن ورثهم من العلماء الأتقياء الأوفياء. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]. هذه الآية الكريمة تشير إلى أنه لابد للداعية أن يتضلع من معين العلم ويعرف كيف يقنع أتباعه بالحجج الدامغة كي لايسيروا وراءه أو بعده جهالا أو كوكبة من العميان فيهدموا كل ما بناه. والكفاءة التالية التي يحتاج إليها الداعية هي الإذن. هناك من إذنه في الدعوة لايجاوز داره أوحاشيته. وهناك من على مستوى البلد الذي يعيش فيه، وهناك من يمتد إذنه إلى مستوى الحكومة المحلية. وهناك من على مستوى الولاية، وهناك من على مستوى الدولة أو القارة أو العالم جمعاء.

قال تعالى ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]. يقول فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس في تفسيره لهذه الآية:- (دعا الناس إلى الله بإذنه، وهذه هي الحكمة في إستعمال الإذن. الحكمة في إستعمال الإذن تسهيل الأمر. وإن كان مأذونا فيه يتيسر له، وما دخل فيه إنسان بغير إذن ربما يتعسر عليه. حتى الرسول صلى الله عليه دعا إلى الله بإذن الله وهو سراجًا منيرًا. ومثل السراج في الإهتداء،

سأل نبي الله موسى عليه السلام ربه لم سمي نبي الله صلى الله عليه وسلم سراجًا؟ قال له: أو قد نارا بباب دارك فَأَوْقَدَ نَارًا بِبَابٍ داره، قفال: كل أهل البلد يقتبسون منها السرج فقبسوا من النار وأوقدوا سرجهم وما نقص شيء من النار، فقال له هكذا محمد صلى الله عليه وسلم يمد جميع الخلائق وما عنده لاينقص، ومثله في ذلك شريعته الغراء. من حمل الشريعة يعلم الناس كل مدة حياته ولاينقص من علمه شيء بل العلم يزداد بالتعليم.[1] ويزكو بالانفاق.

والعبد قد لقي عين العلم وجاءه الإذن بدون وهم

أشهر ديار العلم والمشيخة في السنغال:

إن دولة السنغال مليئة بكبار الشيوخ والعلماء. وبما أن الدعوة إلى الله لاتقوم إلا عن إذنه ولايمكن لأي داعية أن يجاوز حد مجال دعوته حسب طاقته وإذنه. وهناك عدة مشايخ في السنغال، وإن شئت فقل هم مشايخ وعلماء السنغال منذ قبل ميلاد الشيخ رضي الله عنه إلى اليوم.

ولكن الغريب والعجب العجيب هو أنك لاتسمع بهم ولابتحركاتهم ولاترى أثرهم أو أثر إنتاجاتهم إذا خرجت من دولة السنغال. عكس ما أظهره الله على يد الشيخ رضي الله عنه من الشهرة والإستعانة بما بثه من العلوم والفهوم ما بين النثر والشعر في شتى مجالات فنون العلم على المستوى العالمي. فقد أجادت قريحته بحل مشاكل لدى مشاركاته في المؤتمرات والندوات العلمية، كعضو فيها في عدة هيئات ومراكز علمية في العالم.

---

[1] راجع رياض التفسير ج/٥ صفحة (٦١) للشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.

وقد كتبت أنامِلُهُ المباركة عدة كتب ورسائل حل بها مشاكل كثيرة وعويصة الحل. إن رسائل الشيخ رضي الله عنه اليوم ليست أوراقا فحسب إنما هي كتب مليئة بعلوم غريبة، وفهوم صحيحة وسديدة. ناهيك عن ما جمع وطبع ونشر المسمى بجواهر الرسائل. قبل أن تأتي المجموعة التالية من هذه الرسائل إن شاء الله. علما بأن الولي لايأتي بالجديد إنما يأتي بفهم جديد.

الرقم	الإسم	البلد أو المكان
١	الشيخ الحاج عبد الله إنياس	ليون كولخ
٢	الشيخ أحمد بَمْبَ	طوبي
٣	الشيخ الحاج مالك سي	تواوِنْ
٤	الشيخ إمام لاين	يوفْ
٥	الشيخ بوكنت	جَاسَانْ
٦	الشيخ إبراهيم سك	جنب
٧	الشيخ كاجس	مانه

فكـــم طـــير يطـــير ولا كبـــاز وكـــم طيـــب يفـــوح ولاكمســـك

زوجات الشيخ الحاج عبد الله إنياس وأماته[1]:

تزوج الحاج عبد الله إنياس بأربع زوجات حرائر، وهن كل من :-

١. السيدة فاطمة جخَتَ هي زوجته الأولى، وهي والدة أبي بكر.

٢. السيدة آمنة تَيَام، هي الزوجة الثانية، وهي والدة محمد الخليفة.

٣. السيدة عائشة جَنْقَ، هي الثالثة، وهي والدة الشيخ إبراهيم إنياس.

٤. السيدة زينب تيام هي الرابعة، وهي والدة محمد زينب.

[1] كل هذه الأسماء من الشيخ محمد النذير إنياس.

الأمهات:

١. السيدة خديجة إنجَايْ

٢. السيدة خديجة جَوْ والدة سرِنْج أمي.

٣. السيدة فاطمة جُوبْ والدة مالك

٤. السيدة مام خديجة به

٥. السيدة زينب جَوْ والدة الشيخ عمر

٦. السيدة مريم نِيغ والدة هادي

٧. السيدة حفصة كَنْ والدة الشيخ أحمد التجاني.

أسماء وعدد أبناء الشيخ الحاج عبد الله إنياس:

١. الحاج محمد الخليفة إنياس

٢. الحاج أبوبكر الأول إنياس

٣. الحاج محمد زينب إنياس

٤. الحاج عمر إنياس

٥. الحاج محمد شفيع إنياس

٦. الحاج إبراهيم إنياس

٧. الحاج مالك إنياس

٨. الحاج أبوبكر المثنى

٩. الحاج ماس إنياس

١٠. الحاج محمد الهادي إنياس

١١. الحاج محمود إنياس

١٢. الحاج أحمد التجاني إنياس

١٣. الحاج عثمان مريم إنياس

أسماء وعدد بنات الشيخ الحاج عبد الله إنياس[1]:

١. السيدة زينب إنياس

٢. السيدة رقية إنياس

٣. السيدة زينب بَاجَنْجَيْ شقيقة الشيخ إبراهيم إنياس.

٤. السيدة مريم إنياس

٥. السيدة مت كن دَبُ

٦. السيدة خديجة إنياس أيضا شقيقة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.

أيها السادة ذكرت لنا قبل قليل متى ولد الشيخ إبراهيم إنياس، ومن هو أبوه ومن هي أمه وله إخوة وأخوات بيد أنني لم أتطرق للبيان عنهم بالتفصيل، ففي الذي ذكرته كفاية. ومع ما للدولة السنغالية من العلماء والأولياء، بل كل أولاد الحاج عبد الله إنياس علماء وأولياء وأصحاب كرامات. ولكن كيف برز الشيخ إبراهيم من بين هؤلاء الأبطال رغم صغر سنه، وكيف إعترف الجميع بنجابته من بين علماء سِينْ سَالُم، أو لم تستغرب كيف برز إسم الشيخ في مقدمة كبار العلماء في السنغال، يا ترى من الذي قدم إسم الشيخ في الدول الإفريقية وعُرِفَ في كل بلد؟ وفي كل حي ودار. وكيف طار صيته في آفاق آسيا؟ وكيف إمتد نشاطه إلى أوروبا؟ فرأينا أوروبيين مسلمين تجانيين. يقول فضيلة الشيخ بَلاَرَبي جيغَا في قصيدته غُورَنْ فَيْضَا:-

غُورَا نَفَيْضَرْ أَبُو العَبَّــاسِ إنْ يَفَشِــي سَيْكَاغَ جَنْ بَاقُونَا رُبــبِنْ يشَــايَجِيَا

إمتد نشاط دعوة الشيخ إلى أَمريكَا، فلقب الإمام حسن سيسى بمن يغير الشيطان إلى الملك. وزوايا التجانية في أَمرِيكَا لأحباب الشيخ من أصل

---

[1] وجدت هذه الأسامي بخط يمين الشيخ محمد النذير إنياس.

الأمريكيين كثيرة جدًا، ولوصول الإمام الحسن سيس إلى أمريكا حكاية.[1] وصل اليوم تيار دعوة الشيخ إلى أمريكا اللاتينية. لا أدري فيما إذا كان هذا البيان كافيا للدلالة على أن الشيخ إبراهيم إنياس داعية عالمي؟ قد نال المحبة التي إذا نالها العبد وضع له القبول في الأرض بعد ما أحبه من في الملإ الأعلى. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم [**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل فقال له إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل وينادي في السماء السابعة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء السادسة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الخامسة أن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبونه، وينادي في السماء الرابعة أن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبونه. وينادي في السماء الثالثة أن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبونه. وينادي في السماء الثانية، أن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبونه. وينادي في السماء الأولى أن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبونه، ثم يوضع له القبول في الأرض**][1].

هل رأت عيناك يوما أو سمعتا أذناك داعية، حظي بمثل ما حظي به الشيخ في ميدان الدعوة من الإذن المطلق. ثم إن الشيخ وفق بعدة أشياء لم يحظ بها غيره من كبار العلماء والأولياء. أعطى الشيخ القبول التام على مستوى العالم. لذا تجد أن لا فرق عند الشيخ بين تواجده أمام السود أو البيض أو بين العالم أو

---

[1] يقول الإمام حسن سيس إن سبب ذهابه إلى أمريك- هناك مؤتمر ديني عقد في أمريكا ووجهت إليه الدعوة فحضر المؤتمر، ومن الله عليه أن إهتدى على يديه مائة أمريكي قبل عودته إلى السنغال. وهكذا كل مرة يتزايد العدد، والآن أبناء أمريكا وأوربا ملآن بمدينة كولخ يُحفّظ أبناءهم القرآن الكريم ويتمسكون بالطريقة التجانية وينخرطون في التربية الروحية ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم.

[1] متفق عليه- راجع دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - ج/٢ ٣٦٩.

الجاهل. كل من لقي الشيخ لا يودعه إلا وقد استفاد منه بما لم يعرفه من قبل لقياه به. يمتاز عصر الشيخ بمميزات خاصة. وعلى سبيل المثال.

١. هناك تقدم في التكنولوجيا.

٢. جاء في عصر الطائرات والباخرات، والسيارات، والدراجات.

٣. جاء في زمن التيليفونات والتيلغرافات، والإذاعات.

٤. جاء في وقت المسجلات والإسطونات ومكبرات الأصوات.

٥. جاء الشيخ في زمن الفضاءات والمطبعات وآلات التصوير.

٦. زمن الشيخ كان فيه الكهرباء، والحنفيات والتيلفيزيون.

٧. لولا أن ثقافة الشيخ عالمية، لما استطاع أن يستعين بهذه الأشياء في نشر الدعوة إلى الله. يكفينا مثالاً لذلك قضية قراءة القرآن في الإذاعة وقضية الميقات للحجاج. كيف حلحل فيهما بيانا شافيا لعلماء العالم.

زماني طلق الوجه غير مكدر أروح وأغدوا دائمًا لن أكمد

أنا لا أعرف عالمًا من العلماء أو داعية من الدعاة في القرن العشرين أعطى أتباعا خارج مسقط رأسه ومن غير أبناء بلده مِثْلَمَا أعطى الشيخ إبراهيم! إنتبه. لا أتكلم هنا عن الذين هاجروا إلى بلد ما أو إلى قارة ما باسم التجارة أو غيرها، فنقلوا فكرة شيخهم ويطبقونها هناك، لا أتكلم عن مثل هؤلاء. إنما أضرب مثالا لما قلت بمدينة كانو جمهورية نيجيريا، والتي كان أميرها الحاج عبد الله بايروا أول مريد للشيخ، والذي وجه الدعوة إلى الشيخ لزيارة بلده مدينة كانو، فزارها الشيخ في عام (١٩٤٦)[1] للشيخ رضي الله عنه أتباع من التجار وكبار رجال الأعمال الناجحين أمثال الحاج عُبَا رِنْغِمْ، والحاج عُبَا وَرُو،

[1] علما بأن زيارة الشيخ الأولى كانت في سنة ١٩٤٠- ١٩٤١م.

والخليفة الشيخ إسحاق الرابع، والحاج أَلْحَسَنْ طَنْ تَاتَا. وهناك العديد من العلماء الذين سلموا زمامهم بيد الشيخ منذ أول وهلة أمثال الشيخ عبد الله سَلْغَ، والشيخ التجاني عثمان، والشيخ أبي بكر عتيق، والشيخ الثاني حسن كَافِنْغَ، والشيخ رابع، والشيخ عثمان القلنسوي، والشيخ محمود طَنْ غُوغُو، والشيخ أُوَيْسُ مَدَابُو. وكلنا نعلم أن العالم إذا سلم نفسه بيد عالم آخر لايكون ذلك إلا عن رضا واقتناع. وكما فعل الله للشيخ في مدينة كانو، هكذا فعل له في غيرها من البلدان في العالم، إذهب إلى جمهورية موريتانيا، بلد مليون شاعر، سل عن الشيخ شيخان، وسل عن الشيخ المشري، وسل عن الشيخ الهادي، ومن لف لفهم من كبار الشخصيات علما واقتصاداً وقيادة، تجد أن أتباعه هم النخبة في بلدانهم. وكل من يفتخر برجال، فبهم يفتخر.

خـــرلي صـــحبا فضـــلا وخـــرلي مـــن كـــل شـــيء خـــيره وكـــن لي

بصمات الشيخ في عالمية الدعوة إلى الله

وبما أن كل وارث يرث من موروثه قدر قربه من الموروث، ويأخذ نصيبه من التركة. فإن وراثة الشيخ رضي الله عنه وراثة محمدية لاساحل لها، لا تعرف الحدود ولا الحواجز، ولا يمنعها من السير العراقيل. إنطلق الشيخ من بداية الغرب إلى أقصى الشرق داعيًا إلى الله بإذنه، ألقى فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس ذات يوم محاضرة في السنغال، فأعجب الحاضرون بها وازدحموا حوله إزدحامًا لم يتعوده الناس، وبعد الإنتهـــاء من المجلس توكأ شيخ سبق أن رأى ماذا حدث على عصاه متجها إلى الشيخ، فلما جاء إليه قال له: أأنت إبن الحاج عبد الله إنياس قال له الشيخ نعم، فقال لايغرنك إزدحام الناس عليك، فالحاج عبد الله أفضل منك فقال له الشيخ أنا أعرف الناس بأن أبي أفضل مني.

وعند ما زار الشيخ مدينة كانو في دولة نيجيريا سنة (١٩٤٦م) إزدحم الناس في المطار لاستقبال الشيخ بل لم تشهد مدينة كانو يوما مثله وإلى ذلك يشير الشيخ رضي الله عنه بقوله:-

حـــين نزلـــت ثم قـــــد دهـــاني ... مـــالم يكـــن والله في حســـباني
وقـــــد تيقنـــت بـــأن الله ... يجـــري الأمـــور كيفمـــا يراهـــا
صرت أقول أيـــن ذا الشـــيخ الـــذي ... تعنـــوا لـــه رقـــاب كـــل جهبـــذ
فـــأين برهـــام ومـــا برهـــام ... حـــتى فنـــو في حبـــه وهـــاموا
ردني الجيـــــوش والنصـــــارى ... خوفـــا علـــى وهـــم حيـــاري
لـــداخل الطـــائر قـــد تحققـــوا ... إني عطبـــت ولـــديَّ حلقـــو

يقول الشيخ رضي الله عنه في حق أهل كانو وكيف وجدهم علماء متعطشين إلى علوم المعرفة بالله:-

أهل كنو جزاهم الرحمن ... خير الجزاء فهمو الإخوان
قد شربوا من فيضة التجاني ... وقد سقوا بأكبر الكيسان
تمسكوا بظاهر الشريعة ... مع الفنا شؤهم بديعة
جمع شريعة مع الطريقة ... إلى الحقيقة العرى الوثيقة
خرجت من كنو وقلبي بكنو ... ولم لا وأحبابي بكانو سكنو
عاشوا معافين جميعا بكنو ... وبعد ذا في عليين سكنو
شيعني الأمير والعساكر ... كفاه ربّي كل شيء ضائر
كذا محمد السنوسي ولي ... عهد الأمير منزلي الخرق الولي
جئت لاَغُوسْ وكاني بكنو ... من كثرة الأحباب ممن سكنو
حين علوت كانو من دعائي ... بُورك في كانو مدى الأناء
فهم أحبتي وهم أنصاري ... بقوا مدى الدهر بفيض جاري

نفس ما حدث للشيخ عند ما زار أحبابه في غَانَا وقال:-

طرت إلى تمل وقصدي نصرى ... دين المهيمن فيعلى قدري
جئت وما أمكنني النزول ... من كثرة الناس ولا الحلول
هنا عراني حياء وخجل ... ما العبد إبراهيم ما له يجل
فسرت فورا خيفة لينـدى ... كأن كل الخلق صاروا عندي

وبعد مهلة عاد الشيخ إلى تمل كما برمج في رحلته:

كذلك في تمل حين قلت ... كلمة التوحيد إذ نطقت
أنطق كل الناس بالشهادة ... وهم ألوف قبلوا السعادة

ولقد أكد الإمام الحسن سيس أنه رآى في المتحف البريطاني أن عدد الذين إهتدو إلى الإسلام على يد الشيخ في تلك الجلسة يربوا على أربعة آلاف شخص وبالمناسبة أجرى صحافي حجازي وهو عبد الكريم نيازي مقابلة صحفية عن عدة أشياء ومنها عدد أتباع الشيخ فقال له الشيخ: لا أعلم عددهم و لم أحاول ذلك، فالذي يهمني بالدرجة الأولى هو أن يهدي الله فردًا أو أفرادا إلى دينه الحق على يدي أو على يد غيري، ولست مؤسس حزب أو زعيما. فمن هنا أشاطر الدكتور إبراهيم أحمد مقري الرأي حيث يقول في كتابه شاعر الرسول. لا إخال أن لعبقرية الدعوة قمة تطمع إليها وبرجا ترنوا إليه أعلى وأشمخ من هذا فلا شك أن الشيخ لمثابة عظمى ونموذجا أسمى لراعي الإنتظام في سلك الدعوة. إنتهى.

ســـاقني اللطيـــف نحـــو كَـــنْ كَـــنْ والـــرب أعطـــاني مقـــام كُـــنْ كُـــن
والقصـــد إحـــيا ســـنة الأمـــين أحيـــي طريـــق القـــوم للقـــرون

أيها السادة! إن طابع الشيخ إبراهيم إنياس في الدعوة إلى الله طابع عالمي، ومما يشير إلى ذلك أنه رضي الله عنه قال: كنا في مؤتمر مجمع البحوث في القاهرة، وأرسلت الدولة تختار منا ثلاثة أو أربعة ليذهبوا إلى التلفيزيون ليكلموا الناس، وقالوا: الشيخ إبراهيم إنياس من إفريقية هو الذي يدعو الإفريقيين إلى الإسلام، فلما وقفت على التلفيزيون قلت الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ولكن أدعو قبل كل أحد العرب! أدعوهم إلى الإسلام، فنحن المسلمون في إفريقيا لا نرضى بعربي يتدين بغير الإسلام، فنحن نرى كثيراً من العرب ليسوا بمسلمين. ورأينا المسلمين من العرب يتغافلون عن الإسلام، ويتركونه شيئًا فشيئًا ويتباعدون عن الإسلام شيئًا شيئًا. ونحن لا نرضى بهذا، ندعوكم إلى

العودة إلى هذ الدين أيها العرب. وبعد ذلك ندعوا الأوروبيين والأمريكيين، والآسويين، والإفريقيين إلى التمسك بهذ الدين. ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

ويقول الشيخ:-

والأمة قصدي فيهم أن أسوقهم إلى حضرة البر الرحيم إلهنا
وتعلم هل في الخلق أحنى عليهم مدى الدهر مني والبعيد كمادنا

إن مثل هذه الشعارات الصادقة واللافتات والواضحة، لايمكن أن يتقمص بها من لم يكن أهلا لها. ولايتفوه بها من لم يكن كفؤا لإقامتها أو لم يؤذن له بالبيان عنها.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بيانات أبناؤها أدعياء

ثبت أنه لايوجد مطار دولى في إفريقيا أو آسيا، أو في الخليج، أو أوروبا، إلا وقد هبطت به الطائرة داعيا إلى الله، وناصراً لدينه الحنيف هناك.

يقول فضيلته:-

رجائي رفع الدين والسنة التي تجاهلها الأقوام في كل قرية
فهل تجمع الأيام قوم محمد على نهجه من دون شك ومرية

أخبرني شهود عيان عما يتعلق بأخبار الشيخ. ذكر الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ أن الشيخ إبراهيم إنياس ألقي محاضرة في مسجد من مساجد ببيروت فأعجب الحضور بهذه المحاضرة، وازدحم الناس حول الشيخ إزدحاما لم يتمكن من الخروج من الباب الرئيسي للمسجد.

هكذا نجد الشيخ عند ما يعمل في حقل الدعوة إلى الله لايعرف الفرق بين الشرق والغرب، كلها أمة واحدة. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

قد لا يكمل الحديث في حلحلة البيان عن عالمية دعوة الشيخ إبراهيم إنياس إلا إذا ذكرت أن جامع الأزهر الشريف والذي قام جوهر الصقلي ببنائه بتاريخ ١٦/شعبان ٣٥٨ه. الموافق ٩٧٠م، استغرق بناء الجامع الأزهري عامين وأقيمت أول صلاة الجمعة فيه بتاريخ ٦/رمضان ٣٦١ه. الموافق ٩٧٢م. مدينة القاهرة جمهورية مصر العربية، حتى عام (١٩٦١م) لم يتشرف إفريقي أو غيره من العلماء والدعاة أن صلى بالناس إمامًا وخطيبًا فيه إلا الشيخ إبراهيم إنياس، فإنه رضي الله عنه صلى بالناس إمامًا وخطيبًا فيه.

في عام (١٩٦١م) وقام الإمام الغزالي بعد الصلاة معلقًا عليها. فقال: إننا مطمئنون على مستقبل الإسلام مادام في المسلمين أمثال ضيفنا العظيم شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم إنياس، فالإمام الأكبر الشيخ شلتوت شيخ جامع الأزهر، هو أول من لقب الشيخ رضي الله عنه (**بشيخ الإسلام**). وما أدراك ما شيخ الإسلام يومها؟

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان

وليس في الجامع الأزهر فقط صلى الشيخ رضي الله عنه بالناس بل صلى بالناس إماما وخطيبا في عدة مساجد في القاهرة كما ذكر رفيقه في معظم رحلاته، الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ جزاه الله خيرا في إحدى المحاضرات التي ألقاها في مدينة كولخ وأذاعتها إذاعة الفيضة. ذكر أن الشيخ صلى بالناس إماما وخطيبا في مسجد المهندس الذي يقع في حي المهندسين وهو أحد أحياء محافظة

الجيزة ويتبع حالا وإداريا حي العجوز. وصلى أيضا إماما وخطيبا في جامع المكرم ويقع في شارع مكرم عبيد وهو شارع مشهور في حي مدينة نصر بالقاهرة، سمي الشارع على إسم مكرم عبيد باشا وزير المالية الأسبق. ويقول الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ رتب الْفُرُوتُكُولْ لقصر الرئاسة المصرية للشيخ إبراهيم إنياس أن يصلي بالناس إماما وخطيبا يوم الجمعة بمسجد عبدالمجيد المهندس بنهر النيل قرب سفارة السنغال بالقاهرة – المعروف بالمسجد الجديد. فظن إمام المسجد أن الشيخ لايحضر، فصلى بالناس ولكن الشيخ أدرك الصلاة، وبعد الصلاة طلب من الشيخ أن يعلق على الخطبة وكان موضوعها (غزو الفضاء) واستدل الإمام[1] في بيانه بقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن].

قال الشيخ: وهذه الآية التي إستدل بها الإمام أرى أنها تعوقنا عن الإستدلال بها. للآية التي تليها وهي قوله تعالى ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾ [الرحمن].

أنا أقترح لكم الإستدلال بآية. قوله تعالى ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [الشورى].

وكذلك أيضا صلى الشيخ رضي الله عنه بالناس إماما وخطيبا في المسجد الجامع ببروكسل، كما صلى بالناس إماما وخطيبا في كراثي في دولة فاكستان. وصلى بالناس إمام وخطيبا في مدينة كانو في مسجد الأمير هو أقدَمُ المساجد في

[1] وهو الشيخ السابق مؤلف كتاب فقه السنة نقلا من الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ مشافهة.

مدينة كانو كان بقرب دار أمير كانو، والذي بني في عام ١٨٦٠م يقع في حي قُوفَرْ قَورُو بشارع مستشفى مرتضى محمد في مدينة كانو نيجيريا.

ومما يظهر لنا جليا عالمية الدعوة للشيخ إبراهيم إنياس. ذكره القبائل والبلدان، والمطارات التي هبطت به الطائرة، وذكره أيضا البلدان والشخصيات التي إستقبلته والتي خدمته، وبعض الوقائع التي حدثت أثناء رحلاته والتي قام بها في القارات المختلفة في العالم. أنا مع قصور باعي في الثقافة لم أعرف ولم أسمع بداعية من الدعاة في العالم الإسلامي الذي جاب القفار والوهاد والأودية وخاض البحار والأنهار والموامي وقطع الصحاري والبراري، والغابات ووصل إلى حيث وصل الشيخ رضي الله عنه. ولنستمع إلى الشيخ يذكر لنا بعض الأماكن التي وطئت أخمصه الشريفة في الدعوة إلى دين الله الإسلام.

رحـــلاته الـــــدعـــوية

علـــوت البحـــار الزاخـــرات وإنـــني علوت القرى والمـــدن بلـــه الجبـــالا
أروم رضى البـــاري لنصـــــرة دينـــه وأبـــرز للجيـــل الجديـــــد مثـــالا
ضـــعيف عليـــل شـــائب مـــتحمس لينصـــــر دينـــا لا يريـــد قتـــالا
لأن النبي الهاشمي الـــدهر مـــا غـــزى بلـــى صـــد عـــدوانا ورد ضـــلالا

ومما كمن في وطاب الشيخ تجاه عالمية الدعوة يمكن أن نلمح ذلك في قوله:

فـــلا أنـــال راحـــة للقلـــــب وفي البســـــــيطة يعـــــاص ربي
علـــم خـــالقي بـــأن سفـــــري ليس لحـــظ مـــن حظـــوظ البشـــر
قـــد جـــاء إذن في الســـياحة فـــها أني أســـير أقتفـــى ذوي النهـــي

وفي سدد هذ الإذن وتحملا للمسؤلية، تجشم فضيلته مشقة التنقل من هنا إلى هناك في العالم. ونجده رضي الله عنه يحدثنا في هذ المضمار ويقول:-

فغـــادرت أوطـــاني وأهلـــي وأســـرتي أجـــوب الفـــلا لم أشـــك قـــط كـــلالا
بكـــوخ طـــورا أو بيـــوف ومـــرة بـــاريس دار الفاســـقين كســـالى
ببلجيـــك يومـــا ثم يومـــا تجـــولا بقـــاهرة أبغـــي هـــــناك جمـــالا
لعبد المليك القـــرم قـــد جئـــت موهنـــا ومـــا لنـــدنا أبغـــي فهبهـــا خيـــالا
ببيروت أنحـــو الصـــين بالشـــرق خادمـــا رســـول إلـــه العـــرش وهـــو تعـــالى
كراتشـــى بهـــا خلفـــت أهـــل مـــودتي هُـــمُ نصـــروا ديـــن النـــبي فعـــالا
بلاهـــور بالهنـــد القـــديم عمـــارة مســـيري إلى المـــولى وجـــل جـــلالا
بنكـــوك مـــن بنكـــوك جـــاء خـــديمكم يـــوالي لـــك الأســـفار وهـــو أطـــالا
بكَلْكَتَـــا بالهنـــد القـــديم عمـــارة مســـيري إلى مـــولى وجـــل جـــلالا
لِبكـــينَ مـــن كَنْتُـــونْ بالشـــرق نائيـــا وكـــوخ تـــدعو قـــد أبنـــت الرحـــالا

بِلاَغـــُوسْ بالخرطـــوم لـــيلا وإنـــي كذي الشوق لاألوى على الغـير مطلقـا
وجئـــت قصـــر الـــروم إن الرومـــا قـــد غلبـــت وعـــوض لـــن تقـــوما
قـــالوا تـــزور البـــابا لـــود راني حقـــا لهـــرول إلى بســـتاني
إني أســـلم علـــى الإخـــوان أهـــل كماشـــي إنهـــم خلصـــاني
جئـــت لكوســـى وكـــأني بكنـــو مـــن كثـــرة الأحبـــاب ممـــن ســـكنو

اسمحوا لي أيها السادة! لأذكر لنا هنا بعض القبائل التي جاءت إلى الشيخ مرحبة به ومسلمة له زمامها لما حل بَلَدَهَا زائرا، ولأصحح أيضا خطأ من زعم أن الشيخ رضي الله عنه وجد قبولا في شمال نيجيريا لدماثة أخلاق أهلها أو لأنهم تعودوا إستقبال الضيوف من العرب.[1] هذا ليس صحيحا لأنه شتان ما بين ما استقبل به الشيخ رضي الله عنه وما استقبل به أي ضيف. إستقبال الشيخ رضي الله عنه بالحفاوة وكرم الضيافة- ليس في قبيلة هوسا فقط، أو دولة نيجيريا فحسب بل إستمع إلى الشيخ رضي الله عنه يذكر لنا بعض القبائل التي رحبت به وهي من عدة دول وعدة قبائل لما زارهم الشيخ. قال رضي الله عنه:-

إختلفـــت ألســـنهم والعقـــد متحـــد حقـــا لـــرب الحمـــد[2]
أولهـــم هَـــوْسَ وأهـــل جرمـــا كذا دَغُمْـــبَ الخـــير فـــيهم عمـــا
وجـــاءني يُرُوبَـــا كـــذاك موشـــي ووَنْغَـــرَا وجـــاء ومنفـــراشي
كـــذاك كُتَكُلـــي وفَرْفَـــرُو أتـــو كذاك غُنْجَا ومـــن الفيـــض رووا
وقـــوم غُرْمَـــا وبَسَـــنْغَاوَافُلاَ غَـــاوُو ووَالاَ أخـــذو عـــني ولا
غُـــرُنْشِ جـــاوا وكســـاسي ولـــبي بَرْغُـــو دغـــايّ فـــأزالوا نصـــبي

---

[1] كالشريف عبد الكريم المغيلي والشريف أُجْدُدُ والشيخ محمد العلمي وغيرهم من الضيوف.

[2] الرحلة الكناكرية والكماشية- صفحة (٨٥)

بَاسَـــــارَعَادَرَ فـــــتى القبائـــــل ســـقاهم الخـــتم التجـــاني القائـــل
أهل كُمَاشِي أهل ديـــن ورســـــوخ فمثلهم في الناس مطلـــب الشـــيوخ

ومما يؤكد أن الشيخ إبراهيم داعية عالمي كان لا يسكت عن كـــل مـــن أساء بالإسلام أدبا، أو طعن ما يمت به بصلة. قال رئـــيس أســـاقفة دكـــار في السنغال ليفيفر في عام (١٩٥٩م) في مناسبة العيد الميلادي إنه يقدم الســـنغال تحفة وهدية لقداسة بابا روما.

ولاشك أن هذه إساءة أدب للإسلام. ما عدد المسيحيين في الستينات في دولة السنغال حتى يتجرأ كبير الأساقفة بهذه المعاكسة للمسلمين والإهداء بما لم يملك؟ من أجل هذا أبرى الشيخ قلمه فرد على الكنيسة قائلا:-

رويدكم أهـــل الكنيســـة لـــن تـــروا مدى الدهر إنا قـــد تركنـــا محمـــدًا
فسنغال يأوي تحـــت ظـــل محمـــــد ويعبد ربًا جـــل شـــأنا موحـــــــدا
فمن ظن شـــيئا غـــير هـــذا فظـــــنه سقيم عليل باطـــل لـــن يؤيـــــدا
وإفريقيـــا لا ترتجـــي غـــير أحمـــد رسولا هدى النائي لـــه والأقـــارب
إلى ســـــنغال المنتمـــــى بجنابـــــه به أنشب الـــدهر الخـــؤن المخالـــب

والشيخ إبراهيم إنياس هو الوحيد الذي رد على الإهانة للإسلام والمسلمين بالرغم من كثرة العلماء في السنغال وغيرها من الدول الناطقة باللغة الفرنسية. وظن الرئيس الصيني وزعيم الشيوعية أن الشيخ إبراهيم من الذين يتكالبون على حطام الدنيا أو ليس جادا في سيره وهدفه. لذا وجه إليه طلب الإنضمام إلى الدعوة للشيوعية في العالم. ففاجأه الشيخ بأن الشيوعية أو المركسية أو غيرهما من الأفكار الفاشلة والضالة المتواجدة، آن ذاك، ما هي إلا أي الطوائف المذكورة ظن ووهم وخزعبلات وبرق خلب وحلم لايتحقق أبدًا. والصحيح

الثابت إلى قيام الساعة أو المربح في الدنيا والآخرة، هو الدين الإسلامي الذي جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بوحي الله إليه بالقرآن الكريم الكتاب الذي إستوعب كل متطلبات البشر وحل كل مشاكله الداخلية والخارجية، الدنيوية والأخروية.

فذكر الشيخ مجموعة من المتغطرسين الملحدين الذين تمردوا على الأديان السماوية وأسسوا مذاهب سياسية واقتصادية آن ذاك، والتي تحولت فيما بعد إلى الشيوعية بمفاهيمها المختلفة وأحزابها المتعددة. ذكر الشيخ أسامي هؤلاء الطغاة ليتضح جليا أنه داعية عالمي لايدافع عن الإسلام في قطر دون غيره. دائما هو متيقظ ومنتبه إلى ما فيه صلاح للإسلام والمسلمين نشرا ودفاعا. عاشت هذه المجموعة التي رد الشيخ على أفكارها الخبيثة ومحاولاتها الدنيئة. لقد تفاقم أمر هذه الشرذمة الحاقدة ما بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين. فأنشأ الشيخ الرد قائلاً:-

فتغنيك عن دستور كـرزو خالـد[1] وتغنيك عن جـون[2] يـروم محـالا
تمسـك بأذيـال النـبي متابعًـا مذاهبـه والمحـدثات فـلالا
فما نبليـون[3] أولنـين[4] ومـركس[5] بمـوحى إلـيهم خـل عنـك خبـالا

---

[1] كرزو خالد- (خالد) هو الخالدي زعيم روحي- ولد سنة (١٨٦٤م) وتوفي (١٩١٣م) أديب سياسي- ولد وتوفي بالقدس تعلم ببيروت واستنبول وباريس، له مقدمة في المسألة الشرقية، علم الأدب عند الأفرنج والعرب- منجد الطلاب قسم للإعلام- راجع ورقة الشيخ محمد الماحي قَوْرَمودَا والتي قدمها في ذكرى ميلاد الشيخ في مدينة مِنَا ولاية نِيجَا نيجيريا - ٢٠١٣م.

[3] نبليون بنوبرات **NAPOLEON** ولد في إجاكيسو من أسرة يوبايرت إمبراطور فرنسا-١٨٠٤-١٨١٥، زعيم فرنسي عسكري حاول تحويل أفكار الفرنسيين لما اضطربت الحرب الأهلية بفرس، فاحتل مصر ١٧٩٧ قاد حملة على مصر ١٧٩٨-١٧٩٩، فانتصر في معركة الأهرام. جلب من الفاتيكان إلى مصر أول مطبعة عربية- المنجد- صفحة-٥٦٧ الطبعة الثانية والأربعون بيروت.

كتـــاب مـــن الله الجليـــل جلالـــه قـــديم وبـــاق لا يخـــاف زوالا
تـــلاه الفـــتى المـــأمون جهـــرًا ويقظـــة فدع بعـــد هـــذا كـــل قيـــل وقـــالا
فيـــا رب قـــرر لي العيـــون بـــأن أرى سوى الحق مـــن ذي القـــرن زال وزالا

فبهذه البسالة الدعوية، وبهذه الصراحة الإيمانية وبهذه الثقافة الشاملة تحقق للرئيس الصيني أنه لم يجد ضالته المنشودة. حكى لي المرحوم الشيخ محمد النذير إنياس أن اليهود حرفوا بعض الأماكن في القرآن الكريم في القـــاهرة. في عهـــد الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وطبعوا عدة نسخ من هذا القرآن المحـــرف فكشف الله خيانتهم فقبض عليهم وحرقت النسخ التي طبعوها وأعدم الـــذين ارتكبوا الخيانة، وبعد ما هدأت الضوضاء. قال الشيخ للرئيس جمال عبد الناصر أرى أن تجعلوا القرآن في الإسطوانات، ويوزع في جميع أنحاء العالم وأنا كفيل بتوزيع نصيب غرب إفريقا، فكان كما وصف الشيخ بصوت الشـــيخ محمـــود خليل الحصري كان ذلك في بداية الستينات.

وحكى لي أيضا أن الشيخ رضي الله عنه هو الذي طلب من الملك فيصل أن يؤسس للمسلمين على المستوى العالمي رابطة تربط جميع المســـلمين بغـــض النظر عن بعد مناخهم واختلاف ألوانهم وألسنتهم، فكان كما وصف الشـــيخ، فأسست رابطة العالم الإسلامي، ومقرها الرئيسي مكة المكرمة فكـــان الشـــيخ

---

(٤) لينين- هو زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفيتية أعاد تنظيم الحزب من كبار منظري الماركسية- المنجد- صفحة-٥٠٦ الطبعة الثانية والأربعون بيروت.

(٥) ماركس كارلو: ولد في **MARX** (تريف) المانيا من رجال السياسية والفلسفة الإجتماعية حرر البيان الشيوعي مع الإنكليز- وأسس الدولة الأولى في النظام الرأس المالي وهو عرض نظريته التي أصبحت فيما بعد دستور الماركسية والنظام الشيوعي. المنجد- الطبعة الثانية والأربعون- صفحة ٥١١- وراجع منجد الطلاب- صفحة ٦٢٦.

(٢) جُون - هو (جون كِنَدِي) ولد في بروكليين ولاية مَسَارسوسيس- هو رئيس الولاية المتحدة الأمريكية- ١٩٦١م أغتيل تشرين الثاني -١٩٦٣م- منجد الطلاب.

نائب الرئيس الأول لها وفيما بعد عضو المجلس التأسيسي لها بتاريخ ١٣٨١هـ. الموافق ١٨/٥/ ١٩٦٢م في عهد الملك سعود بن عبد العزيز.

علم خالقي بأن سفري ما فيه حظ من حظوظ البشر

إن فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس قد أعطى للدعوة كلما تتطلب إليه بداية من التدريس. ويوم أن كان الشيخ يدرس الكتب، قد قام بما يتحدى الجامعات بدكاترتها، وفرافستها، هل يمكن لأرقى جامعة اليوم أن تخرج الفطاحل من العلماء، مثل من تخرج على يد الشيخ علمًا ومعرفة وسلوكًا، وشهرة ممن لم يعرفوا مدرسا غير الشيخ إبراهيم إنياس. أمثال السيد عليٌّ سيس، والشيخ عثمان جَاي، والشيخ عمر تري، والشيخ إبراهيم محمود جُوبْ، والسيدة رقية إنياس، والشيخ محمد الكبير فَايْ، والشيخ الحاج عبد الله إنياس، والشيخ تجاني إنياس، ومن لف لفهم.

أما في الخطابة، حدث ولا حرج فهو المسجد المتنقل فهو الخطيب أينما حل يكفينا في ذلك مثالا أنه صلى بالناس خطيبًا في جامعة الأزهر كما ذكرت سابقا. إذا كانت الدعوة تتطلب إلى التأليف يقوم بتأليف فوراً فقد ألف كتابا في يوم. وكل الكتب التي ألفها الشيخ لم يؤلفها إلا لحاجة ماسة إلى ذلك. أمثال **(كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس)** و**(سبل السلام في إبقاء المقام)** و**(نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعى إلى الله وهدى)** و(الحجة البالغة في كون قراءة القرآن في الرَادِيُو سائغة) فإذا رجعت إلى المحاضرات، ستجد أن الشيخ رضي الله عنه قد قدم الحقائق، وقدم أوراقًا مليئة بالموضوعية ومكللة بالحجج الدامغة والإقتراحات المبدعة. سل رابطة العالم الإسلامي عنه، وسل عنه في القاهرة وباكستان، وفي الهند وكراتشي. وإذا كانت الدعوة تحتاج إلى الرحلات، فقد قام الشيخ بما فيه

الكفاية، حيث أنه طاف جميع أنحاء العالم. شهد له بذلك العام والخاص. ومن ناحية المهتدين الجدد فقد اهتدى على يد الشيخ ملايين من المجوس والمسيحيين، فقد قام رضي الله عنه بأشياء كثيرة تتعلق بالدفاع عن الإسلام والمسلمين، فقد أكثر الشيخ النثر والشعر في ذلك، سواء على مستوى المحافظة أو على مستوى الدولة أو على مستوى القارة أو العالم جمعاء.

كرامات الشيخ رضي الله عنه

الكرامة هي ما يجريها الله من خوارق العادة على يد رجل صالح أو إمرأة صالحة بغير تحد أو دعوى.

يقول الشيخ إبراهيم البيجوري:

واثبـــــتن للأوليـــــاء الكرامـــــة ومـــــن نفاهـــا إنبـــذن كلامـــه

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى أكرم الشيخ رضي الله عنه بل وأكرم أحبابه المخلصين بكرامات لايحصيها العد والحسبان في حياتهم وعند وفاتهم وبعد وفاتهم.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن إتباع الأوامر واجتناب النواهي والإستقامة على النهج السوى والتعطش إلى مرضات الله والإبتعاد عما يسخط الرحمان تلك أكبر نعمة يحظى بها العبد. وحسبما وفق العبد بطاعة المسبب تنقاد له الأسباب. ففي الحديث القدسي: أطعني يا عبدي تقول للشيء كن فيكون. ومن أراد أن يعد ما أكرم الله به شيخنا رضي الله عنه من الكرامات فقد حَمّل نفسه مالا طاقة لها به.

وكل من درس حياة الشيخ دراسة مكثفة يعلم تماما أن الله أكرمه بما لا مطمع لغيره به. وقبل أن يطول بنا الحديث لنتدبر قول الشيخ رضي الله عنه:

وصان إلهـــي نفســـي الـــدهر لا أرى أميل إلى ما ليس في الشـــرع جـــائزا

فليندهش من يندهش إذا رآى شخصا مرج البحران فيه يلتقيان. ولم أستغرب عن سبب تعجب الشيخ القاضي محمد عبد الله ابن المصطفى أحد أحباب الشيخ إذ يقول:-

على لبســـت حقـــا أي تلبيـــــس أشـــيخ تربيـــة أم شـــيخ تـــدريس

طـــورا تميـــل إلى تقيـــد أو نظـــر طورا وطـــورا لتســـبيح وتقـــديس
أنت الذي بـــلا وصـــفيك متصـــف لله درك يـــا عـــــدو إبلـــيس

ثم إن ما حدَّثَ به كل من الشيخ حسن سيس والشيخ كبير فَيْ اللذان كانا بمثابة الممرضين للشيخ إلى وفاته في المستشفى في لُنْدُنْ. من إهتمام الشيخ رضي الله عنه بالمحافظة على أداء الصلوات الخمس، وقراءة أوراد الطريقة التجانية وملازمته سُبُعه يوميا إلى يوم وفاته طبقا بمراد الله بقوله ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر]، إن في ذلك لكرامة للعارفين. وإنه لبلاغا للاعبين ألإباحيين. والذي تابع تنقلات الشيخ في العالم وعرف كثرة أسفاره في الدنيا أفلا يستغرب إذا سمع الشيخ رضي الله عنه يقول:

قـــــواني المنـــــان في الأســـــفار ولســـــت محتاجًـــا إلى الافطـــار

أليست هذه كرامة أكرم الله الشيخ بها؟ لقد طلب الشيخ من المولى عز وجل أن يمن له بكرامة تخصه، يا ترى ما صنف هذه الكرامة! ولاشك أنها غالية ونفيسة. يقول فضيلته:-

فلـــتجعلن حفـــظ كتابـــك الكـــريم كـــــرامتي إلى لقـــــاءك العظـــيم
حـــبي وشـــوقي فيـــك لا يشـــفيه ســـوى حلـــولي وارتحـــالي فيـــه
نروم أن يصحبـــنا مـــدى الـــدوام بحفظنـــا لـــه ولـــو حـــال المنـــام
قـــدنى بـــه قطـــني وقـــد كفـــاني كتابـــك الشـــافي لـــدى الأحـــزان

ولقد كان كل ما طلبه الشيخ في هذه الأبيات من كلا الطرفين:

الطرف الأول : أن لايحول بين الشيخ وبين قراءة القرآن شيء، لم يحل بينه وبين سُبُعه شيء إلى يوم وفاته رضي الله عنه.

والطرف الثاني: أن يسهل الله لعباده حفظ القرآن الكريم عن ظهر القلب في وقته كرامة له. ولقد كان ذلك حيث وجدنا مدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة ومتزايدة. ظل حفظ القرآن في جميع مراحل حياة الناس ميسرا. والذين حفظو القرآن في السن السابع من عمرهم كُثُر في جميع أنحاء العالم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر].

ويقول رضي الله عنه:

الحمد لله نشأت طاهرا ... ما قلت فخرا بل نطقت شاكرا

ما قط جلست سفيها ولما ... اجلس سوى فحول قوم علماء

حبـــّـُه لتلاوة القرآن الكريـــم

منذ أن حفظ الشيخ إبراهيم إنياس القرآن الكريم عن ظهر قلبه في الســـن المبكر من عمره لم يفارق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار. كان الشيخ أبر بأمه وأبيه من جميع إخوته وأخواته، لايمتري في هذا صحيح المعرفة.

من الخبر المتواتر في حياة الشيخ أنه كان يحرس بستان والده من الطيـــور والقردة، وكان طوال نهاره لايفتر عن تلاوة القرآن رافعا صوته به يقوم بمهمتـــه الحراسية ويتلو القرآن في آن واحد. هكذا ظل الشيخ في كل سنة إلى أن تـــوفي والده رضي الله عنه.

وكانت له ختمة يقوم بها كل ليلة علاوة على ما قام بها في النهار. ولمـــا تراكمت على كاهله شواغل الدعوة من تدريس الطـــلاب وإلقـــاء الـــوعظ والزيارات وبدء تحمل عبئ القيادة والسيادة يكثران على كاهله. إكتفى بختمتين للقرآن في الأسبوع. سُبُع في الليل وسُبُع في النهار لم يفتر عنهمـــا حـــتى أتـــاه اليقين.

قال الإمام حسن سيس: (أشفقت على الشيخ رضي الله عنه ذات يوم لما رأيت من كثرة الأعمال والظروف التي تراكمت عليه وهو مع ذلك حـــريص على أن لايفوته سُبُع من سُبُعه، فطلبت له إسطوانات المصحف المرتل ليكتفـــي بالإستماع فقط، فقال: دعني وتلاوة القرآن هذه الإسطوانات لاتغنيـــني عـــن التلاوة وإن لم تسمعني أقرأ فأنا أقرأ القرآن. قال الإمام: إذا كنت تزيد أن ترى الشيخ في الفندق أو المستشفى فلم تعرف غرفته فاستمع إلى تلاوته للقرآن أينما كان تسمع صوته بتلاوة القرآن الكريم). أو تجمجمه به. كَثُرَ ما يدخل سيارته،

ويتجول معه السائق ريثما يكمل سبعه إذا خشي أن يفوته سبعه لكثرة الظروف أو تراكم الأمور.

درب الشيخ رضي الله عنه أحبابه بكثرة تلاوة القرآن حيث أسس لهم يوم القرآن في السنة يتوافد المقدَّمون مع مريدهم إلى مدينة كولخ كل منهم يقدم الختامات التي قام بها هو وأتباعه وما زالت تلكم الختمات السنوية تتزايد في كل عام، لأن عدد الأتباع يتزايد كل يوم.

وبمجرد زيارة مدينة كولخ ولو يوما أو يومين ترى بأم عينيك أن الشيخ يحب القرآن حيث أسس الإستماع إلى القرآن للعاكف في المدينة والباد. لأنه منذ الستينات إلى يومنا هذا بعد كل النداء الأول لصلاة الصبح قبل طلوع الفجر إلى قبيل إقام صلاة الصبح بثوان. وبعد نداء كل صلاة الظهر إلى قبيل إقامة الصلاة بثوان، وبعد نداء العصر إلى قبيل إقامة صلاة العصر بثوان.... تسمع صوت إسطوان القرآن الكريم يرتفع حاوالي خمس كيلو مترات من جميع الجهات- هذا دأب البلد منذ الستينات إلى يومنا هذا.

وهدف الشيخ في هذا تصحيح تلاوة الناس وقراتهم للقرآن لأن تلاوة القرآن تتطلب إلى مشافهة القارئ أو الإستماع إليه جيدا. ويهدف الشيخ بذلك أيضا أن يرغب الناس في الإستماع إلى قراءة القرآن الكريم ولاسيما الجيل الجديد. ثم إن إرتفاع الصوت بالقرآن في الدار أو الحي أو البلد شيء مفيد للعام والخاص من جميع النواحي. قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت].

من استمع إلى القرآن يريد أجرا فله بكل حرف عشر حسنات. كما ورد في الحديث.

وقلما تجد دارا لايختم فيه القرآن في الصباح أو المساء في مدينة كولخ. هذا كله من تربية الشيخ للناس وحبه لتلاوة القرآن. جزاه الله خيرا. وهذا رمز للسُبُع الذي يقوم به الشيخ وأتباعه في مشارق الأرض ومغاربها أو صيغة من صيغ السبع.

بكر عقود يونس سبحان والشعراء يقطين قاف بان

اليوم	بداية الأسبوع	نهاية الأسبوع
السبت	أول سورة البقرة	آخر سورة النساء
الأحد	أو سورة المائدة	آخر سورة التوبة
الإثنين	أول سورة يونس	آخر سورة النحل
الثلاثاء	أول سورة الإسراء	آخر سورة الفرقان
الأربعاء	أول سورة الشعراء	آخر سورة الصفات
الخميس	أول سورة "ص"	آخر سورة الحجرات
الجمعة	أول سورة "ق"	آخر سورة الناس

ومما يشير إلى حبه للقرآن والتدريب على تلاوته، حَفَّظَ أبناءه وبناته القرآن الكريم هم ومن تعلق به في صغرهم من البنين والبنات.

والكرامة التالية هي أن الشيخ رضي الله عنه أراد أن يزور الشيخ التجاني رضي الله عنه في مدينة فاس، في أيام الحرب العالمية الثانية، فسمع هاتفًا يقول:-

أخر قدومك يا أبا إسحاق يا وارث السر للاستحقاق
والسر لم يحمله غيرك في هنا فأقم هناك وأسقهم يا ساقي
فيا حامل السر وهو المستحق به فليس يحمل ما حملت من أحد
أخر قدومك حتى ينجلي غمم عن القلوب وسلمها إلى أحد

فانثنى عن الزيارة إلى مدينة فاس فاتجه إلى مدينة كنو وفاء للعهد الذي عهد به لأميرها الحاج عبد الله بايرو، في عام ١٩٣٧م، لزيارة امارته. فزارها الشيخ في عام ١٩٤٠-١٩٤١م.

فسادف أن جاء الشيخ أحمد سكيرج العياشي إلى ضريح الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه للزاوية في فاسْ للزيارة، فسمع تلك الأبيات بهاتف يخرج من قبل ضريح الشيخ التجاني رضي الله عنه فارتجل الشيخ سكيرج قائلاً:-

يا ساقي القوم لا تبخل علي بما أسقيتهم في النوى يا ساقي القوم
قد نال منك أبو إسحاق أمنية في يقظة لم ينلها الغير في النوم

ولا يبعد أن يكون من أجل ذلك قدم السكيرج شهادته القيمة لفضيلة الشيخ إبراهيم انياس تلكم الشهادة التقديرية، والتي لم يتردد الشيخ سكيرج في تقديمها للشيخ بين الملاء حيث يقول:

شهدت لكم فتحا مبينا بما لكم به الحق من بين البرية قد خصا
ورثت عن الشيخ التجاني خلافة وإني لكم فيها أنص لكم نصا
وإني أرى الشيخ التجاني خاتما وأنت الذي قد سرت في الخاتم الفصا
وما قلت هذا عن هوى وتبجح ولا كان عن شطح رقصت به رقصا
ولكنه عن وارد جاءنا شرا لواء سرور منه حاسدكم غصا
وكم طائر فخراً يعد مزاحما لكم في المعالي والجناح له قصا

مؤلفاته في شتى المجـــــلات والفنون

الشيخ إبراهيم إنياس داعية كرس حياته للقيام بمهمة الدعوة منذ نعومـــة أظفاره. هيأ نفسه ليؤدي للدعوة كلما تتطلب إليه بداية من تجشـــمه مشـــقة الرحلات في القرى والبوادي برا وبحرا، وإلقاء الدروس في جميع الفنون وإلقـــاء المحاضرات والوعظ والإفتاء والتأليف. ونجد أنه عند ما يســـافر لايحمـــل إلا سبحته ومصحفه وأوراق كتابة مدح النبي صلى الله عليه وسلم هـــو زاده لأي إجتماع يقابله، أو لأي جماعة يواجهها. علمه معه حيثما كان. وقد ألقى عدة مجالس علمية، ومن حسن الحظ أنه كُتِبَتْ بعضها وبعضها فاتت. وكـــذلك في تفسير القرآن الكريم باللغة الولفية واللغة العربية دون بعضها وفاتت جلها لأنها لم تكتب. سمعت من الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ أن الشيخ رضي الله عنه فســـر القرآن الكريم تسع مرات ما بين ما قام بتفسيره بلغة وولوف وما فسره بلغـــة العرب.

١. في الفقه والفكر الإسلامي:

١) رفع الملام عمن رفع وقبض إقتداء/ بسيد الأنام

٢) تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام.

٣) تحفة الحاضر بما ينفع الحاج سيما في الطائرة.

٤) الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة.

٥) سبيل السلام في إبقاء المقام.

٦) إرشاد السارين إلى عدم وجوب زكاة هارين.

٧) بحث في ثبوت رؤية الهلال.

٨) تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية.

٩) الجواب الشافي عن خلق المرأة.

١٠)الجواب الموسع عن نازلة السلم.

١١) كشف الغمة في رفع مراء علماء الأمة.

١٢) مسرة المجامع في مسائل الجامع.

١٣) نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى.

١٤) وجه التحقيق في كون جامع مدينة هو العتيق.

١٥) الصارم الأحمدي في قطع تلبيسات ابن أحمدي.

٢. في التصوف الإسلامي:

١) كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس.

٢) البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين.

٣) تحقيق المعاني في سنية الورد التجاني.

٤) تنبيه الأذكياء في كون الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء.

٥) النقاط اللؤلؤ المكنون في بيان السر المصون.

٦) الأنوار السطع- المسمى (المرهفات الشرح) شرح نظم الحاج ابن الحاج عبد الله إنياس.

٧) السر الأكبر والنور الأبهر.

٣. في النظم:

١) روح الأدب - لما حوى من حكم وأدب.

٢) روح الحب في مدح القطب

٣) طيب الأنفاس في مدائح الختم أبي العباس.

٤) النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني.

٤. في السيرة والمدائح النبوية:

١) إكسير السعادات في مدح سيد السادات.

٢) أوثق العرى في الإستغاثة بمدح سيد الورى.

٣) تيسير الوصول إلى حضرة الرسول.

٤) سلوة الشجون في مدح النبي المأمون.

٥) شفاء الأسقام في مدح سيد الأنام.

٦) كنز العارفين في مدح سيد الأولين والآخرين.

٧) مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد.

٨) نور الحق في مدح الذي جاء بالحق.

٩) سير القلوب.

١٠) جامع الجوامع الدواوين.

١١) نور البصر في مدح خير البشر.

١٢) الفيض الأحمدي في المولد المحمدي.

١٣) الخمر الحلال في مدح سيد الرجال.

١٤) مفتاح العطية في الإستغاثة لخير البرية.

١٥) جبر الكسر في مدح الشفيع يوم الحشر.

٥. في المراسلات وبعض الخطب والمحاضرات:

١) جواهر الرسائل: جمع ونشر الشيخ أحمد أبي الفتح ابن علي رضي الله عنه.

٢) إفريقيا إلى إفريقيين.

٣) رسالة نيامي.

٤) الرضى بالقضاء في مسألة غزو الفضاء.

٥) زيادة الجواهر: جمع وتوطيد وترتيب الشيخ أبي الفتح.

٦) الضاد الخالد. طبع ونشر مجلة اللسان العربي العدد-٥.

٧) العقد النفيس- جمع وتحقيق الشيخ أبي الفتح جزاه الله خيراً.

٨) علم قريش محمد ابن إدريس الشافعي.

٩) الدعوة الإسلامية.

١٠)الكتر المصون واللؤلؤ المكنون. يحتوي عدة أدعيات[١] والتوسلات- للشيخ جمعها الإمام حسن سيس رضي الله عنه.

١١)سعادة الأنام بأقوال شيخ الإسلام. فيه عدة مجالس الشيخ العلمية والخطب والمحاضرات الجمة قام بجمعها الإمام الأكبر الشيخ أحمد التجاني سيس جمع في هذا الكتاب أكثر من خمس وثلاثين مقالة للشيخ رضي الله عنه. جزاه الله خيراً.

١٢)الخطب المنبرية- جمع وتحقيق الشيخ إبراهيم ابن أحمد للهبية.[١]

٦. في النحو والصرف:

١)تحفة الأطفال في حقائق الأفعال. أخبر صنوه الشيخ أبو بكر المثنى المعروف سَرِنْبَيْ أن الشيخ رضي الله عنه ألفّ هذا الكتاب لهم كتلامذته ليتركوا الكتاب الذي يَدْرُسُونَ منه الصرف من قَبْلُ. قام الشيخ رضي الله عنه بتأليف هذا الكتاب في نصف يوم. وأخبرني الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ أن كتاب كاشف الألباس عن فيض الختم أبي العباس، ألفه الشيخ في تسعة أيام فقط. هو أي كاشف الألباس وتحفة الأطفال، همان الذان لم يراجعهما بعد تأليفهما بل سلمهما إلى الجهة المعنية للتبييض ما يشير إلى الرسوخ المذهل والغريب في فن التأليف قديما وحديثا. وقد نال منه الكثير الكثير من الطلاب الشهادات العليا من الجامعات لأنهم قاموا بتحقيق هذا الكتاب (**تحفة الأطفال**) أو غير ذلك من الخطط الأكاديمية. ويقول رضي الله عنه تحدثا بنعمة الله بما نال في بحور العلم والإذن المطلق في الدعوة إلى دين الله الإسلامي في جميع أرجاء المعمورة.

والعبد قد لقي عين العلم وجاءه الإذن بدون وهم

---

[١] راجع كتاب الشيخ إبراهيم إنياس ومنهجه في التصوف- للشيخ صغير حسن عيسى - صفحة ٢٦- ٣٣. وراجع: الشيخ إبراهيم إنياس المدرس للإستاذ معاذ أحمد بطي - صفحة ٣٣.

[١] راجع لب اللب في شرح منظومة روح الأدب للشيخ موسى دُظُو- صفحة - ٧١/١. وراجع كتاب ترجمة شيخ الإسلام للشيخ إبراهيم أحمد الهيبة الموريتاني - صفحة - ٢٣ - ٢٥ بحث قدمه لنيل شهادة ليسانس في الجامعة الإسلامية - موريتانية.

٧. في أدب الرحـــــــلات:

١. تذكرة من كانو.[١]

٢. الرحلة الحجارية.

٣. الرحلة الكوماشية.

٤. الرحلة إلى المورتانية.

٥. نيل المفاز بالعودة إلى أرض الحجاز.

٦. الرحلة الحجازية الأولى.

٧. نفاحات الملك الغني في السياحة في أرض بَمَكُو وغِنِي.

---

[١] راجع – الشيخ إبراهيم إنياس ومنهجه في التصوف – للشيخ صغير حسن عيسى– صفحة –٢٦.

موقف الشيخ إبراهيم إنياس من تعليم اللغات

ألقى الشيخ رضي الله عنه محاضرة في بيروت في الستينات فأعجب المستمعون بهذه المحاضرة فأقبلوا على الشيخ كل واحد يريد أن يصافح الشيخ أويلمس ولو ثوبه تبركا فوصل الإزدحام حدًا وكمًّا لايطاقان. من أجل هذا أَخْرَجَ بالشيخ رجال الأمن من باب غير الرئيسي للمسجد. وزاره شخص من الذين سمعوا المحاضرة فقال للشيخ: هل تتكلم باللغة الفرنسية فقال له الشيخ والدي ما ألحقني بالمدرسة الفرنسية فقال الزائر لو كنت تتكلم باللغة الفرنسية لكان إنفاقك أكثر. قال الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ فخشيت أن يحقر هذا الزائر فكرة الشيخ الحاج عبد الله إنياس والد الشيخ، فاستأذنت الشيخ في الرد على هذا الرجل فأذن لي فقلت للرجل- ما تقييمك بمستوى علم هذا الشيخ هل يعدل المستوى شهادة ليسانس؟ فقال: هو أكثر من ذلك بكثير، قلت هل يعدل مستوى شهادة ما جستير؟ فقال هو أكثر من ذلك بكثير، وقلت هل يعدل مستوى دكتوراة؟ فقال هو أكثر من ذلك بكثير، وقلت هل يعدل مستوى فروفيسور؟ فقال هو أكثر من ذلك بكثير. وقلت له هل يمكن أن تُعَلِّمَ دولة مواطنا بداية من المرحلة الإبتدائية إلى مثل هذه المرحلة ثم تتركه الدولة حرا ينطلق حيث يشاء ويبرمج لنفسه رحلات دعوية من السنغال إلى بيروت وإلى أبعد من ذلك. فقال لايمكن قلت له من أجل هذا كرس الشيخ الحاج عبد الله إنياس حياة أولاده في التخصص بعلوم الدين الإسلامي ليتمكنوا من نشره والدفاع عنه على هذا الشكل الرفيع المستوى كما ترى. فقام الرجل واقفا على قدميه فقال: لقد قمت إجلالا لهذ الفكر الثاقب الذي إنبثق من ذهن الحاج عبد الله والد الشيخ إبراهيم إنياس. نعمت الفكرة الناجحة والموفقة.

وبالفعل منع الشيخ الحاج عبد الله إنياس أبنائه من الإلتحـــاق بالمـــدارس الفرنسية. وفي تلك الآونة كانت بين رجال الدين والمستعمر معركة دامية يحاول المستعمر طمس آثار الإسلام في السنغال بكل ما أتى من القوة، لولا أن رجال الدين وقفوا ضد ذلك وقفتهم الفولاذية. المعركة حامية الوطيس بين الإستعمار والمدارس القرآنية و لم يحل ذلك دون إزدياد طلبتها بإطراد – بشهادة مارْتِى أحد أقطاب الإستعمار الذي قام سنة ١٩١٨م. بإحصاء تلامذة المدارس العربية بمدينة سَانْت لُوِيسْ (SANTLOUIS) السنغالية فوجدهم أضـــعاف تلاميـــذ المـــدارس الفرنسية لكن بعد ثلاثة عشر سنة من هذ الإحصاء رجحت كفة الميزان بصالح اللغة الفرنسية وتخليدا لهذا الإنتصار على اللغة العربية كتب أحد المفتشين للتعليم الإبتدائي– سنة ١٩٣٠م. تقريرا يقول إنهزمت المدارس القرآنية.

العلاقة بين الإسلام والإستعمار الفرنسي في السنغال مرت بمراحل عـــدة تميزت بالإضطرابات والغليان والصعود والهبوط، عداوة مستحكمة ومتبادلـــة، وكانت الإدارة الإستعمارية قد قسمت الطائفة الإسلامية في السنغال إلى الفئات التالي ذكرها:–

١) فئة لا ترى مناصا من الدخول في عراك معهالتحطيمها وإبعاد شرها.
٢) فئة لاتثق بها لكنها لاتمثل خطورة كبيرة ولكن يجب أن تظل مراقبة.
٣) فئة ثالثة لا خوف منها ولاتتوقع منها شرا.
٤) فئة تعتمد عليها وتغتسلها لأغراض إدارية وسياسية.
٥) فئة تعتبرها خطرة جدا يتحتم إبعادها عن البلاد لإتقاء شرها.
٦) فئة صالحة تنظرها تستحق التشجيع لقبولها التعاون معها فكافئتهـــا بالأوسمـــة والألقاب ظلت معاملة الإستعمار للمسلمين في السنغال متأر جحة بين الصعود

والهبوط بين القسوة والليونة تبعا لسياسة الحكومات الفرنسية المتباينة وشخصية الحكام العاملين الذين يديرون البلاد.

وخاصة إذا نظرنا كيف حذر الإسلام المسلمين من موالات الكفار. قال تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]. ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة]. وكقوله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

إلا أن وجهة نظر الشيخ إبراهيم إنياس تجاه تعلم اللغة الفرنسية كلغة من اللغات لاعيب فيه. ولما منعه والده من الإلتحاق بالمدرسة الفرنسية حاول تتبع أصدقائه ليتعلم منهم ما تعلموا من المدرسة. فداهمه الوالد في هذه الحالة فقال: يا خيبة الأمل ..... يا إبراهيم أنت الذي تدرس اللغة الفرنسية وأنت أملي الأكبر، فقال له الشيخ رضي الله عنه بداية من اليوم فلن تراني أو تسمع أنني أتعلمها. وبعد ما فهم المستعمرون أن الحاج عبد الله إنياس لاطمع له في الملك ولا التدخل في سياستهم جنحوا للشيخ عبد الله للسلم فجنح الشيخ لها حتى بدئت المراسلة بينه وبينهم، وود الشيخ عبد الله أن يكون الشيخ إبراهيم هو الذي يترجم له الرسائل ويرد عنها. فقال له يا إبراهيم هل يمكن أن تتعلم هذه اللغة الآن؟ فقال له الشيخ يا أبتاه الآن كبرت في تعلم اللغة إنما يكون ذلك في الصغر. فمن ثم بدئت إنطلاقة الشيخ في الفهم والعلم، لأنه يرى أن مجرد تعلم اللغة شيء مباح بل يتأكد على الداعية. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ

خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم].

والرسول عليه الصلاة والسلام أمر زيد ابن ثابت أن يتعلم اللغة العبرانية لتتبادل الرسائل بينه وبين الملوك، لما اتسعت له عليه الصلاة والسلام رقعة الدعوة وبدأ يراسل غير العرب من القبائل، كالفرس والروم.

ولما تخرج الإمام حسن سيس من جامعة الأزهر بشهادة ليسنس أراد أن يبدأ العمل كموظف في الدوائر الحكومية، فأخبر الشيخ رضي الله عنه بذلك فقال له الشيخ ليس هذا هو ما أريد أن تقوم به، إنما أريد أن تذهب إلى لُنْدُنْ لتواصل دراستك في تعلم اللغة الإنجليزية. لما يعلم الشيخ أن ذلك سينجب للإسلام أبناء بررة مستقبلا، وبالفعل فقد نجحت هذه الفكرة حيث أصبح الشيخ حسن سيس أكبر داعية في أمريك والدول الأروبية لتمكنه في كلتي اللغتين العربية والإنجليزية بل والفرنسية.

ويقول شاعر:-

بقدر لغات المرء يعظم نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا فكل لسان في الحقيقة إنسان

يقول الشيخ سكيرج: إن المرء يتعدد بتعدد اللغات التي يتقنها، ولكن يجب أن يكون للغة العربية مكانا خاصا بين تلك اللغات التي يتعلمها، وذلك لخصائصها ومميزاتها التي تبؤها مكان الصدارة والذروة.[1] يقول فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس ناصحا لشباب الأمة الإسلامية: تعلموا العربية لأن من لم يعرفها

[1] الهداية السادة بالمسامرة- للشيخ سكيرج - صفحة -٨.

قلما يعرف دينه[1]. ويقول المثل الشائع: من تعلم لغة قوم أمن من مكـــرهم. إذا كان تعلمها للعلم لا للولاء والذوبان أو التكالب في حطام الدنيا ما جعل بعضهم يفضلون لغة الأجانب على لغة القرآن.

(١) سمعت ذلك من الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ.

من غرائب الشيخ إبراهيم إنياس

ومن أمعن النظر في شخصية الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه يجد أن حياته مليأة بالمواهب الإلهية الجمة والكرامات الباهرة الجُلّى، لذا أردت أن ألفت نظر النشئ القادم والأجيال الوافدين بل والمتواجدين ليزيد ذلك معرفة في عظمة الشيخ رضي الله عنه وقدره المتزايد يوما بعد يوم. إن دلّ هذا على شيء فعلى رأس ما يدل عليه أن الشيخ رضي الله عنه قد نال قسطا كبيرا من رضي الله ورسوله ورضي الوالدين ورضي الشيخ التجاني رضي الله عنه.

ولاشك أن صورة الشيخ الحسية والمعنوية ستبقى تذكرا بالغرائب والعجائب التي أودعها الله في تلكم الشخصية العجيبة والنادرة الفريدة. قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

ومرة أخرى ترون عجبا ... من فيض ذي الختم إمام النجباء

وقال رضي الله عنه متحدثا بنعم الله وفضله عليه في الدنيا والآخرة:-

فصورة إبراهيم تبقى تذكرا ... إذا ئاب للمولى العلى وتفكرا
متى دفنوني في التراب تحدثوا ... لقد كان ينوي الخير لو كان مقصرا
أجاور ربا واهبا متفضلا ... ويعطى لهذا العبد ما الكل حيرا
وكنت حروفا عاليات وأسطرا ... تفسر مهما ذلك القبر بعثرا

صرفّ الشيخ أوقاته كلها في طاعة الله ورسوله وهمته في ذلك تتعالى وتتزايد منذ نشأته إلى أن علت به الهمة واكتفى بنوم ساعتين فقط في أربع وعشرين ساعة، ينام ما بين الساعة الثانية ليلا إلى الساعة الرابعة يوميا منذ أن بلغ ثلاثين سنة إلى أن توفي، وله خمس وسبعون سنة (٧٥). سُمِع منه ذلك

يوم أن جاء إليه طبيبه (أَرْوَايْ) في لُنْدُنْ مرتعبا، وذلك لأنه أي أَرْوَايْ لقح الشيخ بإبرة- وبطبيعة الحال من لُقِّح بها ينام سبع ساعات على الأقل. وبعد التلقيح بساعتين فقط فوجأ أرواي بأن سَمِع صوت الشيخ يتلو القرآن فقال للشيخ حسن سيس كيف تركتم شخصا دخل على الشيخ؟ فذهبا إلى غرفة الشيخ فرآى الشيخ رضي الله عنه أن الطبيب قد فزع واندهش خوفا من عواقب يقظة الشيخ قبل أن ينام سبع ساعات، فقال يا الحسن قل له أنا منذ أن بلغت ثلاثين سنة من العمر وجدت أن أربعة وعشرين ساعة لاتكفيني من فعل ما أريد أن أقوم به من الأعمال الخيرية يوميا، لذا قررت على نفسي أن أكتفي بنوم ساعتين فقط. قال تعالى ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد

قال الشيخ حسن سيس: قال لي الشيخ رضي الله عنه: يا الحسن هل أدركت عند ما كنت أُدَرِّسُ مقامات الحريري كأنني حفظتها عن ظهر القلب؟ قلت له: يا جدي عند ما تُعلِّمُها أم عند ما تَعَلَّمْتها؟ قال: قلت لك عند ما أعلمها أنا ما تعلمتها عند أحد. فحكيت الحكاية، يقول الإمام حسن سيس للشيخ أحمد ثام فقال بالنسبة لهذ الخبر أنا شهود عيان فيه. والحاصل هو أن الشيخ الحاج عبد الله إنياس أمر أكبر أبنائه أن يعلم الطلاب مقامات الحريري، فبدء الطلاب يتوافدون إلى هذا الدرس غير أن الشيخ إبراهيم لايحضر الدرس فقلت له ألم تسمع أن أخاك يدرس؟ فقال: الكتاب الذي يدرسه لاحاجة لي في أن أتعلمه من أي أحد. قلت له: هل تعلمته؟ قال: نعم. قلت هل تستطيع أن تفسره لي؟ قال: نعم، فأتيت بسنخة من مقامات

الحريري فبدئنا من المقامة الأولى فالثانية، فالثالثة، فقلت هذا يكفي فعلمت أن أمر الشيخ غريب، لأنني على حد قول الشيخ أحمد ثام أعلم تماما أن الشيخ لم يدرس هذا الكتاب من أحد. لو درسه من والده لعلمت وهو لم يدرس من أحد غير والده ولو حرفا.

أَكْرِمْ بالحاج عبد الله إنياس وَلَدَ الشيخ إبراهيم وعلمه ورباه ولقنه الطريقة التجانية، وقام فيه بكل حقوق الأبوة جزاه الله خيرا. قال تعالى ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد].

يستغرب الدكاترة والفرافسة والفطاحلة من العلماء وكبار الشيوخ- أن الشيخ لم يتعلم إلا من والده، وعلاوة على ذلك لم يدرس مقامات الحريري والتي تعدل ثلث اللغة العربية وكيف تتلاطم منه أمواج فنون العلوم وكيف يُعَلِّمُهَا للآخرين.

ولقد صح قول الشاعر:-

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

ألف كتابا في نصف يوم. حكي عن صنوه الشيخ أبي بكر سرِنْبَيْ أن الشيخ رضي الله عنه قال لهم ذات يوم وهم في البستان آتوني القلم والقراطيس أكتب لكم كتابا تدرسون منه فن الصرف بدل كتاب خضر المسمى كتاب الميدان، والذي تدرسون منه الصرف لأنه أبتلى بالإنكار على الشيخ التجاني رضي الله عنه، وقد أشار الشيخ رضي الله عنه إليه بقوله في نفس الكتاب الذي ألفه لطلابه:-

والاسم مفعول له مفعول كما تقول خضر مجهول

ألف الشيخ هذا الكتاب "**تحفة الأطفال في حقائق الأفعال**" وألف أيضا كتاب "كاشف الألباس" عن فيضة الختم أبي العباس، في تسعة أيام، ليس هذا فحسب بل هما الكتابان اللذان منذ أن سلم هما الشيخ إلى الجهة المعنية لم يحتج إلى مراجعتهما إلى اليوم، كما ذكرت سابقا وهذا أمر غريب في فن التأليف. وخاصة إذا نظرنا إلى ما قاله العماد الأصفهاني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده- لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زدت كذا لكان إستحسن ولو قدمت كذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل.

ومن غرائب الشيخ علاقته وتعارفه مع رؤساء الدول في العالم مع أنه لايتكلم الإنجليزية أو الفرنسية، ولكن علاقته معهم وطيدة وذات جذور عميقة ألا تستغرب من علاقته مع الملك سعود إبن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس جمهورية مصر العربية، الرئيس جمال عبد الناصر، والملك الحسن الثاني المملكة المغربية، والرئيس الأمريكي "جُونْ كِنَدِي" والرئيس الرُّوسِيَ "غُرْبَ ثُوبْ" ورئيس الصيني "مَاووذِسْتُونْ" **(Maotsotong)** ورئيس غَانَا "كُومِي إِنْكُورْمَا" ورئيس غِينِيا "شيخ توري" ورئيس مَالِي "مودبو كيت" ورئيس نيجيريا بداية من رئيس وزراء شمال نيجيريا آن ذاك "أحمد بِللو سَرْدَوْنَا صُكُوتُو" والرئيس العسكري "يعقوب غَوُنْ" ورئيس غَمْبِيَا "دوود جَوَارَا" ورئيس النيجر"جُورِي حَمَانِ" ورئيس السنغال "لِيفُولدا رسنغور" ومن لفّ لفهم من الرؤساء في الخليج وآسيا وأوروبا وجميع نواحي إفريقيا، زار الكثير من الرؤساء دولة السنغال لا لشيء سوى زيارة الشيخ رضي الله عنه. ومن الغريب المذهل والعجيب المدهش لمن أمعن النظر. وسؤال يطرح نفسه، لماذا زار الرئيس النيجيري السابق "أُوبَا سَنْجُو" مدينة كولخ؟ وزار ضريح الشيخ. أخبرني أحد

أصدقاء "أُوبَا سَنْجُو" أنه أي أُوبَا سَنْجُو أبرم أن يزور ضريح الشيخ إبراهيم إنياس ليسأل الله حوائجه لما يثق أن الشيخ إبراهيم إنياس عظيم المكانة عند الله، لما رأى من تأثير دعاء الشيخ في أيام الحرب الأهلية في "بِيَافَرَ" في دولة نيجيريا في الستينات. لماذا زار أُوبَا سَنْجُو مدينة كولخ؟ الإجابة لهذا السؤال هو أن أُوبَا سَنْجُو زار ضريح الشيخ إبراهيم ليسأل الله ثلاث حوائج عند قبر الشيخ. والتي عوصت له وصعبت.

الأولى: يريد أن ينتقل نهائيا من بلدة أُوتَا إلى مدينة أَبِيكُتَا و لم يستطع القيام بذلك لما يخشى من العواقب الوخيمة.

الثانية: ما من جريدة أو مجلة حاليًّا والتي تصدر يوميا في نيجيريا إلا وفيها سبه وشتمه والإساءة إليه، حاول كل محاولة ليتخلص من ذلك ولكن بدون جدوي.

الثالثة: يريد أن يجعله الله قويا في سياسة نيجيريا حتى تكون له كلمة مسموعة، ويكون مؤثرا في إجراء سيرها. لا أُعَلِّقُ على هذا. أترك ذلك بيد القراء الذين يتابعون التاريخ وسير الأمور في نيجيريا وحالة أُوبَا سَنْجُو ما قبل ٢٠١٤م وموقفه في هذه السنة ٢٠١٥م وما بعدها.

٦. ومن الغريب أن صورة الشيخ تظهر على حيطان وجدران ديار بعض أحباب الشيخ، قد ظهرت في عدة أماكن وفي بلدان متعددة في جميع أنحاء نيجيريا. أخبرني من أثق به أنه ظهرت صورة الشيخ في جدار دارهم. قال تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل].

فصورة إبراهيم تبقى تذكرا إذا ءاب للمولى العلى وتفكرا

٧. ومن الغريب ومما يحقد منه مناوؤا الشيخ رضي الله عنه الإحتفال بـــذكرى مولد الشيخ رضي الله عنه والذي تقيمه جمعية مجمع أحباب الشيخ إبراهيم إنياس في جمهورية نيجيريا بعد إنصرام كل عام. إحتفال تتوافد إليه قبائـــل متعـــددة ومتباعدة المناخ ومختلفة الطبائع والعادات يجتمعون لا لنسب ولا لمال يتعاطونه، يجتمعون لله في الله وبالله. ويتوافد الأحباب من كل صوب وحـــدب رجـــالا ونساءا كبارا وصغارا، يجتمع في هذا الإحتفال مالا يقل عـــن ثلاثـــة ملايـــين شخصا، لاينتظر واحد منهم سكنا أو طعاما أو مواصلات من أية جهـــة كـــل واحد منهم يُعِدُّ ذلك لنفسه. والعدد ما زال يتزايد عاما بعد عام.

حصـــنت أحبـــابي كـــذا وأهلـــي ومـــن يحبنـــا وكـــل نســـلي
بالـــذكر والأسمـــاء والصـــفات يعصـــمهم مـــن ســـائر الهنـــات

٨. وكان الشيخ إبراهيم إنياس يأخذ بالعزيمة في العبادة والأخلاق، أخذا غريبـــا. ذكر اللذان رافقاه إلى المستشفى في لُنْدُنْ وأقاما معه في أيام مرضـــه إلى وفاتـــه رضي الله عنه، وهما الشيخ حسن سيس، والشيخ محمد الكبير فَـــــيْ، كل منهما ذكر على حِدَة الحكاية التالية، وسأذكر حالا ما سمعته من الشيخ حســـن سِيسَ مشافهة باللغة الولفية في مجلس عقد في مدينة كـــولخ واستضـــيف فيـــه كمتحدث رسمي بعد عودتهما من لُنْدُنْ كشهود عيان عما حـــدث في مـــرض الشيخ وتمريضهما له وتبادل العزاء بين الأحباب. قال الإمام حسن سيس: رأينا غرائب الأشياء وسمعنا البيانات العجيبة وفهمنا شيئا من غزارة علم الشيخ ودماثة أخلاقه، وجدته ذات يوم على السرير، يقول الشيخ حسن سيس: وقد رُكِّبَـــتْ له أنابيب زيادة الدم والمياه في جسمه فقال لي: يا الحسن ماذا أفعل اليوم، قلت له فيماذا يا جدي، قال في أداء الصلاة، قلت له يا جدي أُتْرِكِ الصَّلاَةَ لأنـــك

معذور، فقلت: وقد قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة]. فقال هكذا قال الإمام مالك، ولكنني سأصلي، فأنشد يقول: قال العلماء:-

ومن لم يجد ماءا ولا متيمما فأربعة الأقوال يُحْكَيْنَ مذهب
يصلي ويقضي عكس ما قال مالك وأصبغ يقضي والأداء لأشهبا

فصلى في هذا الحال. إستغرب والدي السيد علي سيس لما حكيت له الحكاية فقال: عجبا من أمر جدك، مريض ملقى على السرير ولكنه يزاول مثل هذه النصوص في مثل هذه الحالة. هنيئا لنا به شيخا وقدوة وإماما.

هنيئا لنا أن جعلنا الله من أحبابه والجادين في السير على منهجه. واستمر الإمام حسن يقول: وكذلك أيضا أمرني الطبيب أروى أن أعطي الشيخ كأس ماء وقتا بعد آخر ليساعده في جريان الدم في العروق، فأتيته ذات يوم بكأس ماء فناولته إياه فلم يقبل و لم يقل لي شيئا. ولما وقفت أمامه بضع دقائق و لم يقبل. عُدْت بالماء وجلست وبعد مدة فإذا هو يناديني يا الحسن فأتيته فقال ناولتني الماء قبل قليل و لم أقبل و لم أقل لك شيئا؟ حين ذاك كنت أقرأ الورد اللازم، تعرف أن التجاني إذا شرع في إدِّكار الورد اللازم لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم حتى ينتهي. فقلت له: ولكن ياجدي قرئت في كتاب درة التاج أنه يمكن أن يشرب قليلا. فقال: يا الحسن هذا كلام فقط، والصحيح أنه لايشرب ولو جرعة. أخبرني الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ أن الشيخ رضي الله عنه طلب منه أن يرافقه إلى دكار العاصمة، فذهبا فلما أكمل الشيخ عن فعل ما ذهب من أجله ارتدا على آثارهما راجعين إلى المدينة فقال الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ: يا الشيخ أريد أن تُنْزِلني هنا وتواصل السير إلى المدينة أنا عندي حاجة سأعود إلى البلد لقضائها؛ فقال الشيخ للسائق إرجع إلى البلد

ليقضي إبراهيم جُوبْ حاجته ثم نأخذ طريقنا إلى المدينة. فقال يـــا إبـــراهيم جُوبْ الصحبة صحبة كيف ترافقني إلى حاجتي ولا أرافقك إلى حاجتـــك؟ فرجعنا إلى البلد فوقفنا عند المكتب الذي أريد فقال الشيخ إذهب سأنتظرك هنا في السيارة حتى تكمل ما تريد. فدخلت وسهل الله لي الأمور وخرجت، فإذا سيارة الشيخ إزدحم الناس حولها يسلمون عليه. جزاه الله خـــيرا نعـــم الشيخ هو. ونعم القدوة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه. هكذا كان معي طوال حياته.

حـــبُّـــهُ للرســـول عليـــه الصـــلاة والســـلام

المحبة لغة واصطلاحًا:

لغة: كلمة مبنية من ثلاثة أحرف، قال ابن فارس: "اشتقاق الحب والمحبـــة من أحبه إذا لزمه".[1] وقال الراغب: "أحببت- فلانا- الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه".[2] وقال ابن منظور: "الحب: الود والمحبة، الحب: نقـــيض الـــبغض".[3] وقال الأزهر: "وحبه يحبه، بالكسر فهي من باب ضرب.

واصطلاحا: أن تهب كلك لمن أحببته، فلا يبقى لك منك شيء. وقيل: أن تمحوا من قلبك ما سوى المحبوب. وقال آخرون: "هو إيثار المحبوب على جميع المصحوب". وغير ذلك، مما ينحو نحو هذه النماذج. والمحبة مادة نالت قســـطا كبيرا من الإهتمام عند العرب، قديما وحديثا، وتداولوها في الحضر والســـفر، ولعب كل من الرجال والنساء دورا هاما في نموها في القرى والبوادي. وسموها بأسماء كثيرة ما يدل على شرفها عندهم. ورد في كتاب الشيخ محمد بن أبي بكر الدمشقي وفي روضة المحبين ونزهة المشتاقين" قوله: "لا تقِّلُ أسامى المحبة عند العرب عن ستين إسما." وذلك حسب المرحلة والدرجة التي وصل إليها الحبيب لمحبوبه".[4] المحبة عند أصحابها ذوق، فمن لم يكن له ذوق فلا يعتدون بـــه، ومن لم يجد نفسه تتقاذف به موجات المحبة في لجيِّ بحارها، وترمـــي بـــه في

---

[1] مقاييس اللغة إين فارس، ٢٦/٢.

[2] لسان العرب، ٧٨٩/١.

[3] المصباح المنير، صفحة -١٤٢.

[4] محبة الله تعالى، إعداد أ. عمر أحمد الراوي، صفحة - ٢٢٩.

أصقاعها... فليس نديما لهم أو جليسا في الأندية. والمحبة عندهم هي الحياة فبدونها لاحياة، ومنهم من يقول- تأكيدا لهذه الفكرة.

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيبا ولا وافى إليك حبيب

وقال آخر:

إذ أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فقم فاعتلف تبنا فأنت حمار

وهناك قائل:

إذا لم تذق في هذه الدار صبوة فموتك فيها والحياة سواء

جعل الله لكل محبوب نصيبا في محبوبه، مخطأ كان في محبته أو مصيبا. كما ذهب بعضهم إلى أن المحبة ليس لها وصف يُعبِّر عن حقيقتها. ولم يجدوا لفظا يبين فحوى معناها بالدقة.[1]

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

[1] روضة المحبين ونزهة العاشقين.

المحبة في منظور الإسلام

المحبة في التعاليم الإسلامية عميقة الجذور وسامقة الغصون، إنها دوحة فينانة، لامعة المظهر وواسعة المنظر، لها أزقة ومضاييق، وأهل مكة أدري بشعابها، (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها إختلف.) وفي الحديث القدسي: (كنت كنزًا مخفيا لم أعرف (فأحببت) أن أعرف فخلقت خلقا فبي يعرفون.)"[1] ومع هذه الأصالة التي تتمتع بها المحبة في الإسلام، لم يترك الله المتحابين يتخبطون عشوائيا بدون رتابة. بل جعل الله للمحبة سككا وحدلها حدودا ووضع لها شروطا، ومهد لها شارعا معبدا. لم يكن شارع العبور للمتحابين في الإسلام وعرا. قال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران]. ومن دواعي الحب من المحبوب. جماله إما الظاهر أو الباطن أو هما معا، فمتى كان جميل الصورة وحسن الأخلاق والشيم، والأوصاف، كان الدواعي منه أقوى.

يقول شاعر:-

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

يحكى أن عزة دخلت على الحجاج فقال لها: يا عزة والله ما أنت كما قال فيك كثير فقالت: يا أمير المؤمنين إنه لم يرني بالعين التي رأيتني بها.

---

[1] ذكره الآمدي في الأحكام والشيخ محمد حسين الأصفهاني في نهاية الدراية. ورواه الشيخ محي الدين ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية ٣٩٩/٢، ورواه الشيخ عبد الكريم الجيلي في لسان القدر نسيم السحر ص-٣٤ والشعراني في الطبقات، صفحة -٣٠٩، وكشف الخفاء ١٧٣/٢، ورواه شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي في تفسيره روح البيان. والدكتور إبراهيم الدسوقي في تفسير قوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. رواه الديلمي في مسنده مرفوعا عن أنس، وراجع الصواعق المرسلة ٥٠/١. رواه السخاوي في المقاصد الحسنة. بلفظ كنت كنزًا إلخ.

لو أن عزة خاصمت شمس الضحا في الحسن عند موفق لقضا لها
فو الله ما أدري أزيدت ملاحة وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل

يذكر لنا الشيخ رضي الله عنه شيئا من دواعي محبته للنبي صلى الله عليه وسلم:

لحبك يدعوني دواع عديدة جمال وإحسان وطبع موافق
شجاعة نفس ثم عزم وعفة وحلم وجودا حار فيه الطوارق
وعقل وزهد ثم حزم وحكمة وصبر متى ساق البليات خالق
وءايات صدق بان جهرا بأنها من الله مل الأمر راق ورائق

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها إختلف**].[1] ويقول صلى الله عليه وسلم- أيضا- في حديث روى عن أبي أمامة الباهلي: "**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**".[2] يزن الإسلام المتحابين بالقسطاس المستقيم، ويعطي كل ذي حق حقه. وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولاتعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**].[3] المحبة الصادقة والسديدة تكسب لصاحبها ربحا جزيلا وعطاءا وافراً وهبة لامثيل لها.

لقد روى الطبراني وابن مردويه عن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهم أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لأنت أحب إلي من أهلي ومالي،

---

[1] رواه البخاري ومسلم برقم ٦٣٧٦، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٦٩/١. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ١٤١/٢٣. رواه أبو داود فقال حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، ثنا أبي جعفر ابن برقان عن يزيد ابن الأصم عن أبي هريرة مرفوعا. ورواه الدارقطني ابن القيم في زاد المعاد ٢٥٥/٤.

[2] رواه أبو داوود، وأحمد، راجع جامع الأصول ٢٣٩/١.

[3] رواه مسلم.

وإني لأذكرك فما أصبر عنك حتى أنظر إليك فيطمئن قلبي. فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإذا أدخلتها لا أراك. فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء][٢] وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه... لايطرف، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما بك؟ فقال: بأبي وأمي، أتمتع بالنظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيلك. فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

ومن الأشياء التي تديم المحبة بين الحبيب ومحبوبه، تبادل الإحترام أو الطاعة، حيث تجب. وقد قيل: من أحب أطاع. لذا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة]، ليس من السهل أن يُجْبَرَ أحدٌ على حب أحدٍ. إذ لاخير في دين أُكْرِهَ صاحبه عليه. الطاعة والمخالفة نقيضان لايجتمعان في آن واحد.

قال شاعر:-

غلط فاحش وجهل مبين ... وعمي لايحول لا بل جنون
طمع العبد في كرامة مولا ... وإصراره على ما يهين

---

[٢] راجع نسيم الرياض في شرح الشفاء ٤/٤٢٤.

المحبة في التعاليم الإسلامية حق يتمتع به كل كائن حي، بشرط أن يكون حبه سليما من الدعوي، وصاف من الجرى وراء المصالح، وأن يحافظ على سياج المحبة وحظيرها المحكم.

وقد قيل:-

فالدعاوي مالم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

أشرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم على المدينة المنورة، فنظر إلى جبل أحد فقال: "**هذا جبل يحبنا ونحبه**". رواه أنس رضي الله عنه. وإظهار المحبة شيء يرغب فيه الإسلام، والتودد إلى الناس نصف العقل. وروى أبو داوود في سننه عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر به رجل، فقال: يا رسول الله إني أحب هذا الرجل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**أعلمته**" قال لا، قال: "**أعلمه**" فلحقه، فقال: إني أحبك في الله. قال: أحبك الله الذي أحببتني له. ويدرب الإسلام المتحابين على أن تكون المحبة بينهم مبنية على أسس متينة وعلى توازن موثوق خلال التعامل والتخالط. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**أحبب حبيبك هونا ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما**". يقول عمر رضي الله عنه لا تكن في محبتك كلفا، ولا في بغضك تلفا. لأن كل صحبة ليست لله، فآخرها إنا لله. قال تعالى ﴿**ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴿٦٧﴾﴾ [الزحرف]، جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال له: يقول الله لك: أحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل

ماشئت فإنك مجزى به. وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم -٩٦].

تعصي الله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

نحن أمة نموذجية أخرجت للناس، لتتأسى بنا الأمم المتواجدة على وجه البسيطة. قال تعالى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران]. وتتحلى هذه الأمة بالوسطية في جميع تقلباتها لقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

ولقد وجدنا كيف أحب أناس أنبياء الله فهلكوا لتفريطهم وعدم التوازن في محبتهم. لقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة:٣٠-٣٣] وقال تعالى ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة-١٧] وقال أيضا ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة ١٨].

حكى لنا القرآن الكريم قصة الذين نسبوا الألوهية لغير الله بإسم المحبة العمياء، وإعجابا بما رأو من المعجزة أو الكرامة فأسكتهم الله عن ذلك. ووجه السؤال إلى من نسب إليه الألوهية لكي تعرف الأمة المحمدية الإسلامية حكم ذلك إن تكرر حدوثه فيما بعد، تمشيا مع قوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام:٣٨] وهو تبيان لكل شيء. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة]. المسلمون أمة وسطية في حبها وبغضها، كما مر البيان في ذلك. لذا وغيره يقول الإمام البوصيري في بردته:

لم يمتحنا بما تعي العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

يقول الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى: إنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله كما إذا ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم، وإذا كنت تحبهم لله فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصا لله فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله.[1] يعلمنا القرآن الكريم أن الغلو في الدين مَذَمَّةٌ يندر جدا أن ينجو صاحبه من الهلاك لأنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه. قال تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

لذا نجد أن مشاكل الطوائف الدينية اليوم تنبع من الغلاة والغلو في الدين. قال تعالى ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة]. المحبة مادة يعبد الله بها ويعصاه فيها، ولايسمح الله أن يعطي الحق باسم المحبة لغير مستحقه. شجع الله المؤمنين على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام بأن ينشروا المحبة فيما بينهم، لما في ذلك من الرقي والإزدهار والتعايش في السلم في الدنيا ونيل الفلاح في الآخرة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **[لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم]**.[2]

---

[1] مجموع الفتاوى ٢١/١٥. مدارك السالكين ١٣٣/٣. نضرة النعيم -٣٣٥٣/٨.

[2] متفق عليه

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**][1]. هكذا يبين الإسلام سنن الهدى للمتقين، ويبعدهم عن اتباع الهوى؛ لأنه- أي إتباع الهوى- يستخف بأصحابه، ويُخيِّلُ في أذهانهم بأنه هو الإله. ما من إله يعبد تحت أديم السماء كهوى النفس".[2] قال تعالى ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾**﴾ [الجاثية].

إن الهوان هو الهوى قصر اسمه فإذا هويت فقد لقيت هوانا
إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي**].

قال تعالى ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾**﴾ [البقرة].

وسع الله نطاق المحبة في المجتمع البشري عموما، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾**﴾ [الروم].

---

[1] متفق عليه

[2] أخرجه الطبراني عن أبي أمامة في الكبير والأوسط. وهيثمي في المجمع ١٨٧/١.

موقف الإسلام من محبة النبي صلى الله عليه وسلم

طالما أن المحبة هي أسرع مادة في تشجيع وتسخير البشر لإتخـــاذ القـــرار النهائي فيما يريد أن يفعله، أو الإبتعاد عن مالا يريد أن يقوم به. والمحبة هـــي أقوى منشط فيما يود أن ينهمك فيه المرء أو يبتعد عنه، ومنبع كل ذلك هـــو القلب. لذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولا خير في دين أكره صاحبه عليه. والمحبة تذلل وتسهل الصعوبة ومشقة القيام بما أمر به المأمور. من فعل شيء أوالنهي عن اقترافه.

فبهذه النقاط وغيرها، نجد أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أوجب الأمور على المسلمين والمسلمات، كما نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو سفير الله الوحيد إلى خلقه، فالعلاقة بين العباد وربهم لا تكون رسمية إذا لم يوقع عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ الوحي لايزل على أحد سواه، وبوفاته إنقطع الوحي من السماء إلى الأرض. (محمد رسول الله) ومما يثبت لنا أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة وفرض عين على كل من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى لنا... أرقى وأنبل الأشياء التي يحبها الإنسان في هذه الحياة الدنيوية، حيث صرح سبحانه وتعالى لنا أن من يفضل حب هذه الأشياء على حب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو في خطر عظيم، ووعيد مخيف، وبلاء مجيع. قال تعالى ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

يقول القاضي عياض كما في الشفاء: فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها، واستحقاقه لها عليه الصلاة والسلام، إذ قرع الله تعالى على من كان ماله أو أهله أو ولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤]. ففسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل و لم يهديهم الله.[١]

وروي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبدًا لايحب إلا لله، ومن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار**][٢]. فبحب النبي صلى الله عليه وسلم يزداد إيمان العبد، ويجد حلاوته، وطعمه في نفسه، وببغضه عليه الصلاة والسلام يتقلص الإيمان في قلب العبد، والعياذ بالله إلى أدنى درجة، ما يدل على خذلانه، وبعده عن رحمة الله الواحد المنان. قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم شيء منوط بالإيمان للسعيد والأسعد، وبغضه لافتة للكفر والنفاق. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.**[٣]

هذا دليل واضح يشير إلى أن لا إيمان لمن لا محبة له للنبي صلى الله عليه وسلم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من**

---

[١] راجع ٣٦/٢ – شرح الشفاء للقاضي عياض شرحه الملا على القارئ الهروي الحنفي.

[٢] متفق عليه.

[٣] راجع نضرة النعيم ٣٣٤٥/٨.

والده وولد والناس أجمعين.][1] ويقول الصحابي الجليل، والبطل الصريح سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فأقسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: [**لا يا عمر، والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**].

فقال عمر: والذي بعثك بالحق لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [**الآن يا عمر**][2].

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم شرف عظيم، وعز مقيم ومكسب نفيس لمن رزق به. ولو لم يجد محب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا سوى المعية معه صلى الله عليه وسلم لكفاه فخرا، وربحا وبشارة وزهوا في موقف لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم. روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة يا رسول الله! فقال له عليه الصلاة والسلام: [**ما أعددت لها؟**] قال: ما أعددت لها من كثرة صلاة ولاصيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: [**أنت مع من أحببت**] قال أنس: فرحنا يومئذ فرحًا شديدا، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: [**أنت مع من أحببت**] حديث صحيح. سبق أن قلت إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مؤمن ومؤمنة.

لا يسقطه الأب عن أبنائه، ولا الزوج عن زوجاته. وحبه عليه الصلاة والسلام تجارة رابحة غير كاسدة في الدنيا والآخرة. ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم عبادة لا يستغنى عنها أحد من عباد الله في الدنيا والآخرة، ومن فقدها

---

[1] راجع موسعة نضرة النعيم ٨/٣٣٤٥.

[2] متفق عليه.

خسر وندم يوم الحسرة. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان]. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة." حديث صحيح.

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ميدان يتسابق فيه المؤمنون والمؤمنات، قديما وحديثا، وقد أنفقوا من أجل ذلك الطريف والتليد أنفق من أجلها ذوسعة من سعته. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]. سئل سيدنا علي كرم الله وجهه: كيف كانت محبتكم للنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كنا نحبه أكثر من أبنائنا وآبائنا وأزواجنا ومن الماء البارد في الحر. رواه الترمذي.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **[ما سبقكم أبوبكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم، ولكن بشيء وقر في قلبه]**[1]، تكلم العلماء عن هذا الشيء الذي وقر في قلب أبي بكر وسبق به الأمة بأجمعها واكتعها أقروا بأنه محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي مظهر الإيمان ومركزه. قد شهد له بذلك تاريخ حياته مع النبي صلى الله عليه وسلم. جزاه الله خيرا هو وجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن المحبة بين حبيب ومحبوبه في أغلب الحالات تكون بسبب من الأسباب، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.**" رواه أبو نعيم في (الحلية). ومهما يكن من أمر فإن الله سبحانه جمع ما يسبب المحبة بجذب قلب شخص إلى غيره

---

[1] قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ١:٣٠ طبعة الحلبي، رواه الترمذي.

وينمي المحبة بينهما في نبينا عليه الصلاة والسلام، ما لم يجمعه في غيره من المخلوقين. فقد جعله الله في قمة وذروة الخُلُقِ ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]. وقال أيضا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. لقد قام الرسول عليه الصلاة والتسليم بأعمال قيمة لمصلحة أمته بل وللبشرية جمعاء دنيا وأخرى، ما لم يقم رسول من الرسل بمثلها. قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
مترة عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما أدعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]. ما أحوجنا إلى الرحمة في الدنيا والآخرة، والعالمين جمع عالم، الكلمة تشير إلى الشمول للعوالم، وما أدراك ما العالمون. ما أعظم قدرك يا رسول رب العالمين.

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمة ووفاء
يا من له عز الشفاعة وحده ... وهو المترة ما له شفعاء

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

لذا نجد أنه لم يحظ نبي ولا رسول بالمحبة الصادقة الخارقة للعادة من جميع خلق الله، مثل ما ظفر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تكن هذه المحبة

عبثا أو تقليدا أعمى، أو تعصبا عرقيا يعشى البصائر، أو يخلط الفائز بالخاسر؛ بل كانت عن وعي تام تناقلته القرون، وحفظه الأولون، وورثه عنهم الآخرون، تلكم المآثر قد امتزج إدراكها بالوجدان والضمير واختلط حبها باللحم والدم، وامتزج أثرها بالروح والفؤاد، فكانت كالماء فيه قوام الحياة، وكالهوى يحرك الرئتين وينقى الدم، وكالنور يهتدي به المدلجون في ليل بهيم، وفي ظلام دامس وبطبيعة الحال فإن أذن الإنسان تشتاق إلى أن تسمع خبر رجل شجاع، وإلى كلام فصيح، وتريد العين أن تنظر إلى منظر جميل، ويحن الفؤاد إلى من أحسن إليه. وقد جمع الله كل هذه الخصال الحميدة، والصفات النبيلة في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يجمعها في أحد من الناس منذ أن خلق الله الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم محبوبا في قلوب الناس لما أعطى من الخلق العظيم. كما قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم [**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها**].(١)

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإحسان إنسان

وعداوة الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم ليست عداوة شخصية، إنما هي عداوة دينية. قال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام:٣٤]، {وشخص بهاء كل قلب يوده.} ولأمانته عليه الصلاة

(١) ابن عدى في الكامل ٧٠١/٢ ابو نعيم في الحلية ١٢١/٤ الخطيب في التاريخ ٢٧٧/٤ كشف الخفاء ومزيل الالباس ٣٩٥/١

والسلام سماه الكفار بالأمين. إسمعوا إلى موقفه الرفيع في المجتمع الذي يعيش فيه، تقول زوجته خديجة رضي الله عنها قبيل بعثه، عند ما بدأ الوحي يترل إليه، لما قال لها مختبرا قعر عقلها ومدى معرفتها به. قال لها :" (إني خشيت على نفسي.) قالت له : كلا وأبشر! فو الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق.[1]

ومما يوضح أن قريشا تحبه عليه الصلاة والسلام، لولا أنه كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. لأن كل من تخلق بمثل ما تخلق به صلى الله عليه وسلم،فلا بد أن يكون محبوبا وموقرا يفتدى بالنفس والنفيس. وعند ما بدأ شعاع الحق ينتشر ونور الإسلام يسطع في أفق مكة حيث ولد، ولا يعرف بلدا غيره، ولا يخالط قوما سواهم، ودعاهم إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، ولم يستجيبوا إلى ما دعاهم إليه، أو يطبقوا ما وصفه لهم. ولكن مع ذلك كله حاولوا بكل تصميم وبكل جدية أن يصرحوا له مكانته عندهم، وبما يكنون له من التقدير. وقالوا له : إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا. لأنهم يعلمون أنه ليس بظالم ويقاوم الظالمين. وإن كان الذي يأتيك رإيا جنيا غلب عليك بذلنا أموالنا في الطب حتى نبرئك منه. لما تكن نفوسهم له من التوقير. فقال عليه الصلاة والسلام :" **[ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي**

(١) شرح الزرقاني المواهب اللدينية للعسقلاني ٣٩٦/١

ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم].[1]

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتم فائدتها إلا بمتابعة أوامره واجتناب نواهيه. وإن صيدليته صلى الله عليه وسلم مملؤة بأدوية مجربة لعلاج أمراضنا البدنية والروحية، ففي تطبيق إرشاداته فلاح لديننا ودنيانا، فما لنا إلا أن نتناول الأدوية كما وصفها لنا الطبيب المتخصص قال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال عليه الصلاة والسلام : **[لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به]**[2]. وشتان ما بين ما أبدته قريش من محبته عليه الصلاة والسلام وبين ما أبداه الصحابة وغيرهم من المسلمين. إن محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم هي التي جعلت لسان حالهم يقول : كل ما أمر به الرسول أو نهي عنه. فعلى الرأس والعين ولو خالف هوى النفس. قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وحبيب الرسول صلى الله عليه وسلم هو من تغيره إرشادات الرسول صلى الله عليه وسلم عما هو عليه من المنكرات، وتقلعه محبته به عن ما يتلوث به من براثين الخطايا وجراثيم الآثام وخلايا الذنوب. والصحابة يفضلون الرسول على شهوات أنفسهم، ورغبات أصدقائهم وميولات آبائهم وأمهاتهم ومشاغبات أبنائهم ومحبة أموالهم.

---

(١) روض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ٣٦/٢

(٢) الخطيب البغدادي في التاريخ ٣٦٩/٤ البغوي في شرح السنة (١٠٤)

قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة]. ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تتحقق خياليا بدون القيام بما يحققها أويشير إلى نتائجها، وإنها لضرورية للمسلم، وهي رأس المال في تجارة المؤمن مع الله.

وأنت باب الله، أي أمرئ وأفاه من غيرك لا يدخل

وقال علي كرم الله وجهه :" **أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن**".[1]

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها دينا تضيء بنورها الأناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

[1] فيض القدير شرح جامع الصغير للإمام السيوطي ٢٢٦/١ وراجع كشف الخفاء ومزيل الألباس الجزء الأول صفحة (٧٦)

محبة الشيخ إبراهيم إنياس للنبي صلى الله عليه وسلم

يحب الشيخ إبراهيم إنياس النبي محمدا صلى الله عليه وسلم محبة خارقة للعادة محبة نادرة الشبه إنها محبة من أزل الأزل إلى أبد الأبد. محبة لايعرف مداها إلا الحبيب والمحبوب، ومن ألقاها في قلب المحبِّ لاغير، يقول رضي الله عنه مشيرا إلى محبوبه، متى كان حبه شغل قلبه قال:

برزت حضرة طه قبل تكوين المكان
وله عمر طويل قبل تقدير الزمان
إنني قبل البرايا حبه شغل الجناني

فقلبه رضي الله عنه ملآن بحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يترك لغير محبوبه فراغا يثوي فيه. وأقرب شاهد لهذا هو أن الشيخ رضي الله عنه بعث رسالة إلى أبناء صلبه الطلبة في القاهرة عام ١٩٦٤م فقال لهم: واعلموا أني طلبتكم وأنتم في الغيب... أولياء الله جل شأنه، وسميتكم- بمجرد ما رأيتكم بـ(قرة عيني حبيبي وحبيب الله محمد ابن عبد الله، عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، سميتكم بنذير الأمة، وماحي الكفر وهادي البشر، وأمين الوحي، وعاقب الرسل والحسن والمكي والمأمون) ويوم أن نشرت الصحف في مصر خبر أن الشيخ إبراهيم إنياس بعث أبنائه ليدرسوا في مصر وكل واحد منهم إسمه محمد. قالوا: لم نسمع بمن أظهر محبته للنبي صلى الله عليه وسلم. مثله. وليس هذا هو الغريب بل الغريب هو قوله سميتكم بمجرد أن رأيتكم، بقرة عيني... إلخ. ما يشير إلى أنه رضي الله عنه لم يترك لحب الابناء بقعة في قلبه؛ لأن قلبه ملآى بحب النبي صلى الله عليه وسلم. ليس الوفد المصري للدراسة فقط من الأولاد بل كل أبنائه صلبه سماهم باسماء حبيبه عليه الصلاة والتسليم. ومستحيل أن

يحب الشيخ رضي الله عنه محبوبا غير محمد صلى الله عليه وسلم، كما- سبق أن قال رضي الله عنه:

حـــــل في القلـــــب مكانـــــا مستحيـــــــــلا لســـــــواه

شـــــغلتي طـــــول حيـــــاتي في صـــــــباحي ومســـــــائي

ثم إن حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شيء يتزايد كل يوم، ونار محبته للنـــبي صلى الله عليه وسلم دائما تتأجج ويتصاعد لهيبها ويكفهر دخانها.

يقول رضي الله عنه:-

داء شـــــوقي كـــــل وقـــــت في شـــــــديد الهيجـــــــان

فاشـــــــتغالي باشـــــــتياقي فيـــــه فـــــوزي واعتلائـــــي

لاحظ الشيخ رضي الله عنه ورأى ما هو فيه من الإعتناء بود النبي صـــلى الله عليه وسلم والتفاني في محبته واشتغاله بذلك، وكان ذلـــك يزكـــو في فـــؤاده كالحريق وقتا تلو آخر. فقال رضي الله عنه:-

أرى كـــل إنســـان بلـــى لمحـــبـــة فكـــل ولـــيلاه وطـــه بلائـــي

أبيـــت أراعـــي الـــنجم شـــوقا وجـــيرتي يامـــا ونـــار الشـــوق بـــين حشـــائي

أجل الـــورى قـــدرا وصـــهرا وعنصـــرا وأكـــرم مـــن يعلـــو عنـــان سمـــاء

ولم أحـــج أن في الكـــون شـــيئا أحبـــه ســـواه فـــوقتي فيـــه والســـكرات

وهـــل يتـــأتي حـــب غـــير محمـــد فمـــا الشـــعر إلا فيـــه والنغمـــات

بليـــت بحـــب المصـــطفى الخـــتم أحمـــد أبي الكـــون والأخـــلاق فرعـــا ومحتـــدا

تصـــاغر عنـــدي غـــير أحمـــد أنـــني أرجـــي عـــن الهـــادي العبـــاد مثـــالا

ومن أمعن النظر في إهتمام الشيخ رضي الله عنه بإقامة حفـــلات الـــذكرى بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، يعلم تماما أن السبب عائد إلى كـــون هـــذه

الحفلات وسيلة إلى زرع محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتنميتها في قلوب الحاضرين والمستمعين.

ومن ناحية أخرى، نجد أن تنظيم هذه الحفلات يرغب ويدرب الحضور في إقامة حفلات مثل التي حضروها وشاهدوها، ثم إن حفلات الذكرى بمولد النبي صلى الله عليه وسلم مدرسة جامعة لمعرفة سيرته عليه الصلاة والسلام العطرة. بل هو معرض سنوي للبيان عن أخلاقه النفيسة، بينما نجد أن عقد مثل هذه الحفلات يستاء منها المناؤون للنبي صلى الله عليه وسلم، وإلا، فلماذا التضايق ممن يعقدون حفل الذكرى بمولده عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدنا أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم].

فشهر ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم عند الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه هو إكسير سعادة الأنام، وشهر جلاء الكروب والظلام، إنه شهر نفحات الرب، ونيل العطايا والمواهب والمآرب.

هنيئا لإبراهيم لاح هلاله ... هلال بدى للناظرين جماله
هلال ربيع فيه جاء محمد ... فتم لنا البشرى وعم نواله
يهيج أشواقي هلال ربيعه ... أهل بيمن للسرور ممازجا
تبصر ترى أن البلاء بشهره ... تلاشى وولي كالسحائب دارجا
وذلك أن الرب من فضل جوده ... له نفحات قد تفوق التعاجا
بدى الهلال لربي مالك الناس ... شكرا بطلعة شهر النور مقباس
شهر به قد أتانا المصطفى علنا ... قد حق ترحيبه في كل قرطاس
يا مرحبك يا شهر النبي ويا ... عيد العيود طريد البأس في الناس

علما بأن الإحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ليس مبررا يبيح الإختلاط بين الرجال والنساء، وليس الحفل بهذه الذكرى ضرورة تبيح

المحذورات. لقد شاهدنا عقد حفل الذكرى بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، ورأينا الألوف من الذين يحضرون هذ الحفل. الرجال منفصلون عن النساء. منذ عهد الشيخ رضي الله عنه هكذا أسس الأمر صونا لحرمة الشريعة الإسلامية فلينتبه أحباب الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مكان ويبتعدوا عما لايرضى الله ورسوله لدى عقد هذه الذكرى. لأن إختلاط النساء بالرجال جمع بين فِتْرُولْ والنار. قال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **[باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء]** [1]. عملا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢].

وليس شهر ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فقط كان الشيخ رضي الله عنه يرحب به أويحبه، بل هو يحب ويكرم كلما يمت بالرسول عليه الصلاة والسلام بصلة؛ تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **[من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم]**[1]. فكل علاقة لاتعود إلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم فهي مقطوعة عنده رضي الله عنه، ولايفضل محبة أحد أو أي شيء على محبته صلى الله عليه وسلم، كائنا ما كان، رضي الله عنه يقول:-

ألا فاشهدوا أني أحب محمدا وأبغض كفرانا كنار تلهب
أحب إليَّ من وليدي ووالدي ونفسي وأهلي بله مالي سيحسب

---

[1] قد علق عليه ابن حزم في كتاب طوق الحمامة صفحة (١٢٨) جازما بنسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أيضا وأن ابن الحاج في كتاب المدخل ٢٤٥/١. وهناك من العلماء من يقول بضعف الحديث، ومهما يكن من أمر فمعنى الحديث صحيح.

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير، والأوسط عن ابن عمر رواه البهقي عن ابن عمر والهيشمي في مبلغ الأدب. سنده حسن.

أراني أحب العرب والصحب جملة ... وآل وأنصارا لحب المزمل
كذلك من حبيه حبي تلاوة ... مقالي وحالي حب أفضل مرسل
كذلك من حبيه حب مديحه ... وأسمائه أسماء خير مؤمل
وحبي لأهل الله أنصار دينه ... وبغضي لمن عاداه في كل منهل
فلست أحب الدهر شيئا سوائه ... ولست أعادي غير أعداء موئلي
ظلمت إذا كابدت حب سواءه ... وطه حباني نلت غايتي القصوى
ذريني دعدا إن قَلْبِيَ لن يهوى ... سوى أحمد ماحي الضلالات والبلوى

محبة الشيخ إبراهيم إنياس للنبي عليه الصلاة والسلام محبة فريدة من نوعها محبة لانهاية لها. وقد استخدم رضي الله عنه عدة ألفاظ تشير إلى مقصوده تجاه محبوبه صلى الله عليه وسلم أمثال كلمة الحب الود، الغرام، الشوق، الصب، الهوى، التيم، التهيام، الحن، وغيرها من الألفاظ الودية. وما من وسيلة يرتقى بها الحبيب إلى محبوبه إلا تربع عليها رضي الله عنه. حاولت هنا أن ألتقط بعض أبيات أشار بها الشيخ إلى تنوع حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، إلى أن فِني في محبوبه عليه الصلاة والتسليم، وغير ذلك مما يشير إلى الوماقة. لنستمع مع بعض إلى الشيخ رضي الله عنه، يقول في هذه الأبيات:-

غرامي وهيامي ووجدي ورفقتي ... وقد بات شعري عن سواك محرما
أحبك حبا لا يكيف أمره ... وكل الذي يهواك أو من يحدث
شهدت ولا ألفى لعهدي أنكث ... بأني على حبي لأحمد أمكث
أحبك ما دامت حياتي فإن أمت ... أرجى لقاء الحب عندي ولا حولا
لك العهد مني يا رسول فإنني ... أحبك حتى حين في القبر أدفن
ظمائي بخير الهاشمي الدهر لن يروى ... وقد لذ ذكراه لكالمن والسلوى
أحبك حبًّا تام قلبي وقاده ... وماذا على في امتداح جنابك
وإني أتاني حبه قبل نشأتي ... صرفت توليد الحب فيه وطارفا

فحـــبي بخـــير الخلـــق أحمـــد ثابـــت ... علـــى أنـــني فيـــه يزيـــد وثابـــت[1]

لـــه اليـــوم مـــني مثـــل مـــا الأمـــس قبلـــه ... كـــذاك الغـــد الآتي لحـــبي وملمســـي

أتـــاني هـــواه قبـــل أن أعـــرف الهـــوى ... فـــإني محـــب المصـــطفى الـــدهر مـــا غشـــا

يلومـــونني جهـــلا وأيقنـــت أن مـــن ... تجـــرع مـــن معشـــار مـــا ذقتـــه صـــبا

وهـــل يتـــأتى حـــب غـــير محمـــد ... فحـــب ســـوى المـــاحي العمايـــة والفســـق

ظـــلام وداد غـــير حـــب محمـــد ... عليـــه صـــلاة آخـــر الـــدهر لـــن تمحـــى

قـــد اســـتغرق الهـــادي فـــؤادي وقـــد محـــق ... ســـواه بقلـــبي حالـــه الســـحق والمحـــق

قـــد أحببتـــه حـــتى أَرَانِـــيَ كُنْتُـــهُ ... وربِّـــيَ لم يخلـــق مكانـــا ولا وقتـــا

وحـــبي صـــحيح ثابـــت متـــوتر ... قفـــوت أبي قاســـاه وهـــو كبـــير

غـــرام إلى غـــير الأمـــين ســـفاهة ... عليـــه صـــلاة كـــل وقـــت بهـــا تحيـــا

ولـــولاه لا أرضـــى حيـــاتي بلحظـــة ... فحـــيٌّ بغـــير المصـــطفى البـــدر أهمـــلا

حبيـــب إلـــه العـــرش قِـــدْمًـــا أحبـــه ... وأذكـــره يـــومي وأمســـي وآنفـــي

فـــو الله مـــا في القلـــب حـــظ لغـــيره ... فغـــير رســـول الله لـــيس، لتعلمـــا

فـــآثرت حـــب المصـــطفى دون غيـــره ... ولـــو أم كلثـــوم ولـــو كـــان مريمـــا

أبى القلـــب إلا أن يكـــون متيمـــا ... حليـــف غـــرام بـــالنبي مهيمـــا

فلـــو صـــوروني في الحقيقـــة لم يـــروا ... ســـوى شـــخص محبـــوبي بـــه نتمتـــع

أوحـــد ربي ثم أهـــوى محمـــدا ... وأثـــني علـــى الهـــادي وفيـــه تخصـــص

---

[1] ثابت بن قيس الصحابي الأنصاري، خطيب الأنصار وخطيب الرسول صلى الله عليه وسلم وشاعر يزيد ابن الحطيم صحابي، وبدري شاعر شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم

بدأ فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس مدح النبي نظما ونثرا، منذ نعومة أظفاره منذ أن كان أخوه الشيخ محمد الخليفة، هو الوحيد الذي يعقد حفلات الذكرى بالمولد النبوي الشريف في قارة سين سالم حين ذاك، والشيخ إبراهيم يومها كان شابا صيتا ينشد أبيات قصيدة البردة والهمزية في الحفل، كلتاهما للإمام البوصيري رحمه الله، إلى أن منَّ الله عليه ببدء تأليف الكتب وعقد مثل تلك الحفلات بنفسه. يقول العلامة المؤلف الكبير الشيخ مصطفى (غي)[1] إن معظم الكتب التي قام الشيخ إبراهيم إنياس بتأليفها ألفها ما بين الحادى والعشرين إلى خمس وثلاثين سنة من عمره، ما عدا القريض الذي يقوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الإمام الشيخ حسن سيس- الذي كان رفيقا للشيخ في سفره إلى لَنْدُنْ للعلاج. الأشياء التي لاحظنا أن الشيخ رضي الله عنه لم يتركها إلى وفاته هي:

١. الصلوات الخمس مع الجماعة
٢. سبعه للقرآن الكريم
٣. قراءة أوراد الطريقة التجانية
٤. مدحه وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم
٥. نشر العلم للتمسك بالكتاب والسنة.

لقد مدح الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم بمختلف بحور العروض، بل كانت البحور عند الشيخ كالملابس يلبسها متى شاء ويترعها متى شاء، ويرتدي

---

[1] كان مصطفى غي، من الذين صحبوا الشيخ من بداية الأمر تعلم من الشيخ عمر توري،والشيخ عثمان جاي، والشيخ أحمد ثام، والشيخ حسن دم رضي الله عنه. عالم كبير، له برامج في الإذاعات والتلفاز بمدينة دكار جمهورية السنغال حالا. ٢٠٢١م.

ما شاء منها ويختار رضي الله عنه، أما إنتقاء الألفاظ الأنسب، حدث ولاحرج فقد تحير واندهش في ذلك كل من ينطق بالضاد، وخاصة من تذوق الأدب العربي طعما، أو حُبِّبَ إليه الشعر العربي هواية أو قراءة أو سمعا.

إنتقيت هنا نماذج، من أبيات القصائد التي مدح الشيخ بها حبيبه، وممدوحه عليه الصلاة والتسليم، إنها نماذج من ألوف الأبيات التي جادت بها قريحته ما يثبت للقارئ أنه رضي الله عنه أحب الرسول وحن إليه واشتاقه وتيمه وهيم فيه:-

ولكنما المختار أرفع منصبا ... ومنه منال الأقدمين الغطارفا
وكل نبي قال نفسي وأمتي ... يقول رسول الله أكرم به عينا
جمادات هذا الكون تدري محمدا ... كذا العجم والأعجام من بعد عربه
هو الشمس إلا أنه عم نوره ... هو الغيث إلا أنه الدهر قلصا
وفي كل حي من حبائك نعمة ... فأسدل لإبراهيم سيب عطاء
تحديت بالهادي العباد فمن له ... رسول كمثل الهاشِمِيِّ أبي الأضواء
فاعطي رسول الله وهو حبيبه ... فكل كبير عنده لصغير
وأي نبي جاء مثل محمد ... ومن حاز وحيا مثل ذكرك فاصدع
تذكرت لا أني نسيت محمدا ... يرتل ذكر الله في السر كالعلن
فأفضل خلق الله حقا محمد ... وأحمد كل الرسل في اليوم والغد
ضمنت له ما عشت سرد مدائحي ... بها تعتلى مصري على مدن سالم
رفضت جميع الشعر غير مديحه ... سوى دعوة المولى أو أقصد الذكرا
ومدح سوى الهادي المقفى مذلة ... ومَيْنٌ فكل المدح فيه مُجَمَّعَا
وتعداد آي المصطفى ليس نافعا ... فليس عشير العشر ما في الصحائف
بروز تجلى الذات أول عابد ... وواسطة الأحوال في البسط والقبض
رسول متى أشد والإنشاد مدحه ... تحف جنابي المكرمات كما أهوى
وأحلم خلق الله أعدل خلقه ... من الناس أسخى بل من الناس أشجع
ويخدم للأهلين يخصف نعله ... ويقطع لحما وهو للثوب يرقع

أشـــد حيـــاء وهـــو يـــأتي لمـــن دعـــا ... ويغضـــب للمـــولى إلى الحـــق يرجـــع
وخـــير جليســـي مـــن يـــردد ذكـــره ... أحـــب فـــتى يشـــدوا بالأمـــداح لافظـــا
رفعـــت لـــواء الـــذكر والمـــدح غارفـــا ... ببحـــر حبيـــبي حيـــث ألهمـــني الـــذكرى
خليلـــي ســـوى مـــن حبـــني لـــواده ... جفـــاني جهـــارا فالشـــقي إلى الأشـــقى

شغله رضي الله عنه بحب ومدح النبي صلى الله عليه وسلم

يمتاز مولانا الشيخ إبراهيم إنياس من بين المادحين للنبي صلى الله عليه وسلم بكثرة شغله بحب النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه. يقول الفروفيسور الشيخ إبراهيم محمود جوب- رفيق الشيخ في معظم رحلاته حول العالم- إن الشيخ إبراهيم لا يحمل شيئا عندما يسافر إلى رحلاته الدعوية داخل السنغال أو خارجها- سوى المصحف والسبحة وأوراق نظم شعر مدح النبي صلى الله عليه وسلم، لاتبتعد عنه هذه الأغراض في أي حال من الأحوال. لقد اخترت هنا شيئا من الأبيات التي تشير إلى لزومه ومداومته وعكوفه، على حب النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه.

فوقتي وساعاتي صرفت لذكره ... صلاة ومدحا منه قد سرت جيلما
حبيبي رسول الله وهو المتيم ... مدى الدهر فيه خاطري يتجمجم
إذا ذكر المختار حنت يراعتي ... لتزيين مدح دون أن أعمل الفكر
جزى الله عني ظلمة الليل والدجى ... ففيها ينال الصب للحب مخرجا
متى انتبهت عيني ذكرت محمدا ... وأذكره في خلوتي ومجامعي
ذكرت الذي لم أنسه الدهر إذلنا ... به حالة لم تعط للذكر منفذا
فما خاطر للعبد إلا محمدا ... وما إن يرى الرائي سواه ولاقذا
أبيت بليل التم سهران منشدا ... لذكر الذي قد طاب بدءا ومختما
أغادى صبوحا عند أفضل مرسل ... ومن برسول الله لم يخش جلمدا
لذكر الذي تعرو فؤادى هزة ... لدى ذكره والقلب صار مقتلا
نشوت بذكرالمصطفى قبل نشأتي ... أيا عاذلي دعني فقلبي به لجَّا
لقلبي من الأشواق ما حير الفكرا ... وأفنيت فيه السجع والنظم والنثر
إذا انصرف الوارون عن دفن جثتي ... بقيت به أحيا ليوم لقاء
ولست أرى في الكون شيئا أحبه ... سوى المصطفى المحمود فيك وعندك

إلى أحمد شوقي ووجدي ولوعتي ... ومالي دوا من غير أن أنسج الشعرا
لك العهد مني يا رسول فإنني ... أحبك حتى حين في القبر أدفن
ببر وبحر قد بعثت مدائحي ... وذا اليوم أشدوا في الهوا متجمجما
إن أرى ذكر سواه ... غير لهو ومجان
فامتداح لسواه ... طيف جن لاعرائي
جل فكري في معالي ... أحمد الجم النوالي
غدوتي ثم أصلي ... فيك يا عين الكمال
إنه حقا ضجيعي ... ورفيقي في مجالي
وقد درى المصطفى ما رمت من صغري ... واليوم قد شاب فودي سيد العرب
حالي مع المصطفى لا عقل يدركه ... صلى الإله عليه منزل الكتب

سبقه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

أريد أن أتناول هنا مع القارئ الكريم كيف أخذ الشيخ إبراهيم قصب السبق في حب النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه من بين المادحين- وهم كثر- ونال من محبوبه أوسمة وجوائز وعطايا، وهبات جاز ذكر بعضها، وبعضها لايجوز الإفصاح عنها تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**كلموا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله**][1]. يحدثنا الشيخ رضي الله عنه بما هو بمثابة التحدث بنعمة الله، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

قد نال غاية ما يروم المنتهى من ربه وله اجتهاد المبتدي

قال لي الشيخ إبراهيم محمود جوب: سئل الشيخ هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة؟ قال: أرجو ذلك، إلا أنني أحبه وأعرفه، ما لو عشت معه لايزيد على ذلك شيء. ذلك فضل الله. ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٧٣].

فلم تر أمثال الرجال تفاوتوا إلى الفضل حتى عُدَّ ألف بواحد

لا يتبين لك جليا أن الشيخ إبراهيم إنياس لا يجاريه أو يباريه أحد غير الصحابة في محبة النبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا شاهدته في المسجد النبوي الشريف واقفا أمام ضريح الرسول عليه الصلاة والسلام. هناك تتيقن وترى بأم عينيك الفرق الجلي الذي بين الغث والسمين.

علامة من كان الهوى في فؤاده إذا ما رأى محبوبه يتغير

---

[1] رواه الديلمي من طريق ابن عبد الرحمن السلمي. وأخرجه الدار قطني في الأفراد من حديث عبيد ابن نجيح. ورواه البخاري موقوفا عن علي ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. ورواه الديلمي بسند ضعيف. ورواه الطبراني.

من يرى ما يظهر من التصرفات في الظاهر والباطن من أمور الشيخ وأحبابه أمس واليوم يدرك تماما أنه يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه وما هو من المبتدعين إذ ليس له دليل أو قائد في سيره سوى الرسول عليه الصلاة والسلام.

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولائمها قطف من الليل مظلم

ونحن معشر أحباب الشيخ كلنا نعرف لماذا نحب الشيخ، والذين يبغضونه هم الذين لايعرفون السبب في كراهيته أو مناوئته. قال رضي الله عنه- ذات يوم: لايبغضني إلا من لايعرفني. يقول الشيخ الكبير والكاتب الموهوب سيدي محمد عبد الله العلوي مادحا للشيخ:-

ولا عيب في أقواله وأفعاله سوى جمعها طبعا لأعلى المناقب

ولا عيب في منهاجه غير أنه على غير نهج المصطفى لم يصاحب

لايسعني هنا أنا ومن لف لفى من أحباب الشيخ رضي الله عنه إلا أن نحمد الله ونشكره أن جعلنا من من وُفِقُوا بهذا الخير الكثير والفضل العظيم، وكوننا جميعا في كوكبة هذه الطائفة المفلحة والتي أسست على التحابب في الله، والتزاور والتباذل فيه، طائفة ملامتية وسيلتها التمسك بالكتاب والسنة، وغايتها طلب مرضات الله، وشعارها إخلاص العمل لله ما قلّ منه أوكثر.

جمع شريعة مع الطريقة إلى الحقيقة العرى الوثيقة

وكما قال سيدي ومولاي السيد على سيس، جزاه الله خيرا. لو شاء الله لجاء الشيخ إبراهيم قبل أن نأتي، أو يأتي بعدنا، أو يأتي في زماننا، ونبتلى بالإنكار عليه. فكيف نستفيد منه؟

رويدكم لانتكروا عن جهالة لبغي وعدوان وعين جفاء

لذا علينا أن نجدد الشكر لله بما منّ به علينا من نعمه الظاهرة والباطنة وأن يديم علينا هذه النعمة إلى أبد الآباد، وأن يجعلنا من خاصة خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه، بمنه وكرمه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

يقول رضي الله عنه في هذه المناسبة:-

أدرك من مضى أفوت من بقى ... وإن تسابق الرجال أسبقى
قضي لي قاضي الحب وهو مبرز ... بأني المجلي في محمد أحمد
رقيت ذرى العرفان من سر حبه ... ورضت الصعاب المعضلات ولا دعوى
رأيت رسول الله نص بأنني ... سفير له في الكائنات مُخَلِّصُ
لقد جاءني منه البشارات أنني ... بمدحيَ أسمو فوق كل الشوامخ
حباني وأعطاني وأجزل نيله ... وحتى حبا ما ذكره ليس جائز
فمن رام دركي في اشتياق نبينا ... فقد رام أمرا مستحالا محرما
كمن رام مسك البدر يوما بأصبع ... ومن رام عود الأمس يوما وأيوما
كمن رام درك الوصف أيضا قد اكثروا ... ولكنهم قد غادروا متردما
ورتبة كل المادحين قصيرة ... عن إدراك ما عندي فسبقي يرسخ
وبيني وبين المادحين سرابخ ... وعور فما جيبت لمدحي سربخ
فشعريَ أوصاف الأمين وإنها ... عديمة كفؤ فهو أحمد يصرخ
رقيت بحب المصطفى كل شامخ ... من المجد يزري كل رأس وراسخ
بلى إنما حب الأمين كرامة ... وقد فقت مردانا وكل المشايخ
تراني مرادا لا مريدا وإنني ... لي الملك والتصريف بالمصطفى المأوى
وقد علم الأقوام أني مبرز ... ومن مرض جاروا على وأغلظو
لم لا وعيني قد رأته بيقظة ... بحي الذي أهوى مدى الدهر والدنا
لقد قال ممدوحي فإني مفوض ... أموري إلى برهام فهو المنفذ
وقد علم الأقوام أني خديمه ... فوصل حبيب الله يلفى بوصليا
علقت به والناس في سنة الكرى ... تمتعت منه الدهر إذ كنت مفردا
وزوجت في هذا الزمان وإنني ... لفي غيرة ممن يروم محمد

ولكنـــــني جليـــــت قبـــــل ســـــباقهم وقـــد نلـــت تبريـــز القـــرون لأحمـــدا
حـــالي مـــع المصـــطفى لاعقـــل يدركـــه صـــلى الإلـــه عليـــه مـــنزل الكتـــب
عليـــــه الصـــــلاة الله ثم ســـــلامه أفوت بها من فات قبلـــي ومـــن لحـــــق
مـــتى قمـــت وســـط للأنبيـــاء مشـــفعا هنالـــك أشـــدوا بالثنـــاء وألـــوح

تشجيعه للآخرين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وحبه

ومما هو جدير بالبيان عنه... أن الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه يعتد بغيره من الأحباب وَالْمَدَّاحِينَ للرسول عليه الصلاة والسلام، بل يشجع من وجد نفسه حبيبا للرسول ﷺ ويبشره بنيل الخيرات والنجاة في الدنيا والآخرة، لأنه من المحبة جلب مزيد من الأحباب للحبيب لما يقال أن حبيب الحبيب حبيب وعدو العدو أيضا حبيب، وحبيب العدو عدو. والشيخ رضي الله عنه كان يحب كل أحباب الرسول ﷺ، ويناوئ مبغضيه، بل يحب بلاده وجنسه، وكل ما كان له صلة به. ولا ننسى أن قوله:(لفي غيرة ممن يروم محمدًا) أشارة إلى أن المحبة لاتكتمل إلا بالغيرة على المحبوب. لقول الرسول صلى الله عليه وسلم- فيما روى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه- قال:قال رسول الله ﷺ:[**ليس شيء أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذاك أثنى على نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل**][1]. قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣].

يا من إذا ذكر اسمه في مجلس ... لذا الحديث به وطاب المجلس
إني لمن نظري أغار، وإنني ... بك عن سواي من الأنام لأنفس
نفسي فداؤك لو رأيت تلددي ... خطل المدامع مطرقا أتنفس
لعلمت أني في هواك معذب ... ومن الحياة وروحها مستيئس

إخترت أنباذا من الأبيات لكي أبرهن أن الشيخ رضي الله عنه كان يشجع المادحين على شغلهم المربح، ويرغبهم ليسيروا على دربهم جادين.

---

[1] رواه أحمد في مسند ٣٨١/١ن والبخاري في النكاح، ومسلم في التوبة.

يحـــوز محـــب المصـــطفى مـــا يرومـــه ... ولا تتربص ريب دهـــر لـــذا الكنـــز
هـــــدى الله أقوامـــــا قفـــــوه أجلـــــة ... وضـــلل قومـــا قـــد قلـــوه وطمســـا
فحـــب رســـول الله غـــنم وراحـــة ... وحصـــــن أراه للمحـــــب مصـــــيرا
محبتـــــه قـــــوت القلـــــوب وراحـــــة ... من الهم والأحـــزان والحـــب مفتـــرض
ومـــن يشـــتغل دهـــرا بحـــب محمـــد ... ينل كلما يهـــوي مـــن أعلـــى الـــبرازخ
فمـــــا ســـــعد الماضـــــون إلا بحبـــــه ... به ســـعد الســـودان والحمـــر والبـــيض
ولكـــــن مـــــدح المـــــادحين تشـــــفع ... فيشـــــفع لي طـــــه لأجـــــل مقاليـــــا
ولم أرج إلا أن أحمـــــــــد شـــــــــافع ... لمن قـــال ســـطرا في ثنـــاه ومـــا عمـــل
رفعـــت لـــواء الحـــب والـــذكر ســـاميا ... وقد رضت هماما ومـــن كـــان حارثـــا
لســـاني وقلـــبي الـــدهر ذكـــر محمـــد ... ومن حاله حالي مـــدى الـــدهر يشـــمخ
فمـــــن يتعلـــــق بـــــالأمين محبـــــة ... ينـــل كـــل مـــا يهـــوي بشـــم أريجـــي
وإن كتـــب المـــداح يومـــا وأثبتـــوا ... سمائي أكن مثـــل الـــذين قـــد احســـنوا
فيـــا فـــوز إبـــراهيم إن جـــاء ذكـــره ... بزمـــرة مـــن يثـــنى عليـــك ويحســـن

توسلاتــه بالمصطفــى عليـــه الصــلاة والســـلام

ومن أنماط محبة الشيخ إبراهيم إنياس للنبي صلى الله عليه وسلم توسله به في حوائجه، وحوائج غيره، تصديقا برسالته واعترافا بعظم قدره عند الله ســبحانه وتعالى. إذ هو عليه الصلاة والسلام حبيب الله وصاحب مقام **(لولاك)** وخــير خلق الله كلهم، وباب الله الأعظم.

أنـــت بـــاب الله أي امـــريء وافـــاه مـــن غـــيرك لا يـــدخل

فالله سبحانه وتعالى هو المعطي والمانع، والرسول صلى الله عليه وسلم جعلــه الله قاسما للمنح. كما يشير إلى ذلك حديث رواه البخاري عن معاوية ابــن أبي سفيان قال: قال رسول الله والرسول صلى الله عليه وسلم: [**من يرد الله به خــيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولاتزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حــتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**][1].

ولقد درب الله الأنبياء قبل تعيينهم على مناصبهم الإرشادية دَرَّبَهُمْ على معرفة قدره ودرجته الخاصة عند الله. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران٨١].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**لو كان موسى ابن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**][2].

---

(1) رواه مسلم ٩٥/٣ مسند أحمد ١٢٦/٢٨، ورواه الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان بلفظ الله المعطي وأنا القاسم، ورواه الدارمي ٨٥/١، وراه الإلمام البخاري.

(2) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان. ورواه أحمد في مسنده ٣٨٦/٢، وفي جامع بيان العلم وفضله ٢ /١٩، ورواه الألباني في الإرواء ٣٤/٦، وفي شرح السنة، وفي مجمع الزوائد ١٧٤/١.

فحـــاجي وحـــاج المســـلمين أحلتـــه عليك فطبـــت الـــنفس حـــرا مســـرمدًا
ألا يـــا رســـول الله فـــارفع شـــكايتي لمـــولاك أنـــت القـــرم خـــيرك يرتجـــى

والمؤمنون أيضا دربهم الله سبحانه وتعالى على تعظيم قدره عليـــه الصـــلاة والسلام، وتوقيره وتأزيره، كي لايفاجأوا بحبوط أعمالهم يوم القيامة. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات]. قال تعالى ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح].

إخترت وانتقيت شيئا من الأبيات التي تدل على أن الشيخ رضي الله عنه كان يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم محبة له وتعظيما لقدره، واعترافا بفضله على جميع العالمين. لقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ولنستمع جميعا إلى الشيخ رضي الله عنه في خضـــم الموضـــوع وصـــميمه يقول:-

شـــئوني رفعـــت الكـــل لله ســـيدي وواســـطتي المحمـــود بـــاب اللطـــائف
بـــه أرتجـــي قلـــب المســـاوي بفضـــله محاســـن أحبـــابي ونيـــل صـــفاء
بـــه أرتجـــي كـــوني خـــديم جنابـــه فتخـــدمني أهـــل البروســـماء
ويعطـــي عبيـــدا مـــا يـــروم وفوقـــه بجـــاه رســـول الله مـــن علـــم الحجـــا
وكـــن لمحـــب في الأمـــور بأســـرها أغثه ســـريعا يـــا كـــريم أغـــث أغـــث
لدى القبر مهمـــا يُســـأل العبـــد عـــنكم قل خـــادمي واشـــفع لحبـــك إذ بعـــث
وهـــب لي مقامـــا قـــد تقاصـــر دونـــه أكابر أقطـــاب الفحـــول مـــن الـــورى
أيا ســـيدي ســـل خـــالقي نصـــر دينـــه فأنـــت حقيـــق بالســـؤال جـــدير
لأســـعد في الـــدنيا وأخـــرى وأرتقـــي إلى ذروة تعـــدادها بالخناصـــر
يـــروم مَنَـــا لا قـــد تقاصـــر دونـــه فحـــول مضـــو لاغـــرو إذ هـــو جـــائز
عليـــه الصـــلاة الله ثم ســـلامه بهـــا فـــاز أحبـــابي وضـــديَ مـــزعج

الصلاة على الرسول عبر مدحه له رضي الله عنه

يشرفني أن أضيف ما لاتتم الفائدة إلا به، ألا، وهو القيام بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم من كل حبيب له، إن مما اتفق عليه العلماء- قديما وحديثا- أن كثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على حب المرء له. والصلاة على الرسول ليست علامة محبة المرء له فحسب، إنما هي خط سريع لمن يريد الوصول إلى حضرة الرسول عليه الصلاة والتسليم. والشيخ إبراهيم إنياس بصفته حبيبا من أحباب الرسول صلى الله عليه وسلم، يرى أن الصلاة على المصطفى عليه الصلاة والسلام سلم يرتقى به إلى كل المقامات، وكل الصيد- حسبما تيقن به في جوف الفرى. وكل المتطلبات يتوسل في نيل كبيرها وصغيرها بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم.

لذا نجد أنه يتوسل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الحوائج. ثم إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نوع تفنن فيه الشيخ رضي الله عنه في مدح محبوبه عليه الصلاة والتسليم. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

لم تكن هناك صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يجب الصلاة بها على النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الصيغ، بل كلها يجوز القيام بالصلاة على النبي بها، لأن الصلاة على النبي مجرد طلب، وبه يحصل الأجر والثواب، لأنه لايستطيع غير الله أن يصلي على رسول الله. والصلاة والتسليم على رسول الله تجارة رابحة لمن وفق بالقيام بها. ومن يتابع دواوين الشيخ إبراهيم إنياس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنها ممزوجة بالصلاة والتسليم على حبيب الله سيدنا محمد عليه الصلاة والتسليم.

لذا يحتاج هذا القسم إلى لفت النظر فيه لأهميته. يقول رضي الله عنه:-

على أحمد والآل والصحب دائما ... صلاة وتسليم تُنَفِّسي لنا الغينا
صلاة عليه مثل ما الله عالم ... وآل وصحب ما المحب له يهوى
فصلى عليه الله في كل طرفة ... عديد الحصى والرمل وفق مناء
فصلى عليه الله في كل طرفة ... عديد الحصى والرمل ما زحزح الهرجا
وصلى عليه الله في كل ذرة ... صلاة تحيط البحر والفلك والموجا
فصلي عليه الله مقدار قدره ... وآل وأصحاب علو كل جهبذ
عليه الصلاة الله ثم سلامه ... من العبد إبراهيم والعهد ما نكث
عليك صلاة الله ثم سلامه ... عديد مخاليق المهيمن حيث بث
عليك صلاة الله ثم سلامه ... بها أرتقي للحب أقصى السلالم
عليك صلاة الله ثم سلامه ... صلاة بها أروى ظما كل وامق
غرام إلى غير الأمين سفاهة ... عليه صلاة كل وقت بها تحيا
عليك صلاة الله ثم سلامه ... فإنك مقبول على العين والرأس

زيارته للرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة

طالما أن الرِّجلَ لاتطأ أخمصها إلا حيث يُحب صاحبها، فالزيارة إذًا ركن رَكِينٌ وَبَنْدٌ رَصِينٌ فيما يمت بالمحبة بصلة. لايكمل موضوع محبة الشيخ إبراهيم إنياس للرسول عليه الصلاة والسلام إلا إذا دخل في نسجه موضوع زيارته رضي الله عنه لمحبوبه صلى الله عليه وسلم، فالزيارة زيادة وليتها تكون غبا، وهي أيضا لافتة للمحبة ومتممة لها ما لم يتعذر القيام بها.

زر من تحب وإن شطت به الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء]. وفي قوله: (جاؤك) يشير إلى التنقل أو السفر من محل الزائر قريبا كان أو بعيدا إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم في قيد حياته أو بعد وفاته. إن التاريخ الإسلامي أثبت أن كثيراً من الصحابة رضوان الله عنهم كانو يقطعون مسافات شاسعة من بلدان إقامتهم مترددين إلى المدينة المنورة لزيارته عليه الصلاة والتسليم.

لقد فاز من لنبي وطاف وزاره ومرغ في ذاك التراب عذاره

يرى بعض الناس أن قاصد المدينة المنورة ينوي بذلك زيارة المسجد النبوي الشريف فقط. خلاف ما يرى الشيخ إبراهيم إنياس هو لاينوي زيارة المسجد النبوي الشريف، إنما يزور باني المسجد والذي يتشرف المسجد به وهو محبوبه الرسول محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. يقول رضي الله عنه:-

هو الحب إبراهيم قد جاء زائرا ... لأحمد خير العالمين وشاكرا
فمن كان ينوي للمدينة زائرا ... سواك فإني جئت أحمد زائرا
أتيتك لا أرجو سواك محمدا ... وأنت مزوري أنت للخير معدن
له المسجد الأعلى فطه مشيده ... واقطعه روض الجنان مجاورا

ففي عام ١٩٧٢م إستعد رضي الله عنه للذهاب إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج وكانت حجته الأخيرة. ذهب وَهَلُ كثير من الناس أنه لايحج في تلك السنة حتى بدء بعض الأقرباء ينصحونه بعدم الذهاب لأنه معذور. لا داعي لِلْحَجِّ في هذ العام حتى تزداد صحته تحسنا. فكتب قصيدة للرد على الذين حاولوا منعه الذهاب إلى الحج لما يعانيه من المرض والحاجة إلى الراحة ومطلعها:-

سفاري إلى الهادي لذالك أفرح ... فرأى لقا خير الورى وهو أفرح
يبشره الباري لمدحي وزوريتي ... أسير معي الأبرار ذلك أفلح
إلى خير هاد خير من وطأ الثرى ... وخير شفيع خير من جاء يصلح
يقولون لا تخرج لسقم ومهرم ... فعذرك من شمس الظهيرة أوضح
فقلت شفى سقمي الوقوف ببابه ... عن الطب يغنيني كمن ظل يخرج
أأخلد للراحة والناس كلهم ... يروح ويغدو للحبب ويفلح
أأترك ليلي ليس بيني وبينها ... سوى ليلة من لي بذلك ينصح
طبيبي قريب هل سقامي تسمع ... يقابلني يومي المقفي المشفع
أراني إذا ما جئت يومي محمدا ... تحقق آمالي كما أتوقع
محمد خير العالمين وسيلتي ... أتاك خديم ضارع يتشفع
أتيتك تسعا ثم عشرا وإنني ... أتيتك هذى فاهدني لاتربص
وودعته والدمع يجري صبابة ... على حين لايجدي بكاء الفتى جدوي
وودعته أستودع الله عنده ... شهادة حق أرفض الشرك والأهوى
أتيتك برا ثم بحرا وطائرا ... بنفسي وأولادي وصحبي وأسرتي

إستمرارية محبة الشيخ إبراهيم إنياس للرسول عليه الصلاة والسلام

أحب الشيخ إبراهيم إنياس محبوبه الأوحد وممدوحه الأمجد سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، محبة نادرة لم يشهد العالم لها مثيل، محبة إستوعبت جميع حياته كلها وجزئها، محبة عاشها رضي الله عنه في جميع مراحل حياته. لم لا وقد ولد حبيبا للرسول عليه الصلاة والسلام. يقول عمر ابن أبي ربيعة:-

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا
فطرت على حبي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل من قلبي هواها بقدر ما أقول أتاها فارغا فتمكنا

محبة الشيخ إبراهيم إنياس لمعشوقه الصفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محبة أخذت بحذافير قلبه و لم يتخذ محبوبا قط سوى من أرسل إلى الناس كافة ورحمة للعالمين. ومن عادى الشيخ إبراهيم إنياس فهو حر في القيام بذلك لأنه أي العدوو لايعرفه طبقا لقوله رضي الله عنه: "لايبغضني سوى من لايعرفني". ومن أحبه لغير محبته لمحبوبه صلى الله عليه وسلم فقد جفاه تمشيا مع قوله رضي الله عنه:-

خليلي سوى من حبني لوداده وإلا جفاني فالشقي إلى الأشقى

أحب الشيخ الرسول صلى الله عليه وسلم حتى فنى فيه ولايرى نفسه سوى محبوبه. ويقول رضي الله عنه مصداقا لذلك:-

ولم لا وعيني اليوم عين محمد سرى سره في هيكلي وروائي
فلو صوروني في الحقيقة لم يرو سوى شخص محبوبي به نتمتع
ترى كل مفعولي بفعل محمد وحالي وتمييزي إليه يشير
وجدت حبيبي بعد موتي بحبه هو العاشق المعشوق من قرب حبه

أحب الشيخ إبراهيم حبَّهُ الموثوق سيدنا محمدا في جميع حالاته وتطوراته و لم يفتر عن ذلك لحظة. هكذا عاش رضي الله عنه حتى أتاه اليقين. ولقد أشار إلى ذلك حيث يقول:-

أتيتك شرخا ثم كهلا وإنني ... أتيتك شيخا لا يزال متيما
غرامي وتهيامي ووجدي ورفقتي ... وقد بات شعري في سواك محرما
ببر وبحر قد بعثت مدائحي ... وذا اليوم أشدوا في الهوا متجمجما
عليك رسول الله حب وخادم ... يروم رضى الباري وفي الخلد يخلد
عليك سلام وهو مني وإنني ... على الجو في تهيا تهامة أنشد
أجمجم في الأجواء طورا وتارة ... تجاب الموامي فدفدا ثم فددا
على هيكل يبرئ البرا وحنينه ... حنين عشار أو لكالبرق يرعد
فكن لي رسول العالمين محمد ... فإني خديم عاش فيك مهيما
أهيم به ما عشت دون تغنج ... ولي وله فيه بعيد فنائي
رفعت لواء الحب والذكر ساميا ... وقد رضت هماما ومن كان حارثا
حملت وربي بالوداد أمانة ... وعهدا أراعيه ولم ألف ناكثا
قد استأصل المحبوب كلي وجملتي ... وواصلني والغيريات تولت
هو المصطفى المختار خالط مضمري ... وكلي وجزئ فهو سري ومظهري
فملكته ذاتي ونفسي وروحها ... وأهلي وأولادي ومن لي تمسكا
ولست أرى في الكون شيئا أحبه ... سوى المصطفى المحمود فيك وعندك
أيا أيها المحمود يا أفضل الورى ... أتيتك لا ألفى لغيرك أنهج
خدمت رسول الله دهري أنسخ ... مدائحه والحب في القلب يرسخ
أيا ليت شعري كيف عهدي عنده ... فإن له عندي لعهد موثق
حلفت له بالذات إني أحبه ... ودادا صفيا فهو نهجي ومودقي
عليك صلاة الله ثم سلامه ... أكون خديما عهده ليس ينكث

والعجب العجاب هنا، هو أن محبة الشيخ لمعشوقه، محبة لم تتوقف و لم تنقطع بسبب الموت بل واصل سيرها إلى الموت وإلى ما بعد الموت بخلاف غيرها من الأعمال التكليفية والتطوعية، تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. وأحب الأعمال عند الله أدومها وإن قل. أيا كان نوعها من الأعمال التطوعية ولكن مع ذلك فإن غاية الدوام عليها ينتهي بالموت مصداقا لقوله تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين". أي الموت كما كان الشيخ رضي الله عنه يفسرها بذلك. ثم إن محبة الشيخ رضي الله عنه لصاحب الإسراء والمعراج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام محبة خارقة للعادة حيث أنها حظيت بالإستمرار إلى الموت وإلى ما بعدها، كما أثبت ذلك الشيخ رضي الله في حلحلة بيانه عن عمق وغمق محبته لحبيبه الرسول صلى الله عليه وسلم ورسوخه في دائرتها كما نجد ذلك في قوله:-

وأحببتـــه مـــا دمـــت حيـــا وإنـــني ... لي الحب حـــتى يمســـى الجفـــن مغمضـــا
إذا انصرف الوارون عـــن دوفـــن جثـــتي ... بقيـــت بـــه أحيـــا ليـــوم لقـــاء
أنســـت بـــه وحـــدي كفـــاني جمالـــه ... عـــن الغانيـــات البـــيض وســـط خبـــاء
لـــك العهـــد مـــني يـــا رســـول فـــإنني ... أحبـــك حـــتى حـــين في القـــبر أدفـــن
إذا عبـــد العبـــاد في القـــبر إنـــني ... بـــذكر رســـول الله وقـــت ســـواء
مـــتى قمـــت وســـط الأنبيـــاء مشـــفعا ... هنالـــك أشـــد وبالثنـــاء وألـــوح
هنـــاك تـــذكر يـــا شـــفيع مقصـــرا ... أســـير غـــرام فيـــك يشـــدو ويمـــدح
أحبـــك مـــا دامـــت حيـــاتي وإن أمـــت ... أرجى بقـــاء الحـــب عنـــدي ولاحـــول

ولقد توسعت أبعاد إستمراية محبة الشيخ للرسول عليه الصلاة والسلام حيث أنه رضي الله عنه لم يكتف بكتابة أمداحه لممدوحه ونشرها ليتغنى بها العالم بعد وفاته، تمشيا مع المثل القائل: (ما كتب قر وما حفظ فر).

الله هو الوحيد الذي يعلم أين وصلت دواوين الشيخ التي نفتخر بها في تراثنا الأدبي والإسلامي مليأة بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصافه النبيلة، تثقيفا للأمة الإسلامية في معرفة عظمة الرسول وعلو قدره عند الله سبحانه وتعالى. ما تفرد الله تعالى بعلمه دون غيره من الأنبياء والمرسلين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لي وقت مع الله لايسعني فيه ملك مقرب ولانبي مرسل. فعل الشيخ إبراهيم إنياس كل ذلك بمثابة الدورة التثقيفية للمسلمين على محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتأزيره وتوقيره وتقديره إلى قيام الساعة حيث يعود الناس إلى ربهم، وقد إمتلأت قلوبهم وأفئدتهم بحب الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط.

ولم يكتف الشيخ بذلك فقط بل قام بفعل ما يشير إلى استمرارية محبته ومدحه لمحبوبه عليه الصلاة والسلام، إذ وكل من ينوب عنه في الإستمرار بهذا الشغل الذي أشغله طوال حياته بل وانفق في سبيل ذلك كلما ملك من الغالي والنفيس. يقول رضي الله عنه:-

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... أوكل بدعد من يهيم بها بعدي
تسمى رجال بالخديم وإنني ... أساجلهم لا أنثنى وأسابق
أساجلهم ما عشت فيك وإن أمت ... يساجلهم فرعي وفيك يسابق
ولكنني جليت قبل سباقهم ... وقد نلت تبريز القرون لأحمد

ذهب الأستاذ محمد الأمين طاهر إنجاي، إلى أن المشار إليه هنا في قول الشيخ:(يساجلهم فرعي وفيك يسابق) هو الشيخ محمد الأمين إبراهيم إنياس، المعروف بِبَابَ لَـــمِنْ. كتب ذلك الأستاذ إنجاي في تعليقه على ديوانين كتبهما الشيخ محمد الأمين إنياس. الديوان الأول سطور رحب دافق[1] نبضات قلب وامق والثاني شهود الحب وقرائن الوصول بحضرة حبيب القلب في الغدو والأصال، وواصل الأستاذ إنجاي يقول: أما الشاعر فهو الأستاذ الأديب والمتيم العجيب خريج جامعة الشيخ إبراهيم رضي الله عنه (بتقدير إمتياز مع مرتبة الشرف الأولى) ومن السابقين الذين اكتملت فيهم هدى الشيخ واستقام لهم السير على خطه ومنهاجه فكان الشيخ عَيَّنَهُ ليكون بريد عهد المحبة المتواسل بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم وفارس المسابقة والمساجلة في مخدومه وذلك منذ أن صدرت له تلك اللغة الإبراهيمية، ووجهت إليه تلك العناية المحمدية. فقام وحذا حذو الشيخ وسابق وساجل في حبيبه صلى الله عليه وسلم كما أمر. ومن معين هذا الحب الدافق ودقات هذا القلب الوامق إخترت هذه المختارات البوارق التي نقدمها للقراء في هذا الإصدار. على حد قول الأستاذ إنجاي في تقديمه للدواوين المذكورة سابقا.

---

[1] راجع كتاب مرصاد العباد/ محمد المهدي إسماعيل.

خطـــر الغلول والتنطع في منظـــور الإســـلام

الغلول لغة: من غلا، ما يشير إلى الإرتفاع ومجاوزة الحد، هذا هو ما ذهبـــت إليه معاجم اللغة. تقول غلا الماء، إذا إرتفع. وغلا السعر، إذا تجاوز العادة.

والسهم يغلو غلوا إذا وصل لأقصى الغاية، وغلا القِدْرُ إذا فاض بمـــا فيـــه وطفح. وغلا في الدين إذا تشدد وتصلب حتى جاوز الحد.[1]

الغلو إصطلاحا: هو مجاوزة الحد المشروع في الدين، بالإعتقادات أو الأقوال أو الأفعال أو الأحوال. يقول ابن حجر العسقلاني... في فتح الباري: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد. ويقول ابن تيمية: الغلو هو مجاوزة، بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق.[2]

ويقول الزمخشري: الغلو هو مجاوزة الحد في التعظيم أو البغض والتنقيص من شيء. ويقول الفخر الرازي: الغلو: هو الإفراط في جانب التعظيم. وكل هـــذه الإصطلاحات على ما يبدو، لخصت من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، في حديث روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته - "هات- ألقـــط لي" فلقطـــت لـــه حصيات عن حصى الحذف، فلما وضعتهن في يده، قال بإمتثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين.[3] فكل ما زاد على قاعدة الدين، أو التشدد في العبادة حتى خرج ذلك عن الحدود المشروعة، كـــل

---

[1] جمهرة اللغة لابن دريد ٩٦١/٢ مقاييس اللغة ٣٨٦/٤، الصاح ٢٤٤/٦.

[2] إقتضاء الصراط المستقيم.

[3] رواه النسائي ٣٠٥٦، ابن ماجه ٣٠٢٩، ابن خزيمة ٢٨٦٧، ابن حبان ٣٨٦١.

ذلك يعتبر غلوا في الدين. لقوله عليه الصلاة والسلام: "أكلفوا من الأعمال ما تطيقون إن الله لايمل حتى تملوا". وقوله: لن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

والإسلام يحارب وينبذ الغلو بشتى وسائله، جنسا وقدرا وصفة. ودائما نجد أن الإسلام يميل إلى التوسط والإعتدال، والأمر بالشيء نهي عن ضده.

أقسام الغلو: ينقسم الغلو إلى قسمين: غلو في الإعتقاد، وهو ما كان متصلا بالعقائد، كالغلو في ذات الله وصفاته وفي الأنبياء والمرسلين، أو الأولياء والصالحين، والعلماء العالمين. والغلو العملي: هو التعسف في أداء العبادة، والتكلف بما لايطاق، أو الإمتناع عن المباحات باسم الورع والزهد عن الدنيا؛ وكل ذلك إعتداء في الإسلام. قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة]. وقال أيضا ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

أسباب الغلو: يرى بعض العلماء أنها ترتكز على النقاط التالية:-

١. الجهل بتعاليم الدين، وعدم العلم بمقاصده السديدة، والبعد عن ساحة العلم النظيفة، والظن بأن التعسف في العبادات، والخروج من قاعدتها يسبب تضعيف الأجر والثواب.
٢. محاولة وضع مالا خانة له في الدين، إما جهلا أو تقليدا أعمى أو قصدا للطموح إلى غرض، أو الوصول إلى هدف ما.
٣. الإحتجاج بالزمن، ولايمكن للزمن مهما تقدم وارتقى أن يغير أحكام الدين الإسلامي، بل الدين هو الذي يسيطر على الزمن وأهله كائنا من كانوا، إن صحبتهُمُ السَّعادةُ تمشيا مع قوله تعالى﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ

عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة]. وقوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل]. وقوله ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك]. وقوله ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء]. الدين الإسلامي وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات، وإلى المثل العليا في السلوك والمعاملات، وضع للعبادة قواعد ورتب لها مراحل، وأسس لها بنودا، ونظم لها حدودا. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" **[تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه بذهاب أهله، ألا وأياكم والتنطع والتعمق والبدع، وعليكم بالعتيق]**[1]. لقد أثبت الباحثون أن مسألة الغلو في الديانات ليست حديثة العهد، إنما هي قديمة قدم الأديان نفسها.

لقد أصيب الكثير من أصحاب الديانة بهذه الكارثة النكراء. لأسباب ترجع إما إلى الرغبة في تحقيق العبودية، وإما للإتباع والتقليد الأعمى لأناس ضالين مضلين، يستغلون جهل العامة بدينهم، وبعدهم المتزايد عن ساحة التعاليم الإسلامية. فيوهمونهم أن هذا النوع من التدين والذي يُدْعَوْنَ إليه هو النموذج الأمثل للتدين الصحيح، وكل ما يقوم به غيرهم باطل. وظاهرة الغلو في الدين موجودة في أتباع جميع الأديان والطوائف، لاتقتصر على المتمسكين بالطرق الصوفية، أو من ينتمى إلى الطريقة التجانية، أو من يدعى الإنتساب إلى الشيخ

[1] أخرجه البيهقي والدارمي ٥٤/١، والطبراني في المعجم الكبير ١٨٩/٩، وراجع الكتاب جامع بيان العلم ١٥٢/١.

إبراهيم إنياس فقط، بل فتيل وبال الغلو متقد في جميع الأمم، وخطره شـــائع، ومنتشر في جميع الأديان والطوائف.

لقد منع الله ذلك بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية. قال تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾ [النساء]. وقال أيضا ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة].

وليأخذنا التاريخ إلى سجل قوم إبراهيم عليه السلام... هم عباد الأصنام، التي ينحتونها بأيديهم، وما زاد الطين بلا هو أن بَيْرُوس الغلو تسرب فيهم،

فَوُجِدَ منهم- الغلاة من لم يكتف بعبادة الأصنام، فحسب، بل جاوز هذا الصنف الحد، حيث رأو أن يذبحوا للأصنام أبناء صلبهم بأيديهم، تقربا لها، إنتبهوا! لم يشرع لهم نظام دينهم بذلك، بل سولت لهم أنفسهم ذلك، وأمرهم الغلو به ففعلوه. ولعل من أجل ذلك أرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام ليقوم بمهمة شاقة، وهي إبعادهم عن الشرك وعن ما تولد منه من الغلو فأمر الله إبراهيم بذبح إبنه إسماعيل عليه السلام، وفداه الله بكبش سمين وثمين، ليتبصروا بالفرق الشاسع الذي بين دينهم الضار وبين دين إبراهيم النافع، والذي جمع بين الحسنيين. قال تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات].

ومما أنعم الله به على هذه الأمة الخيرة- القرآن الكريم. "**ذالك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين**" كتاب فيه خبر من قبلنا، وحكم ما بيننا ونبأ ما بعدنا. من حكم به عدل، ومن تركه ضلّ. قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]. كتاب جدير بأن يخلد لأنه لبى جميع متطلبات البشر، وسائر المخلوقات (**الدنيوية والأخروية**)، كائنا من كان على وجه المعمورة وإلى يوم القيامة. وهو كما يقال: كل الصيد في جوف الفرى. وليؤكد لنا الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم لامثيل له، إنه كتاب خَزَّنَ الله فيه كل شيء كائنا ما كان مصداقا لقوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن

شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام]. لا يحدث شيء أو يتكرر أمر- قد حدث مثله من قبل- إلا وبيانه في القرآن مجملا أو مفصلا. ومن كانت له ضالة فلينشدها في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل].

ألم تستغرب عندما وجدت القرآن يتدفق منه البيان عن الغلو؟ بيانا شافيا بحجج دامغة، وبراهين مقنعة، وأدلة مسكتة. وليمتد بنا السير إلى ملف التاريخ لنرى كيف جرت محبة نبي، أو صالح إلى الكفر ومجاوزة الحد بالغلو في المحبة. (وهو عزير) إتخذه أتباعه إبنًا لله، إعجابا بما قام به من تلاوة التوراة كله عن ظهر القلب. قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة]، كلاهما أي اليهود والنصارى إتخذ الغلاة منهما أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون. وبعض الغلاة متعمدون على ما يفعلونه إما لغرض يريدون التربع عليه. لقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ [التوبة]، أو لجهلهم بالدين. قال تعالى ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يقول فضيلة الشيخ رضي الله عنه:

تمرد البعض وبعض أولا وبعضهم شتى وبعض جهلا

لقد مرت بعزير أمور عجيبة شاعت وذاعت بل ثبتت، حيث أن القرآن ذكرها. قال تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]. أكد كل من ابن كثير في تفسيره، وابن الجوزي في (زاد المسير) أن المشار إليه في الآية هو عزير، إحتجاجا بما ورد عن عبد الله بن عباس وغيره من كبار المفسرين من الصحابة رضوان الله عليهم. أنظر إلى عزير لم يأمرهم بما قالوا، و لم يقل لهم أنه إبن الله، بل زجرهم عن ذللك. ولكن غلبت عليهم شقاوتهم فأمرهم الغلو بذلك فانقادوا إليه، ودعتهم إلى ذلك نفوسهم الأمارة بالسوء، فامتثلوا أوامرها الخبيثة. الغلو هو القنبلة الذرية للعقيدة والعبادة والسلوك. هكذا نجد أن كارثة الغلو تتفاقم بين أصحاب الأديان والعياذ بالله.

ولقد أَلِهَ من ألَّه نبي الله عيسى عليه السلام عند ما وبخهم الله وأسكتهم، ووضعوا الكف الذقن لما سمعوا البيان عن من يستحق أن يكون إلها. يكون غنيا غنى مطلقا، مصداقا لقوله تعالى ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]. والفقير أو المحتاج إلى شيء فهو ذليل به، ونبي الله عيسى عليه السلام وأمه يحتاجان إلى الطعام والشراب ما ينافي الألوهية والربوبية لأي منهما. ثم إنهما مخلوقان، وهذا أيضا مناف للإله، فالإله يَخْلُقُ والذي لايخلق لايستحق أن يكون إلها. قال تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

[النحل]. ونبي الله عيسى وأمه سيموتان كما مات غيرهما من الأنبياء والمرسلين من قبل. فالذي يموت لايستحق أن يكون إلها. قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان]، ونبي الله عيسى واحد من المجموعة. والذي ليس بواحد سقطت عنه العضوية في أن يكون إلها. قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] يقول الله سبحانه وتعالى ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة]. وسبق أن قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة].

لهذا نجد أنه لايصح أن نتهم المسمى بقول السام أو فعله إلا إذا فقدنا صوابنا أوملنا عن سواء السبيل. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

ولا أرى أننا منصفون إذا قلنا كل الزناة من المسلمين، والذين يتعاطون الخمور والمسكرات، ويترددون إلى بيوت الدعارة والمجون... أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي علمهم ذلك أو أمرهم به، والعياذ بالله، إنتماؤهم إليه

لايكون حجة عليه. والذين الهو نبي الله عيسى عليه السلام لم يقوموا بذلك بأمر منه بل منعهم من ذلك أكثر من مرة، وتبرأ منهم بعد ما أصروا على فعلهم، واستمروا في سيرهم. قال تعالى تبرأة لنبي الله عيسى عليه السلام وأمه بل وكل من تكررت عليه مثل تلك القضية ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة].

والذين ألهو الشيخ إبراهيم إنياس لم يأمرهم الشيخ بذلك، ولا علم له بذلك، لأن هذا الغلو لم يظهر إلا بعد وفاته رضي الله عنه بأكثر من أربعين سنة. بل هو رضي الله عنه بريء من هؤلاء ومن كل من يدعى الإنتساب إليه ويهتك شرع الله. أود أن يسمح لي القارئ الكريم لأقدم له رسائل الشيخ رضي الله عنـــه إلى مثل هؤلاء الغلاة ليبدوا جليا براءته منهم في الدنيا والآخرة.

عن الشيخ إبراهيم إنياس

الشـــيخ إبـــراهيم إن تـــك جـــاهلا عـــن وصـــفه ســـلني عـــن الأخيـــار
شـــهد المعانـــد والحســـود بفضـــله ووفـــود أهـــل البـــدو والأمصـــار

هو شيخ الإسلام بكل ما تحمله الكلمة من المعاني، أدى حقـوق الألوهيـة بالعبودة والتحقيق، أو التزم بأداب الربوبية في الصدق واليقين، هو بريئ من كل ما لا يتمشى مع الكتاب والسنة، أو ما لم توافق عليه الشريعة، يشهد له بـذلك كل من عاش معه أو تابع كتبه أو مجالسه العلمية ولو عبر المسجلات.

عاش رضي الله عنه- إلى أن توفى- عابدًا مخلصا وأمله في ذلك أن ينال منزلة العبودة،[1] ما يشير إلى الأخذ بالعزيمة في العبادة أخذا يطيق عليه لاتكلفا.

يقول رضي الله عنه في ذلك:-

أرجـــو وآمـــل تحقيـــق العبـــودة لي بالمصـــطفى المنتقـــى يـــا زيـــن أمـــداح

ومما يؤكد لنا أن الشيخ رضي الله عنه لايتواني في العبادة... بل كان قـوى الهمة في أداء جميع أصنافها، إيضاحا على ذلك، كان يقول- مع كثرة تنقلاته في الرحلات والأسفار في جميع أنحاء العالم، وفي جميع الأوقات والحالات.

قـــــواني المنـــــان في الأســـــفار ولســـت محتاجـــا إلى الإفطـــــار
في رمضـــــان غائبـــــا أو حاضـــــرا وإن مرضـــــت أو أجـــــد ســـــافرا

---

[1] * العبادة للعوام، وهي لمن له علم اليقين.

* العبودية للخواص، وهي لمن له عين اليقين.

* العبودة لخاصة الخاصة، وهي صغة أهل المشاهدة والإقرار بما أعطاهم الله من الطول والمنة، ومعانقة ما أمروا به ومجانبة ما نهوا عنه. راجع كتاب إدارة عـرائـس شموس فلك الحقائق العرفانية للعلامة العارف بالله سيدي الأحسن بن محمد البعقيلي. صفحة- ج/١-٣٩٤.

كان حريصا على أن يؤدي الصلوات في أوقاتها في الحضر والسفر، ولايقوم بذلك إلا أصحاب العزيمة من العباد. يقول الشيخ إبراهيم محمود جوب:رافقت الشيخ رضي الله عنه إلى الصين في رحلة إستغرقت عشرة أيام في بلدان الصين. فزرنا متحفا كبيرا يتوافد إليه السياح من جميع أصقاع المعمورة، بينما كنا نتفرج التراث الصيني في المتحف... لاحظ الشيخ أن وقت الصلاة قد حان ففرش عباءة يرتديها فكبر بالصلاة بصوت جهير، فلتفت الناس إليه ينظرون إلى ما يقوم به، ولكن الشيخ رضي الله عنه لم يلتفت إليهم حتى فرغ من صلاته، وارتدى عباءته وواصلنا التفرج في المتحف.

وذات يوم أصيبت عينا الشيخ رضي الله عنه برمد، فسافر إلى فرنسا للعلاج، فلما فحصه الطبيب فُرَيْسُ قال له عيناك تحتاجان إلى العملية، لذا سنُنوِّمك للعملية. فقال له الشيخ: إلى كم ساعة سأظل نائما؟ قال له فريس: الأمر بسيط لايجاوز ربع ساعة أو نصفها. لأن جسم الإنسان حسب التجربة الطبية- لايتحمل ألم عملية العيون. وأكبر من هذا أنه إذا تحرك المريض في خلال العملية قد يخسر عيونه بسبب ذلك. فقال له الشيخ: لابأس. ولما خرجوا من المستشفى قال الشيخ للشيخ إبراهيم محمود جوب: يا برام، هل تعرف لماذا تقاعست عن يُنَوِّمني الطبيب مع أن ذلك يمت بصحتي بصلة، قال له الشيخ إبراهيم محمود جوب: لا أعرف السبب يا مولايا، قال له الشيخ أخشى أن يأتي وقت الصلاة وأنا في نوم نمته مطاوعة. وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء].

هذه هي شنشنته فيما يمت بإقام الصلاة بصلة، فحصه طبيب ذات يوم فنصحه بأن يبدأ الرياضة البدنية، فقال له الشيخ: خروجي من البيت إلى المسجد

وأداء الصلوات الخمس يوميا يكفيني رياضة لبدني، ما يشير إلى دأبه في إقام الصلاة. هكذا ظل إلى أن أتاه اليقين ووافته المنيته في لُنْدُونْ-١٩٧٥م.[1]

وأما الحج... حدث ولا حرج، فقد حج سبع عشر حجة، ما عدا العمرة، فإنه قام بأدائها مرارا وتكرارا، مع بعد مسافة بلده عن الحرمين الشريفين. كما مر ذكر ذلك فيما مضى ورضي الله عنه كان يؤدي الزكاة بعد إنصرام كل عام؛ لأنه يعد من كبار المزارعين في السنغال الشيخ إبراهيم شخصية مثالية وفذ في نموذجيته، وكان رضي الله عنه يقول- تحدثا بنعمة الله على سلوكه واستقامته على التمسك بهذا الدين تمسكا قويا، وفهمه له فهما صحيحا، ولله الحمد والشكر.

فالحمد لله نشأت طاهرا ... ما قلت فخرا بل نطقت شاكرا
ما قط جالست سفيها ولما ... أجلس سوا فحول قوم علما
وصان إلهي نفسي الدهر لا أُرى ... أميل إلى ما ليس في الشرع جائزا
أسأله يديم لي الحفظ مدى عمري ... فلم أرتد ردى ذوى الردى
ألين لمن يقفوا الأمين وأنني ... شديد وصعب إذ أقاد إلى الأهوا
ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ... وقد خاب من يبغى اعوجاجي ويطلب
أحكم شرع المصطفى في قضيتي ... وسلمت تسليم الفئام السوابق
أحي العلوم كذا أحي المعارف لا ... ميل لشطح ولا الدعوى ولا الكذب
بظاهر الشرع والنور المبين أربي ... السالكين بلا شك ولا ريب
إذا سار خير الناس سرت وراءه ... وإن حل يوما فالمسير بعيد
ومن قال قد أضللت فالحق شاهد ... على أنني ما حدت عن نهج هاشم
وليس نجاة في سلوك هوائها ... ولو زخرفو الآراء من كل فرية
رجائي رفع الدين والسنة التي ... تجاهلها الأقوام في كل قرية
فلا أنال راحة لقلبي ... وفي البسيطة يعاص ربي

[1] راجع الشيخ إبراهيم إنياس الداعية العالمي للإمام الشيخ محمد الناصر آدم، الطبعة الثانية.

لاسيما إفريقية الغربية هداهم للملة المرضية
فلم أرض تغييرا ولست مبدلا فمذهب غير الهاشم لست أذهب
ولا يبتلين الله بالزيغ والهوى على نهجه ما عشت فهو حميد
ويعلو بي التوحيد والسنة التي عفاها ارتفاع الجهل في الجهر والنجوى
زعيم يقود الناس أجهل طالب وقد بلغ السيل الزبى عمت البلوى
وذا الدين موروث بعلم فلم يرث أخو الجهل نحريرا سليل الأكارم
كفاني كفاني ما بقيت فلا أرى فسادا صلاحا بل أديم كفاحي
لقد درى الثقلان طرا أننا متمسكون بسنة العدنان
نحن أولى درسو الكتاب وسل كتاب ونحن أهل الحج والأركان
فإن حاد عن نهج الرسول فإنني على نهجه ما عشت فهو حميد
نصلي كما كان النبي مصليا نصوم كذا نقفوا سبيل سميدع
فهل تجمع الأيام قوم محمد على نهجه من دون شك ومرية

هذه لمحة وجيزة تلقى الضوء على منهج الشيخ رضي الله عنه في الدعوة، وعن مدى عمق تمسكه بهذ الدين الإسلامي الحنيف الذي عاش طوال حياته يدعو إليه وينشره وينصره. أنفق كل ما في وسعه من أجل القيام بذلك. من أحبه فليسر على دربه وإلا فهو مُدَّعٍ أفضحته مثل هذه الأبيات، والتي نشر الشيخ فحوى ما فيها نظما ونثرا، قولا وفعلا وحالا. ومن فعل أو قال خلاف ذلك فهو رد، لايقبل منه ذلك، كائنا من كان.

وأمور الشيخ كلها واضحة وضوح الشمس ضحى لاغموض فيها ولا إشكال. ومن زاد في الطريقة ما ليس منها فذلك ليس فيها ولا يعد منها.

يقول الشيخ إبراهيم الرياحي:-

وما ظنونك بالورد الذي نظمت عين الكمالات هل يعزى لأحداس
وما تظن ببنيان الذي رفعت يد النبوة هل يبنى بلا ساس
وما تظن بمنهاج لسالكه فضل عظيم قضى عن كل مقياس

نصـــــيحة مـــــني إلى إخـــــواني فلتمســـــكوا طريقـــــة التجـــــاني
طريقـــة محـــض الفضـــل والرضـــوان أســـــس بالســـــنة والفرقـــــان

ويقول الشيخ إبراهيم إنياس لمثل هذه المناسبة:-

علـــيكم بحبـــل الله للعبـــد واثقـــا فـــنهج ينـــاوي الـــذكر نهـــج شـــقاء
وإن قلـــت هـــل ذا الـــورد نهـــج محمـــد أقـــول نعـــم وردي لنيـــل صـــفاء
فمـــا الـــورد إلا الـــذكر لله وحـــده تصـــلي علـــى المختـــار خـــير وراء
فما فيه ذكـــر الشـــيخ أو ذكـــر غـــيره فـــوردي لـــداء العبـــد عـــين دواء
رويـــدكم لا تنكـــروا عـــن جهالـــة لبغـــي وعـــدوان وعـــين جفـــاء
فقـــد بلـــغ الهـــادي وأدى أمانـــة حذا حـــذوه الهـــادون شـــهب دجـــاء
والأعـــلام قـــادات بقفـــو نبينـــا لتقفـــوا الـــذي يقفـــوه دون مـــراء
ســـواء جليـــل أو حقـــير فمـــا لنـــا ســـوى قفـــوه دهـــرا صـــباح مســـاء
فـــإن فـــلاح العـــالمين بقفـــو مـــن قـــد أســـدى لمـــن والاه كـــل ربـــاح
ألا اعتصـــموا بالحبـــل حبـــل محمـــد رجـــالا وأطفـــالا نســـا ومشـــائخا
أســـير غرامـــا لا أزال متيمـــا وعن نهج خـــير الخلـــق لســـت أحيـــد
رضـــيت بـــربي والحنيفـــة مســـلكي إمـــامي رســـول الله لا أتخلـــف
دليلـــي كتـــاب الله والبيـــت قبلـــتي نصـــوم وبالبيـــت الحـــرام نطـــوف
نصـــلي ســـجودا راكعـــين وإننـــا علـــى ذا درجنـــا الـــدهر لا نتعســـف
ولســـنا نبـــالي بالصـــليب فـــلا نـــرى سوى خالق الأكـــوان يعطـــي ويتحـــف
ونـــذكر مولانـــا الجليـــل تعرضـــا لآلائـــه شـــكرا ولا نتقشـــف
بمـــوت يغـــيظ مـــن يغظـــه فإنـــه لوالـــدين يعلـــو ســـرمدًا ويرفـــرف

وأما أحبابه وأتباعه فهو أعرف الناس بهم لذا وصـفهم بنفسـه لِيُعْرَفـوا بمميزاتهم التي تميزهم عن غيرهم. والمزيفون دائما يدققون النظـر إلى الأصـلي لِيَتَمَكَّنُوا من صنع شبيه به. والمزيَّف لايكون أصليا قيمـة وجـودة، إلى قيـام الساعة.

عـــار لمـــن يســـتدعوا العرفـــان ... أن يتخلقـــوا بمـــا قـــد شـــان
تمـــرد الـــبعض وبعـــض أولا ... وبعضـــهم شـــقى وبعـــض جهـــلا
لقـــد خـــاب مجـــذوب صـــحا وتمـــردا ... ولم يحسن الطاعات مـــال عـــن الهـــدى
فمـــن بلـــغ المطلـــوب فليســـع شـــاكرا ... وإلا فجزم الـــروح نهـــج أولى الـــردى
علـــيكم بـــآداب الســـلوك هنئـــتم ... فلا تحسبو دهرا بـــأن تتركـــوا ســـدى
ويحســـن تقليـــل الكـــلام لتقتلـــوا ... نفوســـا بتقليـــل المنـــام تســـهدا
علـــيكم بـــالنفوس إذا هتـــديتم ... فمـــا ضـــل المرشـــد ذو الضـــلال
ومهمـــا قيـــل أنـــتم في ضـــلال ... كفـــى علـــم المهـــيمن ذي الجـــلال
وإن تمـــرر بلغـــو كـــن كريمـــا ... فمـــا نقـــص الكـــلام أخـــا الكمـــال
صـــلاح أحبـــائي يلـــوح لمبصـــر ... بطـــه حبيـــب الله فـــوزا علـــى فـــوز
نفي عني الأشـــرار طـــه وســـاق لي ... رجال التقي والرشـــد والعلـــم والفـــوز
وجـــاز أحبـــائي وأنصـــار منـــهجي ... بنيـــل مـــراد مـــع كمـــال رضـــاء
ولا يبتلينـــا الله بـــالزيغ والهـــوى ... نعـــيش علـــى البيضـــا ليـــوم لقـــاء
فلـــم أرى في شـــرق الـــبلاد وغربهـــا ... نظـــيرا لأحبـــابي عمومـــا فلخـــخ
هكـــذا هكـــذا وإلا فـــلا لا ... طـــرق الجـــد لـــيس طـــرق الضـــلال

قال تعالى "﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية-٢١)

ومنهج مدرسة الشيخ إبراهيم إنياس في التربية الروحية والبدنية، منهج قويم وناصع البياض لايقبل الدنس ولا التلوث بمستنقعات الأهواء والعيـــوب. قـــال

تعـــــالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

الشيخ إبراهيم إنياس مسلم سني، معتز بإسلامه، وغيور عليه دافع ونافح عنه وجاهد في نصره ونشره، حق جهاده، وهو رضي الله عنه اتخذ جميع المســـلمين إخوانا له تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم الذي عليه ذمة الله علينا، فلا تخفروا الله في ذمتـــه**]. هل وجدت نعمة جُلَّى مثل الإسلام؟ هل من أساس قوى مثله؟ هل هناك نسب أرقى وأنبل قدرا مثل الإسلام؟ قال تعـــالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة].

إختلاف الفهم في الدين عند الشيخ إبراهيم إنياس ليس مبررا للتنافر بين المسلمين، أو التباغض والتراشق بألفاظ قاصية، مولدة للفتن، مالا يمت بالإسلام بصلة. قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

يقول رضي الله عنه:أنا لا أتذكر أنني تجاني إلا إذا أخذت الســـبحة لأداء ورد الصباح أو المساء أو الوظيفة، ما يشير إلى أن التجانية لاتَخلُـــقُ في نفـــس التجاني العنصرية أو الطائفية، وغير ذلك مما يؤدي إلى التنازع بين المســـلمين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**المسلم أخ المسلم لايظلمه ولا يحقره التقوى هاهنا وأشار صلى الله عليه وسلم إلى صدره، كل المسلم على المسلم حـــرام دمـــه**

وماله وعرضه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم]. حديث صحيح. قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:[**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض]**، حديث صحيح. ما يشير إلى أن المسلمين أمة واحدة.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روي عن عليٌّ كرم الله وجهه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [**المسلمون تتكافأ دمائهم يسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد واحدة على من سواهم، ألا، لايقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده]** رواه أبو داوود.

ولقد تعامل الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه مع جميع مسلمي العالم بغض النظر عن إختلافهم معه في المذاهب والعقائد والطوائف، لأن كل تلكم الإختلافات لم تكن إلاَّ في الفروع. حتى الآن لم نجد منهم من اتخذ إلها سوى الله، أو رسولا غير محمد بن عبد الله القريشي الهاشمي، أو دستورا غير القرآن الكريم، أو منقلبا غير الكعبة المشرفة، أو نقص أو غَيَّرَ نظام أركان الإسلام، وكل ما سوى ذلك فهو فرع.

وكلمة الشهادة لم نجد لها بديلا من واحد منهم. وظلت الأحاديث النبوية هي المرجع الثاني لجميع المسلمين. وأعداء الإسلام لايفرقون بين فلان وعلان وجهاز هضمهم يطحن الجميع إن تمكن من القيام بذلك. الكفر ملة واحدة ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة-٢١٧].

يقول أقدم طالب وأسبق مريد صحب الشيخ إبراهيم إنياس في قيد حياته، وأول حبيب له، وأوفى خادم، وأوفر الناس حظا من فيضه الفياض صهره

وتلميذه وأمينه الخاص، من رباه الشيخ من البداية إلى القمة، السيد عليٌّ سيس، جزاه الله خيرا. يوم أن توفى الشيخ رضي الله عنه، قبل أن يصلى عليه بعد وفاته طلب منه أن يذكر ما يشهد للشيخ رضي الله عنه، قال: علمي به أنه مسلم. يا لها من شهادة قيمة! شهادة لاتثبت غيرها إلا بها. وما كره رضي الله عنه أن يصلي خلف كل مسلم، في الحضر والسفر، إذعانا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:[**صلوا خلف من قال لاإله إلا الله**]، حديث رواه الدار قطني، من رواية عثمان بن عبد الله العثماني، عن مالك عن نافع، عن ابن عمر. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**صلوا خلف كل بر وفاجر**". رواه أبو داوود.

موقف الشيخ إبراهيم إنياس في الإختلاط بين الرجال والنساء

لولا همة السادة الصوفية في جمهورية السنغال لَقَلَّبَهَا الإستعمار الفرنسي الغاشم إلى فرنسا الصغرى، دار الفاسقين كسالى. لأن الإستعمار لم يحتل السنغال بقصد التخلى عنها أوالخروج منها لأن كل إستعداداته تشير إلى ذلك. ولولا وِقْفَةٌ فولاذية قام رجال السياسة ورجال الدين بها ضد ذلك ، لما حصل البلاد على الإستقلال. وللشيخ إبراهيم إنياس اليد الطولي في استقلال السنغال وغيرها من الدول الإفريقية. ومن خطابات الشيخ في مسيرة الكفاح للحصول على الإستقلال للدول الإفريقية عامة وبلد السنغال خاصة... يقول رضي الله عنه في إحداها: ولكل وطن قوم، ولكل قوم وطن، ونحن قوم إفريقيا، فإفريقيا لنا، ونحن لإفريقيا، وكل وطن سوف يحكم فيه أبناؤه، إن عاجلا أو آجلا، مهما تآمر أعداء الجنسية الإفريقية، فهذا القرن العشرون تدفق فيه تيار الحرية والوطنية، ولايقف أمام هذا التيار شيء. فإذا البلاد كلها سوف يتولى حكمها أهلها، سواء كانو مسلمين أو مسيحيين أو شيوعيين، والشعوب أقوى من الحكومات، فعلى كل حال حكم الأجانب في بلاد الأجانب مضى إلى غير رجعة، فإفريقيا للإفريقيين. لاحظ رجال الدين الإسلامي في السنغال فرأو أن المستعمر الفرنسي تغلب على واقع الأمر في البلاد، وتمت سيطرته على الشعب، واندمج مع المجتمع، ماهيأ له جوا يمكنه من السيطرة على ميولات المرأة والشباب. فبادر رجال الدين إلى السعي للسيطرة على قلوب الشعب وأحكموا الأخذ بحذافيره، ما جعل الطرق الصوفية منتشرة في جميع أنحاء البلاد ويمكننا القول بأن ثمانين في المائة من سكان البلد متمسكون بالطرق الصوفية، إلا أن

الشيخ إبراهيم إنياس وجد أن نفسه لاترضي بما لايرضى به الله من الإختلاط بين الرجال والنساء- علما بأن الإسلام لم يحرم الإختلاط بين الرجال ومحارمهن- ولقد منع الإسلام الإختلاط بين الرجال والأجانب من النساء. ومحل الشك عند من لا إلمام له بمقاصد الشرع النبيلة ومبادئه القوية هوما إذا كان الإختلاط باسم المشيخة أو التعليم أو أية مناسبة دينية أو غيرها من المناسبات والحفلات أو في الأماكن والمرافق العامة.

فالإسلام لايسمح بإختلاط النساء مع الأجانب بأي حال من الأحوال باتفاق العلماء. لافرق في ذالك بين الاختلاط في الذكر أو أية علاقة دينية، وحفلاته الإسلامية أو في المستشفيات أو الحافلات. حتى في طواف الكعبة لو كانت هناك إمكانية لفصل الرجال عن النساء لكان أولى. كون الناس في الطواف لايمنع بعضهم من لمس النساء والتلذذ بالالتصاق بهن في الزحمة. كم مرة قبض أمن الحرم المكي عبر عدسات الكميرا على الذين يعبثون بالنساء خلال الطواف، ويلمسونهن بقصد التلذذ بذلك.

قال تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف]، وروي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**]، رواه البخاري ومسلم. فالسلامة أوالوقاية من الوقوع في المهالك مشتملتان على التباعد بين أنفاس الفريقين، الرجال والنساء.

قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور-٣٠-٣١].

ويقول فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه:-

أخوف ما يخاف كل عالم أمر النساء هن هلاك العالم
وما أذنت للنسا في خلوة ساعة زورهن وقت الجلوة
سوى الخلائل أو المحارم أو ماملكت بعد ذي من خادم

لذا... الإختلاط ممنوع بين النساء والرجال الأجانب. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**إن الدنيا حلوة خضرة إن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**]، رواه مسلم.

يشجع الشيخ البنات على المنافسة في نيل العلوم والعلو، ولكن ليس بالإختلاط مع الرجال، لأن ذلك يفتح للشيطان أبواب الفتن. من يحاول الدخول من الباب المغلق فكيف إذا وجده مفتوحا.

يقول رضي الله عنه:-

أبناء إخوتي وأهل المدرسة من ذي المدارس أروني قبسة
يا أيها البنات زاحمن على نيل العلى أما بأبدان فلا
أحبتي فلترسلوا الولدانا كي يقرأو وقت الصبا القرآنا

ما يحدث اليوم من الإختلاط بين النساء والرجال بدعوى الإحتفلات الدينية أو المجالس العلمية، أو أية مناسبة دينية فالشرع لايجيز ذلك بل لابد من الفصل بين الجنسين الذكر والأنثى إتقاءا للفتنة، هذا هو ما عليه الشيخ إبراهيم إنياس،

إلى أن توفي رضي الله عنه. قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء].

قال أمير الشعراء أحمد الشوقي:-

نظـــــرة فابتســـــامة فســـــلام فكـــــلام فموعـــــد فلقـــــاء

ومـــا الحـــب إلا نظـــرة إثـــر نظـــرة تزيـــد نمـــوا إن تـــزده لجاجـــا

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [**يا علي لاتتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية**]. قال تعـــالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

قال شاعر:

كـــل الحـــوادث مَبْـــدَاهَا مـــن النظـــر ومعظم النـــار مـــن مستصـــغر الشـــرر

إن ما يقمن به بعض النسوة من عقد حلقات الذكر في الميادين العامة، رافعات أصواتهن ومحركات أجسادهن ومبرزات مفاتنهن والتفاف الرجال حولهن ينظرون إليهن، كل هذا لايتفق مع منهج مدرسة الشيخ إبراهيم إنياس. الإسلام لايمنع النساء من الذكر وإن كان جمعا لقوله تعالى﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقـــال أيضـــا ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمـــران]

كل ذلك شامل للذكور والأناث، ولكن لابد أن يكون بهيئة معلومة، وفي مكان مناسب لشرف المرأة في منظور الإسلام.

أيها الإخوة فلنكن واقعيين! إنه ليس الذكر كالأنثى. يقول الشيخ رضي الله عنه:-

أحضض أصحابي دواما على الذكر ... وفي مذهبي لاتذكر الخرد بالهجر
لكنما النساء أن أقمنا ... وسط الخباء الدهر لم يلمنا
وقرن في بيوتكن نزلا ... في عصره الطيب قول من علا
فسودة بقت إلى الموت فما ... حجت ولاغزت وأبدت حكما
ما كان للإله دام واتصل ... وما لغير الله جير ينفصل
عند الممات يعرف الجميل ... ويعرف الحقير والجليل
والسير في منهجنا التجاني ... مداره بالقلب لا الأبدان

الشيخ إبراهيم إنياس رجل السلام

تتطلب الدعوة إلى الحكمة من الداعية، لينال بها قسطا كبيرا من النجاح في مهمته الدعوية. ومن الحكمة أن لايكون الداعية سببا لزوال الأمن والسلام من المدعو، لأن زوال الأمن من البشر يشير إلى استئصال كيانه وطمس مواهبه. قال تعالى﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾[البقرة:١٩١].

عاش الشيخ إبراهيم إنياس طوال حياته بعيداً عن الفتنة وإثارتها عاملا بقوله تعالى﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال] إختار الصبر والسفح والعفو في معاملاته مع الجميع، بدلا من الإنتقام والبطش والحقد. مرت به رضي الله عنه أشياء عديدة، والتي لو لم يكتبها بخط يمينه المباركة، لا يصدق أحد بوقوعها أوحدوثها، ناهيك عن مكان حدوثها، والأشخاص الذين فعلوها لست هنا بصدد البيان أو حلحلة تلك الأمور المريرة والتي حدثت له رضي الله عنه في تلكم الأعوام الغابرة. تغلب عليها لما يحظى به رضي الله عنه من الخلق الحسن، تأسيا بحبيبه عليه الصلاة والسلام. دائما يتغاضى الشيخ عن كل ما يسد مجرى المياه عن السيلان أو ما يعرقل الأمور عن المسير، ممتثلا بالمثل القائل: وأخو الحلم دأبه الإغضاء. يقول رضي الله عنه:-

كم خليل قد جفاني ... لغرامي ورماني
رب صنو كنت أرجو ... وصله ثم جفاني
وهاني ولحاني ... وشجاني ونفاني
ليس لي اليوم خليل ... غير ما منك أتاني
غير هذا قد قلاني ... عاذلا لي كل آن
مزقوا جلدي جهارا ... أخرجوني من مكاني
دون ذنب غير أني ... حب طه في جناني

كل من قرأ هذه الأبيات يدرك تماما أن أمورا مريرة حـــدثت في جنابـــه الموقر، دون جرم أو ذنب إقترفه، غير أنه يظهر حبه للرســـول عليـــه الصـــلاة والسلام. وتبدو عليه ملامح المواهب الإلهية ربما إذا إشتد عليه الخنـــاق وعلـــى أتباعه يُشْغِلُهُ ذلك وَيُشْغِلُ المواهب عن الظهور، على حد زعم المنكـــرين لـــه. والتي لو ظهرت أي المواهب لايطابق ذلك منطق الحســـد مـــنهم، والأنانيـــة، ولايعلم المناوؤن أن ذلك لايزيد الشيخ إلا ثقة برب العالمين، تمشيا مـــع قولـــه رضي الله عنه:-

أجـــرى الأذى مـــنهم لـــئلا تركنـــا إلـــيهم بـــل للإلـــه فاركنـــا

ليس للكراهية أو البغض أو الضغينة رواج عند الشيخ إبراهيم إنياس فمحبته للخير وحب نشره للناس جعله دائما يفكر في قول الرسول صـــلى الله عليـــه وسلم: [**كل مولود يولد على الفطرة**] وكان يقول: لي نظـــرة إلى ابـــن آدم يستحيل معها البغض. حكى الشيخ إبراهيم محمود جُوب أن الشيخ رضـــي الله عنه نُعِيَ إليه رجل من المنكرين المتشددين في إذايته- هو وأحبابه- فقال: الحمد لله. فسكت جميع الحاضرين ومن بينهم الشيخ أبوبكر المثنى (سرنبي) و لم يتكلم أحد على ما حدث، وبعد هنيهة، قال لهم: ألا تسألونني عن فِيمَ حمـــدت الله؟ قالوا يا شيخنا أو يحتاج هذا إلى سؤال؟ السبب واضح ومعلوم، هذا الرجل هو فلان معروف لدى الجميع، آذاك وآذى أحبابك، وألحق بهم أنواعا من النكايات والمكايد والظلم والقذف والتضييق، مالا يعد ولا يحصى. واليوم كفاك الله شره، وأخذه أخذ عزيز مقتدر. فقال لهم الشيخ ليس الأمر كمـــا تتصـــورون، إنمـــا راجعت قلبي وضميري عند ما نُعِيَ بهذا الرجل، فوجدت نفسي رغم كل مـــا

ذكرتم- لا أضمر له أية شماتة أو أي حقد، وما إلى ذلك من البغض أو الكراهية. وعلى هذا حمدت الله.

ويعلم الشيخ رضي الله عنه تماما أن جزاء السيئة سيئة مثلها، ولكنه إختار مطاوعة أن يعمل بقوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

علما بأن الله لا يحب الظالمين. ثم إنه، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى]. ولكنه رضي الله عنه إختار طواعية أن يتمثل بقوله تعالى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤]. الأَمنُ ركن أساسي في رُقِيٍّ وتقدم حياة البشر. من فقد الأمن لايعمل جاحدا إلا في طلب عودته إليه. لذا نجد أن الدنيا لم تجد علاجا ناجعا إلا في التعاليم الإسلامية، لما أصابها من ظهور الحروب الدامية، وسفك الدماء بأتفه الأسباب، ما أتاح للقبلية والعنصرية والتنازع فرصة التوسع في جميع أنحاء العالم.

يرى فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس أن رسول هذه الأمة عليه الصلاة والسلام لم يقاتل أحدا باسم الدعوة إلى الإسلام، بل دافع عن نفسه ودينه، وأتباعه. قال تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]. ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

ومن تابع كل الغزواة التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أنه دافع بها عن الدين والنفس والمال بقوله رضي الله عنه:-

لأن النبي الهاشمي الدهر ما غزى بلى صد عدوانا ورد ضلالة

درب الشيخ إبراهيم إنياس أحبابه على التعايش في أجواء آمنة وسليمة، والتغلب على حوادث الزمان بالصبر على إذاية الأعداء والمناوئين، والكف عن إلحاق الإذى بأي مخلوق، لاسيما المسلم، وإذا كان مسلما تجانيا، فالأمر أولى وآكد. لأن مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "قل لأصحابك يكفوا عن إذايتي. فقال الشيخ: يا رسول الله كيف تصلكم إذايتهم، قال إذاية بعضهم لبعض تصلني.[1] هكذا عاش الصحابة والصالحون، يظهرون المحبة ويمدون يد العون للجميع، ويتحملون أذى القريب والبعيد والأبعد.

قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال أيضا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم].

---

[1] روي ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب: ليس يوم إلا وتعرض على النبي أعمال أمته قدوة وعشيا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم.

وروي جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسام: "حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض على اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم. حديث صحيح. رواه البزار (٥/٣٠٨. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ورواه الإمام السيوطي في الخصائص ٢٨١/٢. وغيره. قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾

ويقول فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس في قصيدة كتبها ونشرها بين أحبابه، منذ بداية ظهور الفيضة التجانية على يديه ليبرهن أنه رجل السلام. وبدون التغاضي أو التسامح لا يمكن أن ينمو السلام. وهي قوله رضي الله عنه:-

ولـــــيكم أوليـــــاء الله إذ مكـــــروا مكرا هو الله مــولى الخلــق فاصــطبروا
إنـــا نلـــوذ بـــه إني أحصـــنكم بـــه وبالـــذكر والقـــرآن إذ مكـــروا

هكذا ظل الشيخ يتوسل بالله وباسمائه الحسنى لأحبابه، ومعيذا لهم بالله من شر حاسد إذا حسد وليثبت الله أقدامهم، وينصرهم على المنكـــرين، ويقـــيهم مكائد الأعداء والمبغضين، إلى أن قال:-

الله الله يـــا قـــومي فـــلا أبـــدا تـــوقظ بكـــم فتنـــة بالصـــبر فانتصـــروا
لا تضـــربوا أبـــدا لا تشـــتموا أبـــدا وإن ضـــربتم فصـــبرا إنكـــم صـــبر
إذا نظـــرتم إلى مـــن قـــبلكم مـــن ثقـــ ـــاة قد عفو صـــفحوا إذ غيرهـــم مكـــروا
هـــديتم لصـــراط النصـــر فاصطـــبروا فالنصـــر في الصـــبر والأعلـــون مـــن غفـــروا
إذا منعنـــا مساجـــد الإلـــه فمـــا هـــذا بأولـــه والقـــوم قـــد صـــبروا
نحـــذوا كحـــذ والـــذين قبلـــنا فلنـــا بالمصطـــفى إســـوة والحـــق ينتصـــر
نعـــم قـــد أخـــرج هاديـــنا وأســـرته وبعـــد صـــدوه حـــين جـــاء يعتـــمر
أجل وقـــد ضـــر ذا ديـــن النـــبي كـــذا فـــلا يشـــوشكم أفعـــال مـــن بطـــروا
لله جنـــد قـــوى غالـــب فنـــرى فـــوق العـــدى أبـــدا بنصـــره فـــذروا
أستـــودع الله أحـــبابي يحـــوطهم بحفـــظه حيثمـــا كـــانوا بـــد ووقـــروا
أوصـــيكم معاشـــر الأقـــران بالصـــبر والصـــفح عـــن الإخـــوان
بالقيـــل والقـــال فـــلا تســـتغلوا وبصـــلاة الفـــاتح القلـــب اشـــغلوا
ولتعلمـــوا بـــأن مـــا يشـــاء إلهنـــا يكـــون لا تشـــاوا
علـــيكم بـــالنفوس إذا هتـــديتم فمـــا ضـــر المرشـــد ذو الضـــلال
تلامـــذة الشـــيخ التجـــاني فاصـــبروا على كيـــد أعـــداء مـــدى الـــدهر تنصـــروا
فمـــا ضـــركم جهـــل الجهـــول وقولـــه ولـــو بـــدعوا أو فســـقوا ثم كفـــروا
فـــلا يحـــزنن الـــدهر قلبـــا مقـــالهم ولـــو أو عـــدوا فـــالأمر لله فاصـــبروا
ســـواه ضـــعيف عـــاجز غـــير قـــادر ولـــو جـــل قـــدرا فـــا الإلـــه المقـــدر

وعاقبة محمودة لا ينيلها سوى عمل التقوى خفو الله واصبروا
فعروة رب العرش وثقي وإننا بها متمسكون فزتم ألا اشكروا
أراكم ملوك الأرض لاشك فازهدوا فدنيا كأحلام المنام تبصروا
عليكم بتهذيب النفوس وأعرضوا عن اللغو حتم أن يكون المقدر
لنا أسوة حسناء في خير مرسل عليه صلاة الله ما دام ينصر

هذا هو المنهج الذي كان الشيخ إبراهيم إنياس يسير عليه في تربية أحبابه، ما جلب له قلوب الملايين من الناس في شتى أصقاع المعمورة، وبمختلف فئاتهم وشرائحهم، واكتسب رضي الله عنه شخصيات غير عادية، فأحبه الحاكم والمحكوم، الغني والفقير، الملك والصعلوك، الكبير والصغير، الذكر والأنثى. ولايبعد أن يكون تطبيق هذا المنهج السلمي والذي يحتاج إليه كل كائن حي، على وجه البسيطة من الأسباب التي جعلت رؤساء الدول يتوافدون إليه، منهم رؤساء الدول الإفريقية والآسوية شرقها وغربها، ناهيك أمراؤ وسلاطين وملوك دول الخليج. كل الناس يحبون السلام، وكيف لا يمدون أيديهم إلى رجل السلام، كي يتوفر للناس السلام، رضي الله عنك يا رجل السلام، وجزاك الله عن أمة الإسلام. لو كان كل الدعاة يسيرون على منهج السلام لظلت سوق سماسرة الأسلحة كاسدة، ولبات أعداء الإنسانية والسلام في ضيق وكمد، ولعاش الناس في الدنيا في أمن وهدوء البال والوقار. قال تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

يقول رضي الله عنه- متغاضيا عن الحساد والمناوئين والحاقدين:-

حب طه في جناني لست أدري من قلاني

لذا نجد ملف أحبابه ناصع البياض في جميع أنحاء العالم. وكل من يقاوم الحكومات أو ينازع الأمر أهله أو يثير نقاع الفتن أو الخصومات بين الناس فليس من أتباع الشيخ إبراهيم إنياس لأنه كان يقول:-

أنا وأحبابي رجال سالم يحشرنا في زمرة ابن سالم

نص الخطبة التي كان الإمام الشيخ محمد الناصر آدم يقرئها على المنبر في شهر رجب

لذكرى ميلاد فضيلة الشيخ إبرهيم إنياس في كل عام

بمسجد الشيخ أحمد التجاني الجامع بمدينة كانو نيجيريا

موضوع الخطبة:

ذكرى ميلاد فضيلة الشيخ إبرهيم إنياس رضي الله عنه.

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز، ودستور عباده المؤمنين ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، والصلاة والسلام على من أرسل إلى الناس كافة ورحمة للعالمين، القائل: [**إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها بعد كل مائة عام**].[1] وعلى آله الزاهدين وأصحابه المخلصين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون ! أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، واعلموا أنه كان ولا يزال لله عباد رضي عنهم ورضوا عنه، وكلما لاح هلال شهر رجب يذكرنا بعدة نعم أسبغها الله علينا وآلائه التي وهبها لنا وما أكثرها. ومن تلكم النعم أن أطلع علينا قرص شمس المعرفة بالله من سوى سد ترع مياه المعرفة بالله فإذا مياه المعرفة بالله تتدفق

---

[1] الخطيب البغدادي في التاريخ (ج-٢/٦١) حاكم في صحيحه (ج-٤/٥٢٢) أبو داوود (٤٢٩١)

في أنابيب السالكين، وأنهارها تتموج في شلالات المتعطشين، وزلالها يتسرب في شرايين الحرصين فأصبح صهاريج المعرفة بالله تتنقل من هنا إلى هناك لتشعيل فوانيس النور والضياء وتشغيل لمبات الذكاء والصفاء. ذلكم الذي كشف عن الكون حجابا ورفع عنهم ستارا، وجعلوا يرون الحق عيانا.

قال فضيلته منوها إلى ذالك المقام ومشيرا إلى ذلكم المرام:

طويت وسهلت الطريق إلى الحق لكل مريد الوصل للحق بالحق

ويقول الشيخ عبد الواحد ابن عاشر :-

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

ولقد بزغ بميلاده رضي الله عنه هلال السعادة، وقوى بذلك أنوار الهداية. ففي مثل هذه الأيام ولد الداعيةُ العالمي الإسلامي الكبير، فضيلة الشيخ إبراهيم إبن الحاج عبد الله ابن الشيخ محمد أنياس وينتهي نسبه الشريف إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع، فاتح القيروان.

هنيئا لإبراهيم لاح هلاله هلال بدا للناظرين جماله
هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحل

وعلى وجه التحديد، ولد هذا المفكر الإسلامي الكبير في منتصف شهر رجب بعد صلاة العصر. في دار والده فضيلة الشيخ الحاج عبد الله إنياس. ذالكم العلامة الذي ظل يفسر القرآن الكريم لطلابه المتخصصين في علوم القرآن أكثر من مائة ختمة. ولد فضيلة الشيخ إبراهيم في قرية طبيب إنيسين بمنطقة سين سالم بمحافظة **(نيورو)** جمهورية السنغال عام (**١٣٢٠هجرية**) الموافق(**١٩٠٠م**).

ومما هوجدير بالإشارة إليه، أن الباحثين لاحظو أنه ليس كل ولي يولد في شهر رجب. لذا إشتهر من أنجبوا من الصالحين في هذا الشهر بالرجبيين. ولقد أثبت ألذين عايشوا حياة أمه السيدة عائشة الفضلي المعروفة بـ**(مام جنك)** لم ترفع صوتها يوما

على زوجها الشيخ الحاج عبد الله، و لم تخالف أمره قط، و لم تفعل ما يغضبه أو يسؤه أو يغير خاطره أو خاطر إخوانه أو جيرانه، ودأبها معه فعل كل ما من شأنه أن يرضيه. هكذا ظلت حتى أتاها اليقين، ووافتها منيتها في عام (**١٣٥٦**) نعم، فمثلك يا عائشة من توفقين بإنجاب مثل هذا العلم الأشهر والبحر الأزخر من تلاطمت أمواجه وغزرت أمطاره وأينعت ثماره من محا ظلام الشك والتخمين بصريح التحقيق واليقين من جرد سيف العزم والاجتهاد في إحياء سنة خير العباد.

وقد تمكن من حفظ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع في السنة الثانية عشرة من عمره، ثم شرع في أخذ علوم الشريعة بمتعلقاتها، والعلوم اللغوية بمحتوياتها، وكل ذالك على يد والده. إلا أنه شتان ما بين العلوم النقلية واللدنية، وكان رضي الله عنه يقول: أبي قيده الورع وأنا أطلقني العلم.

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

ويقول أيضا : -

وأطوي لمن قد حبني كل مهمه إلى الحضرة العليا ولوكنت رامزا

الشيخ إبراهيم والد لما لايقل عن نيف وسبعين ولداً ما بين البنين والبنات، وناهيك بأسلوب تربيته لهم. أضرب لك مثلا ببعض أبنائه، كالشيخ الحاج عبد الله إبنه، والشيخ محمد النذير والسيدة رقية والشيخ محمد الأمين والسيدة مريم إنياس، والشيخ أحمد التجاني إنياس والخليفة العام، أطال الله حياته ومتعنا بوافر صحته، ومن لف لفهم من البنين والبنات. وكان رضي الله عنه مدرسا وقد أعطى لمهمة التدريس متطلباتها كاملة. لذا نجد أنه قد تخرج على يديه الفطاحلة من العلماء، أمثال السيد علي سيس والشيخ إبراهيم محمود جوب، ومابرح يدرس إلى أن إتسعت رقعات الدعوة إلى الله أمامه. وقد تخرج على يديه عدد كثير من العلماء في خلال قيامه بخدمة

التدريس. وأما في حقل الدعوة والإرشاد، حدث ولا حرج ولقدأحبه الله وأحبه من في الملإ الأعلى ثم وضع له القبول في الأرض. يقول رضي الله عنه :-

علـــوت البحـــار الزاخـــرات وإنـــني علوت القـــرى والمـــدن بلـــه الجبـــالا
أروم رضـــي البـــاري لنصـــرة دينـــه وأبـــــرز للجيـــــل الجديـــد مثـــالا

هذا مما يؤكد أنه ما من مطار دولي مشهور حين ذاك إلا وقـــد هبطـــت بـــه الطائرة، وقام هناك بمهمة الدعوة في تلك البلاد. وهو رضي الله عنه شيخ من شيوخ الطريقة التجانية، هو صاحب الفيضة التجانية والتي أخبر الشيخ التجاني رضي الله عنه بها.

وقد أخذ بيد عدد لا يستهان به من المريدين إلى الله، ومن أبرزهم الشيخ حسن دم، والشيخ عبد الله سلغ، وصاحب السمو أمير كانو الحاج عبد الله بايروا.

حلـــف الزمـــان ليـــأتين بمثلـــه كـــذبت يمينـــك يـــا زمـــان فكفـــر
يا ابـــن الكـــرام ألا تـــدنو فتبصـــر مـــا قـــد حـــدثوك فمـــا رآء كمـــن سمـــع

وهو رضي الله عنه:

قـــد نـــال غايـــة مـــا يـــروم المنتهـــي مـــن ربـــه ولـــه إجتهـــاد المبتـــدي

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، القائل وهو أصـــدق القـــائلين ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨]. أشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له الغني عن المكان والزمان والمخصص، خلق الخلق أجمعين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صادق الوعد الأمين، وأصلي وأســـلم علـــى قـــدوة المحسنين، سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الـــذاكرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعـــد: فيا أيها المسلمون! أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والعلانية. ثم إننا أيها الاخوة في صدد البيان عن ذكرى ميلاد صاحب الفضيلة الشيخ الحاج إبراهيم إنياس من جمع بين الشريعة والحقيقة، شيخ بريء عن كل ما يخالف الكتاب والسنة، أو ما لا يتمشى مع الشريعة الإسلامية، كما سيتضح ذالك جليا في رسالة بعث بها إلى كل من ينتسب إليه. قال رضي الله عنه: أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات، فاشهد الله وأشهدكم أني بريء منه، بريء منه، اللهم إني بريء مما صنع هؤلاء ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

هذا، ثم إن القارة الإفريقية لم تحظ بشخصية بارزة ذات طابع عالمي في القـــرن العشرين مثل الشيخ إبراهيم، بل يعتبر رضي الله عنه أعظم شخصية إعترف بها العالم. لذا نجد أنه إحتل عدة مواقف حساسة في العالم الإسلامي والتي لم يحتلها قبله إفريقي وحتى اليوم لم نسمع بواحد من الإفريقيين إحتلها، وعلى سبيل المثال نجد أنه رضـــي الله عنه كان نائبا لرئيس رابطة العالم الإسلامي، وهـــو العضـــو الثـــاني في مجلـــس تأسيسها، وهو عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وقد تصدر لرئاسة هـــذا المجلس لمؤتمره المنعقد في **(كراتشي)** بدولة فاكستان، وذلك في عام (١٩٦٤م) .

ولعل كان رضي الله عنه يشير إلى ذالك حيث يقول :

كرتشي بها خلفت أهل مودتي هم نصروا دين النبي فعـــالا

ففي عام **(١٩٦١م)** قدمه قادة الجامع الأزهر بالقاهرة وصـــلى بالنـــاس إمامـــا وخطيبا بصلاة الجمعة بالجامع، كما ذكرت ذلك مجلة آخر الساعة المصرية في عددها الصادر **(٢١٢٨)** ونشرت مجلة السيرة في القاهرة أيضا مقالا بعنوان: (الشيخ إبـــراهيم في ذمة الله) وواصلت المجلة تقول: كان خطيبا بارعا ومؤلفا قديرا وواعظا محنكـــا

ومعلما سهل المنهج في التدريس، ومتفردا ببعض مواهبه وفضائل الله تعالى عليه من الإلهام والديانات والعلوم والمعارف والحكم والفهوم وخفايا الأمور وجواهر الأسرار الإلهية وكان رفيع المكان والمكانة عند الله وعند عارفيه من عباد الله الصالحين.

إن دل هذا على شيء وعلى رأس ما يدل عليه أن الشيخ إبراهيم داعية عالمي كبير، وقد لبى كل متطلبات الدعوة مع ما أوتي من فكر ثاقب وحس مرهف ونفس تواقة إلى الإصلاح، لقد بذل كل ما في وسعه لتحقيق هدفه في الدعوة كما ورد في جريدة (البلاد الصادرة في المملكة العربية السعودية) وهدف دعوته كما قال رضي الله عنه : هو الجد والإجتهاد في توعية المسلمين ونصرهم وإرشادهم بمختلف الوسائل حتى يستمر سيرهم إلى الله وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم. لقد توفي رضى الله عنه بمستشفى في (لندن) يوم السبت بتاريخ (١٣٩٥/٧/١٥) هجرية، الموافق (١٩٧٥/٥/٢٦) إفرنجي. عن عمر يناهز خمسة وسبعين عاما(٧٥) ودفن في مدينة كولخ بعد ما أم الصلاة عليه سيدي عليٌّ سيس.

ثم إنه لجدير بالتنويه عنه أن الطرق الصوفية التي نشأت في القرن الثاني الهجري، فهي من المستجدات التي لا ينكر عليها الإسلام، بل يختمها بطابع الرضى والقبول، إذ أنها من ناحية الحدوث هي من باب ما في الأمر، ليست من ضمن ما ورد في الحديث ما ليس منه، (**فيرد**) فهي كالتوحيد، والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف والعروض في صوبها الجديد، وغير ذالك مما لم يعرف له إسم في صدر الإسلام الأول بل عرف تطبيقه، وإذا تعلقت بطرق الصوفية البدعة فقد تعلقت كذالك بهذه الفنون هي وغيرها. ثم إن الزوايا التي يجتمع فيها أصحاب الطرق الصوفية قد كونت ثقافات وحضارات لا يسع للتاريخ أن ينساها. لهذا نجد أن الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه استطاع بفضل الطريقة التجانية أن يؤسس دولة إسلامية بالسنغال ومالي، وكذالك أيضا يبدولنا جليا أن الشيخ عثمان بن فوديو إستطاع بفضل الطريقة

القادرية أن يكون جيشا إسلاميا جرارا ليحارب علماء السوء والطغات والجبابرة من ملوك السودان، حتى أسس ما يعرف اليوم بإسم (**جمهورية نيجيريا**) وكذلك أيضا الاستعمار الإنجليزي الغاشم لا ينسى مقاومة الشيخ محمد المهدي في السودان، الذي كون جيشه العرمرم الذي لا قبل لهم به من أتباعه، فأصبح يسقط من الاستعمار لواءا بعد لواء. وكما لا يتأتى لتاريخ الإستعمار الإيطالي والفرنسي أن ينسى كل منهما مقاومة أتباع الطريقة السنوسية في ليبيا، تحت قيادة الصوفي المشهور عمر المختار.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ألا صلوا وسلموا على إمام المجاهدين, وقائد الغر المحجلين, سيدنا محمد وعلى آله وصحبه العاملين. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله العاملين، وأصحابه المخلصين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض اللهم عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وعن سائر الصحابة أجمعين.

الحمد لله

ملحـــوظـــة

طالما أن الشيخ رضي الله عنه خلَّف وراءه كوكبة من الرجال الأكفاء يحملون مشعل الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم، بعد أن تحمل جميع الأعباء الناجمة عن التصدي للمكائد والدسائس التي يحوكها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، أقترح لو أننا أنشأنا رابطة للتعارف بين أحباب الشيخ في العالم، تتويجا للجهد الذي يقوم به مجمع أحباب الشيخ في نيجيريا.

لاحظت أن أحباب الشيخ في نيجيريا عدد لايستهان به وقوة لا قبل لأعداء الإسلام بها، لو كانت لهذه المجموعة رابطة قوية ونظام محكم يجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا. لكانوا أروع مثال لكفاح الشيخ إبراهيم في نشر الإسلام والدفاع عنه في نيجيريا ومن حسن الحظ أن الطريقة التجانية شيخها واحد وشعارها. قول الشيخ رضي الله عنه:-

معظـــــــما لأهلـــــــه جميعـــــا لاســـــيما الخاصـــــة كـــــن مطيعـــــا

والمريد الصادق الفقيه لايفرق بين مقدم ومقدم آخر، أو بين خليفة وغيره من الخلفاء، وإحترام الأخوة في الطريقة التجانية أغلى من الذهب والفضة أوالدنيا وما فيها. كلنا يعلم ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ أحمد التجاني في حق الأخوة، (تصلني إذاية بعضهم لبعض) يكفينا في ذلك إشارة إلى إهتمام الطريقة التجانية بالأخوة في الإسلام. وقد علمنا أن اليد الواحدة لاتصفق ولو كانت يمينا، ويسرني أن أقول هنا حان لنا الوقت لنكوِّن مجلسًا رحبا يتسع لهذا الكم الهائل من أحباب الشيخ في جميع أنحاء نيجيريا، للتعارف وتبادل الآراء.

وفعلا ما زالت المادة تتغلغل في ظروف حياة البشر يوما بعد يوم. لذا أقترح أن نفكر في خطة تكفل لنا بجمع ونيل مبالغ تسهل لنا إجراء سير بعض الأمور

التي تمت بالدعوة بصلة. وبما أن كل ذي مال هو أولى بمعرفة أين يريد أن ينفق ماله بفكره لابفكر غيره. والمال لايمتثل أمر غير صاحبه. أرى أنه حان لنا الوقت لنؤسس صندوقًا نجمع فيه مبالغ باسم أحباب الشيخ ومريديه، لأن كل واحد منا له رئ ووجهة نظر في بعض الأشياء التي تتعلق بهذه الحضرة المكرمة، حضرة الشيخ رضي الله عنه. هذه المبالغ التي نقوم بجمعها تكون بمثابة الظُّفْرِ للإنسان إذا شعر بالحكة. تقول العرب ما حك جسدك مثل ظفرك وتول بنفسك جميع شؤنك.

أقترح أن يفكر الخليفة العام لفضيلة الشيخ إبراهيم إنياس في مدينة كولخ في بدإ إصدار القرار فيما يخص قضية الخلافة في ديار وزوايا كبار الشيوخ في نيجيريا وغيرها من البلدان، لأن الأمر عندنا حالا في نيجيريا قد بلغ مبلغا لاتقل درجته بأن نقول: قد بلغ السيل الزبا، بدأ أمر الخلافة في بعض ديار الشيوخ وزواياهم، يكون مصدرا للشقاق والخلاف والتنازع. لقد وصل الأمر في بعض الأماكن إلى حد مخجل ومفزع. صدقوني أن القضية قد بلغت أبعادا مروعة، لذا أقترح أن يداركنا لفت نظر الخليفة العام لرتق وترميم ما وهي من بنيان هذ الصرح ويتفضل الخليفـــة أيضـــا بضماد الجروح والكدوم التي أصابت أحباب الشيخ من معركة الخلافة الدامية. من هنا وهناك، كما نرجوا من الخليفة العام أن يعد الوقاية لما يستقبل من هذ الداء العضال. لأن قضية الخلافة في بعض ديار شيوخنا اليوم إن لم تؤخذ مأخذ الجد أخشى أن تحدث لمسيرنا ما لايحمد عقباه، لأن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقا. ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود].

أقترح أن يكتب للإمام الشيخ التجاني سيس باسم جمعية مجمع أحباب الشيخ رسالةَ شكْرٍ وتقديرٍ لما يقوم به من جمع وطبع ونشر كتب الشيخ رضي الله عنه، باسم كل من حضر إحتفال مولد الشيخ في ولاية جِغَاوَا، وباسم أحباب الشيخ أينما كانوا وأينما ثوى بهم المقام في العالم، لأن الخدمة التي يقوم بها تعم الجميع. جزاه الله خيرًا وزاده توفيقًا. كما أود أن تكتب مثل هذه الرسالة إلى فضيلة الشيخ إسحاق رابع الخليفة لخدمته لأبناء الشيخ وحفدة الشيخ التجاني رضي الله عنه في فَاسِ. كما أود أن تكتب رسالة أخرى لحاكم ولاية جِغَاوَا (**الحاج سُلِي لاَمِيطُو**) لما قام به من الإنفاق في إجراء سير هذا الحفل السنوي.

إننا معشر أحباب الشيخ في حاجة ماسة إلى الإعتناء بكتب الشيخ تعلما وتدريسًا لما تحتويه هذه الكتب من العلوم المفيدة ونادرة الوجود في غيرها. ولماذا لانرى (**تبصرة الأنام**) تدرس في معاهدنا بكثرة، كما نرى كتاب تعليم المتعلم في كل معهد ومدرسة. ولما لا نجعل (**نور البصر**) في حفلات مولد النبي صلى الله عليه وسلم كمقرر لهذه المناسبة ونقوم بتدريس (**كاشف الألباس**) وغيرها من كتب الشيخ يوم الخميس أو الجمعة لنجدد للناس تلكم العلوم الغالية أو في يوم السبت أو الأحد أو في غيرهما من الأيام.

أجدد التحية للسادة القراء وأقترح مرة ثانية لمجمع الأحباب أن تتيح الفرصة لينضم إلى عضويتها كل أحباب الشيخ في نيجيريا بحيث تكون فروعها حية ونشطة في كل ولاية وحكومات محلية. أنظروا إلى الجمعيات في نيجيريا وإلى غيرها من الدول في العالم، هكذا النظام. فالنظام هو ما كان للناس فلا بد أن يشترك فيه الناس ليسهل حمله وتعم فائدته.

لقد قال شاعر في أهمية النظام وترتيب الأشياء:-

إن الـــــــــــذي يرتـــــــــــب متاعـــــــــــه لا يتعـــــــــــب

فكـــــــل شـــــــيء عنـــــــده في موضـــــــع أعـــــــــــده

مـــــــتى يعـــــــد إليـــــــه يجـــــــــــده في يديـــــــــــه

مـــــن غـــــير بحـــــث يجهـــــده ولا زمـــــــــان يفقـــــــــده

حســـــــن نظـــــام العمـــــل يضـــــمن نيـــــل الأمـــــل

الكلمة التي أرسل بها مولانا الشيخ الحاج إبراهيم إنياس

إلى الدجاجلة ونصها

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الذي جعل متابعة أوليائه فلاحا وصلاحا، ومحبتهم وتعظيمهم وامتثال أوامرهم رباحًا. والسلامان على سيد الكونين، القائل ما معناه:"بني الإسلام على خمس قواعد: الشهادتين، وإقامة الخمس، والصيام، والزكاة، والحج لمن استطاع إليه سبيلا". ورضي الله عن خليفته على الإطلاق القائل: "**إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه**".

أما بعد: فمن كاتب إسمه عقب رسمه... إلى أحبابه القاطنين بحامين، دار والدنا الأبر أحمد كرك وأبو بِطَيْ وأخوه محمد، ومحبنا فجك ثيام، ومحمد مته، ومحمد مجيكين، وغيرهم، كل واحد باسمه وعينه، عموما وخصوصا، صنوان وغير صنوان. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن مدد مولانا التجاني. يليه منا السؤال من الله تبارك وتعالى، أن يصلح أحوالنا وأحوالكم، ومآلنا ومآلكم، ويرزقنا وإياكم حلاوة الإيمان والصدق في العبودية، مع القيام بحقوق الربوبية ويكتبنا وإياكم في ديوان أحبائه وأصفيائه، ويتولانا وهو يتولى الصالحين.

وبعد: فقد أتاني من عندكم محبنا الصادق أبوبكر جاج، فجزاكم الله عنا خيرًا، إلا أني أوصيكم وأوصي نفسي بما وصى الله به الأمم قبلكم، ووصاكم به، وهو تقوى الله في السر والجهر. والتقوى هو امتثال الأمر واجتناب النهي، وآكد المأمورات مراعاة الصلوات الخمس في الجماعات، في أوقاتها، مع المحافظة على الطهارة المائية. والعجب كل العجب لمن ينتسب إلى الله وإلى شيخنا التجاني ويغفل عن صلاته، أو عن طهارتها، ويتيمم للصلاة، ويدعي أنه معذور، والعذر لايدوم ولا يعم قبيلة، فإنا لله وإنا إليه

راجعون، ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤]. وعليكم بقراءة الوظيفة مع الإخوان، فمن تركها منكم مرة واحدة بعد وصول كتابنا فنحن براء منه، وليس منا ولسنا منه، فنحن ما سلك طريقتنا إلا من عمل بما نعمل به مع أصحابنا، ولابد من تجديد التوبة في كل وقت، وفي كل مقام، مع دوام مراقبة الله في سائر الأوقات والأنفاس عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: [**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**].

واجتهدوا في الصدق في معاملة سيدكم ومولاكم، بحيث لايجد واحدًا منكم حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وإياكم وملابسة شيء من المحرمات، فالحرام يجر إلى النار، وإياكم والغفلة، فإن الغفلة أصل خطيئة وشهوة وسوء أدب، لأن الحق جلَّ وعلا يقول: [**من كشفت له عن أسمائي ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن كمال ذاتي ألزمته العطب**] فعليكم بآداب السلوك.

قال شاعر:

لقد خاب مجذوب صحا وتمردا ولم يحسن الطاعات مال عن الهدى
ومن بلغ المطلوب فليسع شاكرا وإلا فجزم الروح نهج أولى الردى

وأنتم أهل جامين لا ينبغي لكم إلا أن تكونوا كأهل، كوس وأهل طيب جكين، وأهل طيب جيبسين، من الاشتغال بالله برفض كل ما سواه، وتواصوا بالصبر، وتحابوا، وتهادوا، وتزاوروا، وتباذلوا، وتجالسوا في الله بالله، وتعاونوا على البر والتقوى، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وقوا أنفسكم وأهليكم نارًا. قال صلى الله عليه وسلم: [**وهي أن تقولوا يا أهلاه صلاتكم صلاتكم، يا أهلاه صيامكم صيامكم، يا أهلاه طهوركم يا أهلاه مسكينكم**]. أو كما قال. وقد قال الله تعالى ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه].

واعلموا أنكم يلزمكم حمدا لله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة، لكن لا تقعدوا ولا تميلوا إلى الراحة فإن من ورائكم قوما أتوا بعدكم، وإن قعدتم وتقاصرتم في أداء حقوق مولاكم يسبقوكم، وذلك- والعياذ بالله- هو غاية الخسران، لأن الإزدياد في الترقي في كل لحظة مطلوب، فعليكم بتعمير زاويتكم بإقامة الخمس، وقراءة الوظيفة، مع تعمير الأوقات بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق، فمن فعل ذلك فقد فاز فوزًا عظيمًا. والسلام.

وكتب علي سيس بن الحسن عام ١٢٤٩ هجرية.

الرسالة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم المنتقم العزيز الجبار المتكبر، والسلامان علـــى الرســـول السيد العبد القائل: **[يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا]**.

أما بعد: أحمده بما يليق... فيصل سلامي إلى ولدنا أحمد ثيام، ومالك صـــو وإلى كل من يقف عليه ممن يدعي الإنتساب إلينا.

موجبه الإعلام بأن .....

إثنين ليسَا مِنّي ولا من الطريق في شيء، مجذوب لم يسلك وسالك لم يجذب إن بقيا على حالهما ووقفا على سيرهما، وإني شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والأفعال، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، في الظاهر والباطن، والتعطش والتشوق إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله. أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة الشريفة باقتحام المحرمات وترك المأمورات، فأشهد الله وأشهدكم أني بريء منه، اللهم إني بريء إليك مما صنع هؤلاء﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]. وما قلتم من أن مريدي وعاء ممتليء من أسرار الحضرات الثلاثة فنعم، ولكن أين مريدي منكم؟ فهو أعوز من الكبريت الأحمر عندكم إن كان الأمر كما وصفتم، ويوشك أن أرفع الإذن عن كل مقدم يقتحم بحضرته المحرمات ولم يقم بما وجب عليه، فإن عجز يهاجر إلى الله ورسوله وإلينا، فو الله ما أوقف سير أولئك حتى رجعوا إلى التأنس بالحوادث إلا طول عهدهم بنا، فمن حضر معنا في كثير من الأوقات ينسى طعم الشهوات. فإن هنا شبانا صغاراً قد نسوا طعم الشهوات، حتى إن منهم من ينسى زوجته ولا يأتيها، إلا بالإذن والإكراه. هكذا تلامذتي والغير لا. فلا بد

من الرجوع إلى الله بالتوبة والإمتثال والإجتناب والزهد والورع والتعلم. قال تعالى لولي الأولياء ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

فالذي يليق بالمريد ألا يقف سيره حتى إذا لحق بي وأشكل عليّ حاله يرحل إلى شيخ أعلى مني مقامًا. واعلموا رحمكم الله أن كثيرًا من المدعين... صدّ الناس عن سبيل الله بعدم الإستقامة. ومن انتسب إلى الله وصار يصد عن سبيله فقد بارز الله بالمحاربة، وصار في حيّز أهل الإنكار الأشقياء، لكونه سببا لذلك، ولابد لكم من الحضور معنا في كثير من الأوقات لتأخذوا عنا آداب السلوك، كما أخذتم حقائق الجذب، ومن فعل ذلك فقد فاز فوزًا عظيما. ولابد لكم من تغيير المناكر التي تقع في الإخوان باليد واللسان والقلب، كما في الحديث، ولابد لمن يريد الإنتفاع... بحفظ ما يصدر منا من الوصايا نظمًا ونثرًا، وهذه البراوة حفظها واجب لكل مريد، وكل من وقف عليها فلينسخها ويلازمها ويقرأها كل يوم، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وحجوا البيت من استطاع إليه سبيلاً. وتصدقوا بالمال لوجه الله تعالى. ففي حديث مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله تملآن – أو تملأ – مابين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها]**، وقال الله تعالى – وهو أصدق القائلين ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ﴾ [النحل]. فالويل كل الويل لمن لا يتلقى حكم الله ورسوله بالقبول التام، لكن من بلغه كتابنا وتاب وتدراك ما أمكنه فله سعادة الدارين، عفى الله عما سلف، ومن لم يترجر فأشهد الله واشهدوا أني بريء منه، ولا أبرأ منه إلا بعد براءة الله ورسوله، وعليكم

بالإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق، وعليكم بكتم الأسرار قولا وفعلا، ودعوا عنكم التجاهر بكلام أهل الحقائق، واسلكوا الصراط المستقيم. وتلك الشهوات طاغوت تعبدونها بعد دعوى الإيمان. وقال تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

وأنت يا أحمد ثيام بلغ هذا الكتاب إلى كل من ينتسب لنا، فأرسل إلى كل كبير في محل نسخة منه ليقرأه لمن معه ولمن حوله، وأرجو من الله أن تتلقاه منكم قلوب صافية وآذان واعية والله يهدينا ويهديكم. والسلام.

وكتب إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني بمدينة كوخ،
حرسها الله من كل بأس آمين عام ١٤٣٦ هجرية.

الرسالة الثالثة:

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحابته والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المسلمون، أيها السادات، أيها الأحباب الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. الطريقة الصوفية- وعلى الأخص الطريقة التجانية التي نحن عليها- طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، النبي الذي يقول: **[أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني]**. الطرق الصوفية مشيدة بالكتاب والسنة، إمتثال الأوامر واجتناب النواهي، وعدم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى، وإخلاص النية لله. فإن الله تبارك وتعالى أمرنا في كتابه الحكيم فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة: ٣٥]، والوسائل إلى الله كثيرة، وأكبرها هي التي جاءت في نص القرآن.

أولا: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأفعال، حيث أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٣١]. هذه الوسيلة توصل العبد إلى الله تبارك وتعالى. لأن محبة الله إذا حصلت للعبد وصل إلى حضرة الله بدليل حديث: **[فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه]** [1].

ثانيا: ذكر الله تبارك وتعالى في الغدو والآصال، لقوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [الكهف:٢٨].

علمنا بهذا أن مداومة ذكر الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار... وسيلة توصل العبد إلى حضرة الله. **ثالثا:** مصاحبة شيخ كامل عارف بالله تبارك وتعالى، قال تعالى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [لقمان: ١٥]، ومن أناب إلى الله في جميع حركاته

---

[1] يقصد حديث: "من عادى لي وليا" المتقدم تخريجه.

وسكناته، هو العارف بالله الذي يعلم ما هناك. فهذه هي طريقتنا المراد بها إصلاح القلب، واتصال العبد بحضرة الله تبارك وتعالى، ما فيها زيغ، ولا إلحاد، ولا طمع، ولا متابعة شهوة، ولا اتباع هوى، ولا اتباع الشيطان، كل هذه ليست سبيلنا. ومن سلك سبيلنا فهذا الدينُ توارثنا منذ عدة قرون، قرنا بعد قرن. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. سلوك الصراط المستقيم، صراط النبي صلى الله عليه وسلم، وصراط الأنبياء الذي كل عبد يسأل الله في جميع صلواته، ويقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ آمين. [الفاتحة].

هكذا أدركنا الطريقة، وهكذا كان عليه أهلها، منذ نشأتها إلى يومنا، وهكذا كنا عليه. ونسأل الله أن نموت عليه هكذا، وأنت كذلك. فمن أراد سلامة نفسه فليلازم الجماعة، **[يد الله مع الجماعة]**،[1] **[ومن شذ شذ إلى النار]** [2].

وسائق السعادة يسوق أناسا إلى هذه الحضرة الأحمدية التجانية، والصارف الإلهي يصرف أناسا عنها. فالعبد ولو بلغ من القرب طُرد إلى حضرة البعد. وهذا وقع كثير من العارفين منذ نشأة الصوفية، ومنذ نشأة الطريقة التجانية طُرد منها رجال أساؤا الأدب مع الحضرة. ومنهم عبد الله جعفر، مطرود من الطريقة التجانية، مطرود عن الملة المحمدية مطرود عنا في الدنيا والآخرة، وكل من صَحبه، وهو معه في ذلك. فليبلغ الشاهد الغائب، فإني برئ منه وبريء من كل مَن تولاه، وهذا لله بالله في الله، ونحن لا تأخذنا في الله لومة لائم، لانحب إلا أهل الله، ولا نحب أحدا إلا في الله. وإن كان خضر وهو ولي من أولياء الله.... يقول لنبي مرسل ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] تبين أننا لا نصحب أحدًا إلا إذا لازم امتثال الأمر واجتناب النهي.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

شيخ الطريقة التجانية/ إبراهيم ابن الحاج عبد الله بكوخ السنغال.

---

(1) أخرجه الترمذي ٤/٤٦٦، حديث رقم ٢١٦٦، ٢١٦٧، وابن حبان في صحيحه ١٠/٤٣٧، حديث رقم ٤٥٧٧، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/٢٧٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٦٦.

(2) أخرجه الترمذي ٤/٤٦٦، حديث رقم ٢١٦٧، والحاكم في المستدرك ١/١٩٩١، ٢٠١، وأبو نعيم في الحلية ٣/٣٧.

الرسالة الرابعة:

[الحق يعلو ولا يعلى عليه][1] حديث شريف.

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحابته ما قال مؤمن: ربي الله.

أما بعد: فيقول خادم الحضرة الإبراهيمية التجانية، وترجمانها أبو الفوز الحاج أحمد بابه الواعظ الكماشي، أن الداعي إلى هذه الخطبة التي ألقاها شيخنا قطب الأقطاب الشيخ/ الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي- زيد فيضا- وأمر بطبعها. هو أنه بعد ما انتشر خبر عبد الله جعفر على جميع البلدان وسوء سلوكه في هذه الدائرة الأحمدية التجانية، وإفشائه أسرار الربوبية على غير أهلها، التي هي أشد حرمة من الكفر... فكان شيخنا الرحيم رضي الله عنه يحاول هدايته إلى الصواب، وهو لايزيده ذلك إلا التمرد والتجبر، فحضر في هذه الأشهر الأخيرة، هذا القطر، وفي هذا الوطن العزيز (كماسي) أول مرة، ومكث ما شاء الله يهتك الشريعة المحمدية المطهرة كمنعه قضاء الصلوت الفائتة، ومنعه عدة الوفاة لمن مات زوجها، ودعواه أنه أفضل من نبينا موسى عليه السلام، ويمنع تعلم العلم وغير ذلك. فقامت جمعية "يأتي يأتي" خدام الشيخ، بكوماسي، بوظيفتها الكبرى (الدعوة إلى الله) وبيان الطريقة التجانية السمحة البيضاء المبنية على الكتاب والسنة- التي يقول صاحبها رضي الله عنه: (ما بلغكم عني فزنوه بميزان الشرع فما خالف فاتركوه وما وافق فخذوه) فأثرت هذه الدعوة ونجحت في سعيها المرضي، ففر هو عن البلد مدة، ثم أن الشيخ حضر هذا القطر قاصدا القاهرة والبلاد العربية لإجابة دعوة من الرئيس جمال عبد الناصر، فبلغه جميع الخبر فكتب في ذلك كتابة أمر بانتشارها في جميع

---

[1] هذا هو المشهور على الألسنة، والوارد حديث: الإسلام ولا يعلى". أخرجه الدارقطني ٢٥٢/٣.

البلدان، من ضمن ما كتب هذه: "وبعد ما بعثت إليكم برسالتي الأولى سمعت بخبر عبد الله جعفر الذي حاولت مرارا هدايته إلى الصواب، فأبى إلا أن يتبع نفسه وشيطانه ودنياه وهواه، ولعل الله أراد به الشقاء، وقد رفعت عنه الأذن. فامتثلت الجمعية المذكورة هذا الأمر، وفعلت كما أمرت بصدق الطوية في ذلك، وبعد أن انتشرت عاود إلى (كوماسي) ثانية عبد الله جعفر ينكر المكتوبة وما فيها، ويبذر البذر الخبيثة في أذهان الناس، ويغرسها في نفوسهم الطيبة، ويطيب لهم الشهوات، ما سيكون عاقبته شر ووبال عليهم، خصوصا على الأحداث من بينهم، فاغتر بعض الناس إليه ووجد الأتباع، لعدم تمييزهم بين الداعي إلى الفيضة أو إلى الفضة. حقا وقد حفت جنهم بالشهوات، لهذا اتهمته الجمعية بجريمة إنه يهتك الشريعة ويفسد في الأرض، وينشر الظلم أمام الأمير العادل السيد محمد المتوكل، أيّده الله ونصره، ما دام ينصر الدين. ولما وقف الأمير على صدق الجمعية وحقيقة الأمر كتب إلى الشيخ مخبراً جنابه الكريم بهذه القضية، فألقى الشيخ هذه الخطبة ارتجالا في الآلة المسجلة، وأمرت ولد روحي وكاتبي محمد المصطفى كامل الحاج أن ينسخها، كما طلبت فضيلة المحترم وناصر الدين المحمدي الأستاذ الحاج يوسف عبد الله أن يطبعها، لينتفع بها الإخوان، ويرتد من أمثال هذه المشفق على نفسه خدمة لهذه الملة الإسلامية. (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.**)

عَلَيَّ نحت المعاني من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر
إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا عَلَيَّ لئامها

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاج أحمد بابه الواعظ كماسي

بقلم الكاتب الخادم محمد للمصطفى كامل الحاج كماسي

بتاريخ ١٣/١١/١٩٨٠م.

الرسالة الخامسة:

بعد السلام والصلاة على رسول الله.

فإلى أهل طيبة جبسان، وأهل جبسان، السلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين، يليه أعلامكم بأني بُلِّغْتُ ما أنتم عليه من التلاعب بالدين والميل إلى الراحات، وتركتم المسجد الذي هو بيت الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم إني أعوذ بك من البعد بعد القرب ومن السلب بعد العطايا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]. وأقيموا الصلاة فإني أوصيكم وأكرر عليكم وصيتي في كل وقت وزمان، وما رأيتكم إلا متلاعبين بي، وبالشيخ، وبالنبي، وبالله لكن من تلاعب بهؤلاء، فالله حسيبه، فإن لكل ذنب وكل معصية من عقابين. ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال:٢٥]، واعلموا أني نصحتكم بقلمي ولساني سرًا وجهرًا، ولا أراكم إلا تريدون الدنيا وتذرون الآخرة، وإني ولله الحمد إن تلاعبتم بي واستخففتم بما أمرتكم به، فقد خلق الله رجالاً يمتثلون أوامره ظاهرًا وباطنًا وأنتم إن كنتم لاتفعلون... فإني أبرء إلى الله منكم، ولايشكوا إلى أحد منكم شكوى أبدًا لاظاهرًا ولاباطنًا، فإني أعيذ نفسي بالله من موالات أعدائه، من يحارب الله ويترك أوامره، ولا يجتنب نواهيه فهو عدو الله ورسوله، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء]. والسلام على عباد الله الصالحين اهـــــ.

والسلام

الرسالة السادسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

إلى حضرة أخي وولدي المرتضى المحمود سعيه مَعَبْدُ انجك، وأخيه عمر بن مالك. والسلام عليكم رحمة الله تعالى وبركاته. يليه الأعلام.

بأني أرسلت إليكم نسخة من كتاب كتبته إلى الإخوان، واجتهدوا بتبليغه للعام والخاص، واعلموا أن التصوف معرفة وعبادة وزهادة، ومن خلا من واحد من هذه فهو مُدّعٍ هالك لانجاة له، وكثير من الناس تصوفهم في آلهتهم ومعبودهم الدنيا وشهواتها، فليتني لم أعرف أولئك ولا عرفوني إن لم يداركهم الله بالتوبة، وأنا جعلتكما في خدمة، وهوأن تتبعوا الناس واقرؤا لهم وصاياي، ومن سمع لكما، فقد تقبل توبته، ومن لا فليس مني، ولابد من التوية والإستقامة، والعبادة الخالصة لله، وبر الوالدين والجد في الإكتساب للمال الحلال، والعلم الظاهر.

لا تحسب المجد تمرا أنت تأكله لا تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

ولا ترجعا إِلَيَّ حتى تبشراني أن الله بقى معبودًا وحده في كل من ينتسب لنا واحتفظوا من أسراركم في دينكم ودنياكم، حذرًا من أعدائكم، أعداء الدين والطريقة، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ومن رأيتموه يدعى فناء في حضرة من الحضرات و لم يجلس عند مربيه، ويصاحبه ويلازمه فأمروه بالرجوع إلينا حتى نطلقه وإلا فهو مفتر أفاك أثيم، فأولئك المفترون، أدخلوا في دينهم ما ليس منه، وليس ذاك منا، ولله الحمد وله المنة، ومن لم يترجر من أولئك بعد هذه الوصايا، فسوف آخذ الأذن من الحضرة في الدعاء عليه فيهلكه الله في أسرع من لحظة، ويوم القيامة أخاصمه بين يدي الملك الديان،

ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. وأسأل الله تعالى أن يهدينا ويهديكم بجاه الحجاب الأعظم الهادي إلى الصراط المستقيم. وصلى الله عليه وسلم.[1]

وكتبه علي سيس

من إملاء شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا

الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني بمدينة كوخ.

هذا هو ما استطعت أن أسرده للقراء الكرام تبرأة لمنهج الشيخ رضي الله عنه من من يدعى الإنتساب إليه ولايتمسك بالشريعة الإسلامية بالتباع الأوامر واجتناب النواهي في المنشط والمكره.

أيها القارئ الكريم، أيتها القارئة المحترمة، ما تقييمكما لعبيد (البخاري) أولئك الذين يؤدون يمين القسم بنسخة صحيح البخاري؟. تشير العديد من المصادر في الحقب التاريخية أن السلطان المولى إسماعيل ١٠٨٣-١١٣٩ه، ١٦٤٥-١٧٢٧م، والذي تولى حكم المغرب من ١٦٧٢-١٧٢٧م، حين كون جيش البخاريين. بويع المولى إسماعيل في السنة السادسة والعشرين من عمره، واتخذ مِكْنَاسَةَ عاصمة له.[1]

البخاريون: جماعة من الأتراك ومعظمهم من الأوريك والأويغور، هاجروا من بلادهم باتجاه البلاد العربية لعدة مراحل وعدة أسباب.[2] **تسميتهم بالبخاريين**: يعود سبب تسميتهم بالبخاريين إلى سببين أساسيين:

١. أطلق عليهم هذا الإسم تيمنا ونسبة إلى الإمام محمد ابن إسماعيل البخاري، صاحب صحيح البخاري، وذلك لأنهم قدموا من بلاده التي ولد وتوفى ودفن فيها.

---

[1] راجع كتاب زيادة الجواهر من يواقيت ألفاظ ودرر جكم في فنون هلوم شتى للشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه، صفحة-٤٩، الكبعة الأولى.

[1] إسماعيل التزاني لهسيريس- صفحة ٢٩-٤٢.

[2] إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ٣٠٦/٥، عبد الرحمان بن زيدان.

٢. فهو نسبة إلى إمارة البخاري الإسلامية والتي حكمها الأمير عالم خان، وهو من الأسرة المنغيتية والتي يرجع نسبها إلى جنكيزخان.

بينما يقول الكاتب المغربي أحمد الناصري في كتابه "الإستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى.[1]

سبب تسميتهم بعبيد البخاري هو أن السلطان المولى إسماعيل ومعه الفقهاء. جمع الجنود وأحضر نسخة من كتاب صحيح البخاري، وقال لهم: (أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل) واستحلف ضباط الجيش وجنوده على نسخة كتاب صحيح البخاري. وأمرهم بالإحتفاظ بتلك النسخة. وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدمونها أمام حروبهم، كتابوت بني إسرائيل. ظل ذلك التابوت ردحا من الزمان يحملونه في محفة فرس كامل الأدوات يسيرون به في موكب السلطان، وفيه نسخة صحيح البخاري المزين بالحلل. هذا هو ديدنهم في جميع الأسفار والرحلات. ومن الجدير بالإشارة إليه أن قضية عبيد البخاري حدثت في أواخر القرن السابع عشر، وبداية القرن الثامن عشر، بعد موت الإمام البخاري بمائة وواحد وخمسين سنة. ليس للإمام البخاري علم بذلك، ولم يأمر به، ولا دخل له بذلك.

قال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام].

قد يكون الغلو بمجاوزة الحد في الحب، وقد يكون بمجاوزة الحد في البغض والكراهية كما مر ذكره. مصداقا لقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة].

---

[1] الإستقصا ٧/١٢٠، الأستاذ أحمد الناصري

بغضا وكراهية ما جرهم إلى القذف لسيدتنا مريم أم عيسى عليه السلام، بناءا على هذا. وقالت النصارى ليست اليهود على شيء. ردا على ما قالت اليهود لهم. والعجب العجاب هنا هو أن كلا منهما يتلو الكتاب الذي أرسل إليهم والذي يبين لهم أهمية أنبياء الله وأتباعهم الأصفياء. قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة]. ظهرت هذه الكراهية بين اليهود والنصارى بعد إنقطاع عرى التعاون بينهما على الإثم والعدوان والهجوم على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقبل ظهور هذه العدواة بينهما- ماذا يقول كل واحد منهما للناس؟ كانو يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى. هل هذه الدعوى صحيحة أم باطلة؟ قال تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة]، قال تعالى﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

فالـــدعوى مـــالم يقيمـــوا عليهـــا بينـــات أصـــحابها أدعيـــاء

قال تعالى تكذيبا لهم، قل لهم أيها القارئ الكريم أو المستمع، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. وهكذا يفعل الغلو بالغالي يقلبه ذات اليمين وذات الشمال. ومن استخف بأخيه أو إزدري به حتى قال له يا كافر، أو يا مشرك، وما هنالك من الترشيق والتنقيص. فإن كان المقول فيه كان كما قال القائل لأخيه: فالقول قوله، وإلا إنقلب السحر على الساحر. قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر:٤٣]، تمشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم:**[من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما]**.

لا تسير الأمور بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أو بأمني فلان أو علان بل لله الأمر جميعا. قال تعالى ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم]، قال أيضا ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ

وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ [النساء].

من لم تفده عبرة أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى

وفاتـــه رضي الله عنه

توفي مولانا فضيلة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه بتاريخ يوم السبت ١٨/رجب ١٣٩٥ هجرية. الموافق ١٩٧٥/٧/٢٩ ميلادية. في مستشفى في لُنْدُنْ، وله خمس وسبعون سنة، ءدى صلاة الجنازة عليه حبيبه الأول، ورفيقه الأسبق وخازن سره الأوفى وقلم الفيضة الأبرى، السيد علي سيس ابن الحسن ووري جثمانه بجوار المسجد الجامع بمدينة كولخ في السنغال.

الموت حق وحَتم على كل من ولد ويعيش وشارع لابد أن يعبر به كل كائن حي. وليس الموت تثبيطا أو توقيفا للأعمال إنما هو تشجيع وتحريض للمواصلة قدما عليها وخاصة ما كان صالحا منها في إطار الإيمان بالله وطلب مرضاته. قال تعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **[خَيرُكُم مَنْ طَال عُمُرهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ]**[1]. ولاشماته في الموت ولا عار فيه. لقد مات الأنبياء والمرسلون والصالحون. ويقول الله تبارك وتعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء].

والمـــوت لا يضـــر مـــن قـــد ســـعدا بـــل هـــو راحـــة لمـــن قـــد رشـــدا

توفي الشيخ وبكت عليه البنوة والأبوة وصلة الرحم والعلاقة الزوجية كما بكت عليه الدعوة الإسلامية، وبكت عليه تلاوة القرآن بكت على الشيخ الطريقة التجانية واللغة العربية، بكت عليه الدول الإفريقية، وخاصة في الحياة

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٣٠) وقال حديث حسن صحيح، أحمد في مسنده- (ج-٢/٢٣٥) البخاري- (٥٦٧١) مسلم-(٢٦٨٠)

الإجتماعية، وبكت عليه كل الدول الإسلامية لمشاركته في حلول مشاكل البشر، بكت عليه المساجد والمدارس.

فلـــو كـــان يفـــدي بـــالنفوس فديتـــه بنفسي وهـــذا الظـــن في كـــل مســـلم

وتوفي رضي الله عنه وقد حقق إنجازات لن ينساها التاريخ وعلـــى ســـبيل المثال لا على سبيل الحصر:-

ترك ملايين الأتباع وما زال عددهم يتزايد يوميا إلى يومنا هـــذا. مـــنهم العلماء، وكبار رجال الأعمال والموظفون الكبار والصغار. ومنهم المفكـــرون والمثقفون من الأكادميين، ومنهم الأمراء والوزراء، والرؤساء رجالا ونســـاءًا، كبارًا وصغارًا. وإن كان الشيخ الحاج عبد الله إنياس والد الشيخ رضي الله عنه هو أول من بدء عقد حفل الذكرى بمولد النبي صـــلى الله عليـــه وســـلم في السنغال، يجمع الناس في بيته ويقرؤن القرآن ليلة المولد إحياءًا لهـــذه الـــذكرى الشريفة حتى زار مدينة فاس المملكة المغربية في السنة (١٩١١) إفرنجي. تلكـــم الرحلة التاريخية والتي حدث فيها العجب العجاب فرأى الحاج عبد الله إنياس أن أهل فاس يقرؤن في هذه الليلة الشريفة قصيدة الهمزيـــة للبوصـــيري وتشـــرح للحاضرين معاني هذه القصيدة ويقرؤن أيضا قصيدة البردة للبوصري فـــأتحف الحاج عبد الله إنياس للمسلمين هذ النظام إلى السنغال. سمعت هذ البيان مـــن الخليفة الشيخ الحاج عبد الله إنياس. وأما الحفل بذكرى مولد النبي صـــلى الله عليه وسلم بشكله الذي يقيم الشيخ الذكرى به فمنه يقتبس المقتبسون. فهو أبو عذره ومن فهم عقله وسعة ثقافته. لقد أخذ قصب السبق في ذلك والكل خلفه رضي الله عنه.

فسر الشيخ الحاج عبد الله إنياس القرآن الكريم لطلابه المتخصصين في علوم القرآن مائة وأربع ختمة ولعل من أجل هذا لما زار جامع الأزهر في القاهرة، وزار حلقات العلم فمر بحلقة التفسير وجلس فيها وقال: وأنا أيضا لي اليد الطولى في تفسير القرآن الكريم.

نفى عني الأشرار طه وساق لي رجال التقى والرشد والعلم والفوز
صلاح أحبائي يلوح لمبصر بطاه حبيب الله فوزًا على فوز

ومن إنجازاته رضي الله عنه:

١. أسس منظمة فتيان الإسلام في نيجيريا سنة (١٩٦٣م)

٢. أسس جمعية إتحاد المسلمين، وهو رئيسها.

٣. أسس جمعية أنصار الدين في السنغال ١٩٦٦م.

٤. جمعية أنصار المسجد في مدينة كولخ. ١٩٦٩م.

٥. أسس الإحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، والذي تولدت منه إحتفالات في جميع أنحاء العالم.

٦. هو صاحب الفيضة التي ذكرها الشيخ التجاني وادعاها كبار رجال الطريقة بدون جدوى. فسلم له الزمام من كان له حظ وافر، وناوأه من كان له حظ سئ.

٧. عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٨. عضو في الجامعة الإسلامية بالرباط.

٩. عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

١٠. عضو لمجلس الأعلى بالجزائر.

١١. نائب لرئيس المؤتمر الإسلامي بكراتشي.

١٢. عضو بالمجلس الأعلى للشؤن الإسلامية بالقاهرة.

١٣. نال الأوسمة العديدة من عدة رؤساء الدول ومن بينهم الرئيس السنغالي الأول سنغور.

والـــذي قيـــل فيـــه لـــيس بمغـــن والـــذي لا يقـــال لـــيس يقـــال
فسل عنه أهل العلـــم والعقـــل والحجـــا ومن كان ذا علم وكـــل ذوي النســـك
هو البحـــر مـــن كـــل الجهـــات أتيتـــه ولجتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحل
لـــــه همـــــة لا منتهـــــى لكبارهـــــا وهمتـــه الصـــغرى أجـــل مـــن الـــدهر

إنه ليشرفني في ختام هذه النقطة أن أذكر السادة القراء بأن عالمية الدعوة لمولانا شيخ الإسلام بيان يتطلب إلى محاضرات وندوات، بل إلى كتابة مجلدات وذلك لأن حياة الشيخ مليئة بأعمال قيمة وإنجازات هائلة، وخطوات لامثيل لها. وإذا تتبعنا البيان الذي ذكرته قبل قليل سنجد أن المدة التي إستغرق فيها الشيخ لطلب حفظ القرآن هي نفس الفترة أو السنين التي قضاها في طلب العلوم المدروسة. إذ بعد وفاة والده لم نسمع بأنه تعلم ولو حرفا من غيره، ولم يحتج إلى التعلم من أحد من العلماء بعد وفاة والده.

حكى لي الشيخ إبراهيم محمود جُوبْ، أن الشيخ رضي الله عنه كان إذا تحدث عن حواره مع والده الشيخ الحاج عبد الله إنياس في المسائل الفقهية أو غيرها من الغوامض العلمية. يقول أبي قيده الورع وأنا أطلقني العلم. ما يشير إلى أن علوم الشيخ علوم لدنية. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران].

ملـــــك الملـــــوك إذا وهـــــب لا تسألـــــــن عـــــن الســـــبب
الله يعطـــــي مـــــن يشـــــاء فقـــــف علـــــى حـــــد الأدب

ويقول في مثل هذه المناسبة أحد كبار أصحاب الشيخ في دولة مُورِتَانِيَا وهو الشيخ شيخان.

بمـــا في الكتـــب قـــد تـــأتي وتـــأت بمـــا لم يـــأت قـــط بـــه كتـــاب

الخـــــــاتمة

ولا يسعني في هذه العجالة الإختامية إلا أن أقدم الشكر للذين كانو سببا لتقديم هذه السطور بعدما حدث حدثٌ لم تشهد إفريقا مثله، وهو حدث إفتتاح مسجد الشيخ إبراهيم إنياس الجامع في مدينة كولخ جمهورية السنغال الذي قضينا وقتا نستمع إلى بيانات تمت بتاريخ بنائه بصلة اخرجت البيان عن المسجد وكان كتابا مستقلا[1] والذي تم فتحه يوم الجمعة ١٤٣١/٠١/١١ هجرية. الموافق ٢٠١٠/٠٢/٢٦م. حيث شاهد الإفتتاح كوكبة من أصناف الناس، ومن جميع قارات العالم، وكل من شاهد إفتتاح هذا المسجد وراء المسجد يتأكد له علو همة الشيخ وصدق نواياه الطيبة، تجاه الإسلام والمسلمين، يبين ذلك أيضا عن قوة عزيمته وإرادته وبُعد نظره وحرصه على نشر الإسلام، وتقوية دعائمه. ثم كل من رآى هذا المسجد ونشاطه يعلم أنه مسجد أسس على التقوى ولجمع كلمة المسلمين على الحق ثم إنه مسجد يخطو خطوة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بنى لأداء الفرائض والنوافل. وتعليم المسلمين أمور دينهم وتثقيفهم فيه، ويرفع فيه إسمه، تمشيا مع قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور].

ثم إن شيخنا رضي الله عنه شيخ يحب النظام ويطبقه في جميع تحركاته وسكناته، إبحثوا عن نظامه في التعليم ونشره العلوم أمعنوا النظر في تشجيعه لطلاب العلم في حفل المولد النبوي الشريف وعند ما يختم واحد أو واحدة من بناته القرآن بعد حفظه عن ظهر القلب. أنظرو إلى نظام أداء صلاة الجمعة في أيامه، ألم تروا إلى كيف جعل صوم رمضان شيئًا شيقا، كيف كان يحي ليله ونهاره بالعبادة ونشر العلم، للشيخ حكمة خاصة لتشجيع الناس لأداء فريضة الحج في السنغال، كما وضع للمسلمين نظاما رائعا يشجع في كثرة تلاوة القرآن سنويا وشهريا ويوميا، حيث يخصص في السنة يومًا خاصًا

[1] راجع كتاب المناسبات، تأليف الإمام محمد الناصر آدم.

للقرآن الكريم يتوافد إليه الحضور من جميع أقطار السنغال من الأحباب والمريدين يقومون بمآت الختامات بعد إنصرام كل عام.

فلا تستغرب من الشيخ إلا إذا أدركت كيف يستقبل ضيوفه وكيف يترل الناس منازلهم أما السيادة والقيادة لم ينهمك الشيخ في طلبها إهمام الناهم على الطعام ولم يرض أيضا أن يجعل نفسه حاشية وعضوا غير متحرك في سياسة بلده أو قيادة منبة شعبه بل يساهم مساهمة تثبت تواجده كمواطن فطن ونبيه غيور لدولته ولقادة وطنه وكل من أمعن النظر في مساهمة الشيخ في السياسة وطالع كتابه إفريقيا إلى الإفريقيين، والذي قام الشيخ بتأليفه في عام ١٩٥٩م. يعلم تمامًا، أن للشيخ إبراهيم إنياس اليد الطولي في فن السياسة والقيادة والإدارة. وهو أيضًا شخصية لا تستغنى الدولة عن مساهمته في تقدمها ورقيها ناهيك عن علاقة الشيخ بالدعوة في الدول الإفريقية والدول الخليجية والأساوية.

المؤلف:

الإمام/الشيخ محمد الناصر آدم

رئيس هيئة الشرعية الإسلامية في كانو

الإقتراحـــــات

إن هذ المسجد الجامع الكبير ليكمن في بنائه وإفتتاحه دروس حسبما بيدو لي وتتلخص هذه الدروس في النقاط التالية:-

يريد الشيخ رضي الله عنه أن يلقن أحبابه درسا عمليا يتمشى مع مفهوم قول الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة]. ولولا ذلك حسبما أرى لأتم الشيخ بناء مسجده على النحو الذي يرضيه وفي مدة وجيزة كما قام بذلك في بناء المسجد الأول. قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة].

يريد الشيخ أن يفهم أحبابه أنهم إذا نظموا أنفسهم وعرفوا زمانهم ومتطلباته وتعاونوا على البر والتقوى، فلن تكون المشكلة المادية عقبة للحيلولة دون ما يريدون القيام به من أعمال الخير والطاعات. ومن يظن أن أحباب الشيخ في نيجيريا في وقتنا الحالي يسطيعون أن يكتروا طائرة من صنف **٧٤٧** لنقل المتجحين إلى إفتتاح هذ المسجد حيث قضت الطائرة ثلاثة أيام في هذه الخدمة، هذا ما عدا الذين إتجحوا إلى مدينة كولخ بالخطوط الأخرى ما لايعلم عددهم إلا الله، ناهيك عن مئات السيارات، والباصات التي توافدت من كل صوب ما لا يحيطها العد والحسبان. ولقد حضر إفتتاح هذ المسجد كل من رؤساء الدول والوزراء، والأمراء، والحكام، ورؤساء الحكومات المحلية، ناهيك عن العلماء والخلفاء، وكبار رجال الأعمال الناجحين من جميع أنحاء العالم، بل هناك الأكاديميون من الأساتذة والدكاترة، والفرافسة، وغيرهم مما لايحيط عدهم إلا الذي جمعهم، فإنه أحاط بهم علما وأحصى كل شيء عددا. قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال].

فعلينا معشر الأحباب أن نحذوا حذو خطوات شيخنا في الدعوة والإرشاد المليئة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نقتبس من الشيخ بُعد النظر في أعمالنا، وأن نكون واقعيين في معاملاتنا مع الله ومع أي إنسان. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقن عمله". وأسلوب الشيخ دائما في الدعوة والإرشاد، لمن أمعن النظر فيه يجد أنه يعتمد على قول الله تعالى في القرآن أوالأحاديث النبوية الصحيحة، وعلى أقوال الثقات من العلماء والحكايات الصحيحة والأبيات الحكمية. ما يشير إلى الإعتناء بالعلم والبحث فيه ليل نهار من أجل هذا كان الشيخ لايعرف الغربة عند ما يتكلم في العلم لأنه لا يقول إلا بما صح من العلم وهو ما تحتاج إليه الأمة قديما وحديثا. الشيخ لايعرف الشتم في الدعوة بصيغة عشوائية أو السب أو اللعن أو التكفير أو التبديع، وما إلى ذلك من الأساليب المعوجة والفاشلة التي إتخذها بعض الدعاة أسلوبا في خلال قيامهم بمهمة الدعوة. وأنت بصفتك كداعية إذا كان هذا الإنسان مثلا كافرا أو مبتدعًا أو فاسقا لفهمك، أو لفهم ما. تذكر أنك داعية تلقيت التدريب وأنت المؤهل لإنقاذه من براثين هذ الوباء، وتذكر أيضا أن القساوة لا تزال بالقساوة كما لا تزال العداوة بالعداوة، هل يمكن أن تزيل الإنكار بالإنكار؟ كلا بل وألف كلا، الأمر بخلاف المثل القائل: لايفل الحديد إلا بالحديد. قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت]. فعلينا معشر الدعاة أن نطبق الأسلوب الإلهي الناجح في الدعوة. قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ [النحل:١٢٥]. هذا هو أسلوب الشيخ دائما في السفر كان أو في الحضر، وهو أسلوبه للقريب والبعيد، هو نظامه مع الحبيب والبغيض.

معشر الأحبة! نحن كأحباب الشيخ رضي الله عنه ومريديه في هذه الطريقة التجانية، لاينقصنا اليوم شيء إلا قلة الأدب مع الشيوخ وعدم النظام في أعمالنا. ما نتج من قلة علمنا بتعاليم ديننا الإسلامي وفقه طريقتنا التجانية، وبعض الشيوخ والمقدمين تركو المريدين بدون زجر أو وعظ أو إرشاد، ولايحضونهم على التعليم، فإن أسباب القوة كلها ظهرت فينا ولكننا ضعفاء، لأن البشر على وجه هذه المعمورة، لا يمكن أن يتأثر أو يترك أثرًا بعد وفاته إلا إذا نظم نفسه ونظم أعماله، وهب الله لهذا الشيخ أتباعا وأحبابا من العلماء والأدباء، وكبار المثقفين بكل ما تعنيها الكلمة كما وهب الله له من الأتباع الأثرياء، وكبار رجال الأعمال الناجحين، وهناك الأمراء وكبار رجال السياسة البارزين من جميع الأطراف، وهناك كبار الموظفين وكل واحد منهم مقتنع بقيادة الشيخ له ومستعد ليفديه بالروح والدم، ويدعم كلما يمت بالشيخ بصلة ماديا ومعنويا، ولكن عدم نظامنا وتكاتفنا والتعاون على البر والتقوى وترابطنا وتفقد بعضنا لبعض جعلنا غثاءًا كغثاء السيل. لانحرك ساكنا. ولا ننسى أن طريقتنا التجانية طريقة نظام وتقبل أيضا النظام. أرجوا أن يأتي يوم نوحد صفوفنا فيه، وننظم أمورنا. يوقر ضغيرنا كبيرنا ويرحم كبيرنا صغيرنا ونهتم بتعليم شؤن ديننا الإسلامي إذ الله ولايطاع بالجهل أو بالوهم أو بالتخمين إنما يعبد بالعلم واليقين. وإن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. تقدمنا في قلوبنا وتأخرنا فيه.

ما زال الإسلام في حاجة ماسة إلى مد يدعونكم وما برح يتطلع إلى وحدة صفوفكم وما فتى ينتظر بسالتكم. قال تعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]. وقال أيضا ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب]. إن عدد ملايين أحباب الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه في نيجيريا عدد لا يستهان به، كما وقدرا. رزق الله الشيخ رضي الله عنه خليطًا من الأتباع والمحبين على سبيل المثال هناك الفطاحلة من العلماء والمثقفين، ومنهم الفرافسة والدكاترة، من الأكاديميين، وكبار الموظفين، وهناك الأمراء والرؤساء، وهناك كبار رجال الأعمال الناجحين، وهناك

المفكرون والباحثون، ومن بينهم الجنود ورجال الشرطة، ورجال السياسة البارزون وغير ما ذكرت مما لايسمح الوقت بذكر جميع الأصناف من الرجال والنساء، صغاراً وكباراً، شباباً وفتياتاً. حان لنا الوقت لنجمع قوانا ونلملم شملنا، ونشغل فكرنا ونبتعد عن كل ما يعرقل السير فينا ماديا كان أو معنويا. وذلك لأن رجاء الشيخ فينا كبير وتوقعاته منا عظيمة، وما عمله الشيخ في كل واحد منا كثير فلا نترك الفرص تفوت. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. إن الفيضة التجانية في وقتنا الراهن في حاجة ماسة إلى عدة أشياء. العودة إلى ما كان الشيوخ الأُوَلُ يقومون به من الأخذ بيد المريد ماديا ومعنويا.

ب التعاون مع المريدين في إقامة عدة أشياء تمت برفع شؤن هذه الحضرة بصلة.

ج. عقد المجالس العلمية باستمرار للخاصة والعامة.

د. حث المريدين على طلب العلم والإعتناء به.

ه. تشجيع المريدين على تبادل الزيارات في الله وخاصة إلى مدينة كولخ. وزوايا كبار الشيوخ حسب الطاقة.

رجـــوت رفعـــا بـــلا شـــرط ولا ســـبب بل محض جود من المولى العلـــى الأحـــد
ســـــيادة شمخـــــت بالرشـــــد قائـــــدة بـــــني الكـــــرام إلى المـــــأمول دون رد

الإقتراح التالي، أن نفكر في إيجاد مزيد من المدارس بشتى مراحلها بل وإلى الجامعات، ونحن في أمس الحاجة إلى مزيد من المساجد وإلى مزيد من ديار الضيوف الزئرين، وفي حاجة إلى قاعات الإجتماع وإلى مراكز تدريب الكوادر للمهن، وفي حاجة إلى التنسيق والترابط فيما بيننا لقصد التعارف واستكشاف المواهب التي من الله على بعض أفراد هذه الطائفة المفلحة. يا أحباب الشيخ! أما أن لنا أن تكون لنا المستشفيات والمصتوصفات الخاصة؟ لاشك أن ديار شيوخنا مملؤة بالمعترين والمهاجرين من طلاب العلم والتلاميذ والأيتام والأرامل، وهي مأوى الضيوف والزائرين وإنها لديار معمورة

بالخير والرشاد والعطايا والمواهب. جزى الله القائمين بإحيائها خير الجزاء، إخواني أحباب الشيخ أينما كنتم وحيثما ثوى بكم المقام، أما أن لنا أن نملك وسائل الإعلام الخاصة ما بين المسموعة والمرئية والمقرؤه. صدقوني إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى معرفة ما نحن فيه من العلوم والفهوم. وبدون البيان عنها لاتعرف وستظل غير منتشرة في العالم. أنظروا إلى كتب الشيخ رضي الله عنه حتى الآن لم تترجم إلى اللغات وَلَانُدَرِّسُ هذه الكتب القيمة في المدراس أو المجالس، إلا ما ندر أو شذ، بينما نجد من بين هذه الكتب ما يناسب بمنهج المدارس النظامية بشتى مراحلها.

أقترح أن يتغير نظام إجراء سير حفل الذكرى بمولد الشيخ رضي الله عنه، والذي يقوم به مجمع أحباب الشيخ سنويا، بحيث تكون لجنة تشترك في إعداده وتنظيم عقده وبحيث يختار نخبة من المثقفين من الولايات ليمثلوا ولا ياهم في اللجنة المشتركة مع رؤساء مجمع الأحباب، وحبذا أن يكون تنسيق وتواصل تام مع الخليفة العام للشيخ رضي الله عنه في مدينة كولخ بحيث يكون ملما بكل تحركات اللجنة طوال السنة. وتقوم هذه اللجنة المشتركة بالعمل لمدة سنة، بدلا من أيام قلائل تقوم الجمعية بالتنظيم فيها قبل القيام بعقد الحفل ما يسبب عدم السيطرة على الحاضرين.

أهـــم الـــمراجـــع

١) المصحف الشريف
٢) رياض التفسير/ للشيخ محمد عبد الله.
٣) كاشف الألباس عن فيض الختم أبي العباس رضي الله عنه.
٤) الرحلة الكوناكرية/ للشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.
٥) الرحلة الحجازية/ للشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.
٦) دواوين الست لفضيلة الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.
٧) الشيخ إبراهيم السنغالي/ للدكتور طاهر مَيْغَرِي.
٨) خمسة وعشرون سنة على رحيل الشيخ تيامس
٩) إنسانيات داعية/ للشيخ إبراهيم ابن الشيخ بشير سيس
١٠) من أعذب الشعر/ محمد بن سرار بن علي إنياس
١١) مصطلح التاريخ/ للدكتور أسد رستم.
١٢) أصول البحث/ للدكتور عبد الهادي الفضلي
١٣) مجتمع التاريخ/ للأستاذ الشهيد مرتضى
١٤) شاعر الرسول/ للدكتور إبراهيم أحمد مقري
١٥) الورقة التي قدمها الشيخ ماحي إبراهيم قيا لذكرى ميلاد الشيخ في منا (٢٠١٢م)
١٦) روح الأدب/ للشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه.
١٧) دليل الفالحين
١٨) المنجد
١٩) محاضرات عدة علماء
٢٠) أشرطة كاسيت
٢١) إذاعة الفيضة بمدينة كولخ
٢٢) زملائي في مدينة كولخ